

الوفاء^٢
بأخوال المصطفى^٢
لإمام أبي الفتح عبد الرحمن بن الجوزي
٥١٠ - ٥٩٧ هـ

صححه ونسقه وعلق عليه
محمد زهري النجار
من علماء الأزهر الشريف

الجزء الأول

يطلب من
المؤسسة السعيدية بالرياض
شارع الخزان ، بنابة أحمد حمد القصبي وإخوانه
هاتف ٢٥٥٦١

وهكذا نرى القليل من كتب هذا الإمام العظيم قد عرف طريقه إلى
النور ، فطبع طبعة رديئة ، وأكثرها تعرف اسمه ، ولا نهتدى إلى مكانه !
ويا لخسارة أمتنا الإسلامية حين تُحرم تراث رجل من رجالها الأفاضل ،
وحين ينفى مصباح من مصابيحها دون أن يهتدى بنوره أحد !

هذا الكتاب

وكتابنا هذا أحد كتب ابن الجوزي التي تعبّر عن جانب من اتجاهاته
العلمية وتشفّ عن لون من فكره وثقافته .

فهو في موضوعه يعرض سيرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه من بدايتها
إلى نهايتها ، وفي خلال ذلك يُدرج المؤلف دلائل نبوة الرسول وشواهد
صدقه في دعوته ، كما يوضح خصائصه ويجمع شمائله وهذّيه ، وما يتعلق
بنواحي حياته ونظام معيشته .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِأَسْمَائِهِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِأَسْمَائِهِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِأَسْمَائِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي قدّم نبينا صلى الله عليه وسلم على كل نبي أرسله ،
وفضّل كتابنا على كل كتاب أنزله ، وجعل أمتنا الأخيرة الأولّة ،
فله الشكر من معتقده أنه به وله .

اعلموا رحمكم الله (١) أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاصة (٢)
اله بوجد ، وواسطة العقود ، لا يداني باحة مجده بشر ولا ملك ، ولا يطرق
ساحة جدّه مخلوق إذا سلك .

نوّه بذكره قبل خلق آدم ، وأمر الأنبياء أن يُعلموا بوجوده العالم ،
ولم يبعث نبي قبله إلى غير أمته ، وشُرّف هو على الكل بعموم دعوته ،
ونسَخَ كثيرًا من شرائع الأنبياء بشريعته .

ولم يأت رأيت خلقتنا لا يحيطون علما بحقيقة فضيلته .
فأحببت أن أجمع كتابا أشير فيه إلى مرتبته ، وأشرح حاله من بدايته
إلى نهايته ، وأدّرج في ذلك الأدلة على صحة رسالته ، وتقدّمه على جميع
الأنبياء في رتبته .

(١) ز : اعلم رحمك الله . .

(٢) ز : خلاصة .

فإذا انتهى الأمر إلى مدفنه في تربته ، ذكرت فضل الصلاة عليه
وعرّض أعمال أمته ، وكيفية بعثته ، وموقع شفاعته ، وأخبرت بقربه
من الخالق يوم القيامة ومنزلته .

ولا أطرق الأحاديث خوفاً على السامع من ملامته ، ولا أخلط الصحيح
بالكذب^(١) كما يفعل من يقصد تكثير روايته ، مثل حديث هامة بين
الهميم ، وزريب بن برثملي وما جاء في مجانسته .

إذ في الصحيح ، غنية^(٢) لمن قضى الله بهدايته .

وقد زادت أبواب هذا الكتاب على خمسمائة باب والله الوفق برحمته .

(١) لئله راعى هذا الوعد الذى قطعه على نفسه ، فلقد خلط الصحيح
بالكذب فى بعض المواضع ! (٢) غنية : استغناء واكتفاء .

ذكر تراجم الأبواب

أبواب بداية نبينا صلى الله عليه وسلم

- | | |
|------------------|---|
| الباب الأول | : في ذكر التَّنْوِيهِ بِذِكْرِ نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ |
| الباب الثاني | من زمن آدم صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثالث | : في ذكر العليّة التي خلق منها صلى الله عليه وسلم . |
| | : في دعاء إبراهيم الخليل بإيجاد محمد صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الرابع | : في بيان ذكره في التوراة والإنجيل ، وذكر أمته واعتراف علماء أهل الكتاب بذلك . |
| الباب الخامس | : في إعلام كعب بن لؤي بن غالب ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما كان يسمع من أهل الكتاب . |
| الباب السادس | : في ذكر منام رآه نصر بن ربيعة اللخمي يدل على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم . |
| الباب السابع | : في ذكر نَسَبِ نَبِينَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . |
| الباب الثامن | : في ذكر طهارة آبائه وشرفهم . |
| الباب التاسع | : في بيان أن جميع العرب ولدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . |
| الباب العاشر | : في قوله : « وُلِدَتْ مِنْ فَكَاحٍ لَامِنْ سَفَاحٍ » . |
| الباب الحادي عشر | : في ذكر منام رآه عبد المطلب يدل على ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم . |

- الباب الثاني عشر : في ذكر منام رآه خالد بن سعيد بن العاص يدل على ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب الثالث عشر : في ذكر منام رآه عمرو بن مُمرة يدل على ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب الرابع عشر : في ذكر تزويج عبد المطلب وابنه عبد الله إلى بنى زُهرة .
- الباب الخامس عشر : في ذكر أبي نبينا صلى الله عليه وسلم .
- الباب السادس عشر : في ذكر تزويج عبد الله آمنة بنت وهب .
- الباب السابع عشر : في ذكر ما جرى لآمنة في حملها برسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب الثامن عشر : في ذكر وفاة عبد الله بن عبد المطلب .
- الباب التاسع عشر : في ذكر مولد نبينا صلى الله عليه وسلم .
- الباب العشرون : في قصة الفيل .
- الباب الحادى والعشرون : في ذكر ما جرى عند وضع آمنة ، رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب الثانى والعشرون : في ذكر ولادته مختونا مسروراً .
- الباب الثالث والعشرون : في ذكر الحوادث التى كانت ليلة ولادته .
- الباب الرابع والعشرون : في ذكر أمهات الحوادث .
- الباب الخامس والعشرون : في ذكر أسماء نبينا صلى الله عليه وسلم .
- الباب السادس والعشرون : في ذكر كنيته عليه السلام .
- الباب السابع والعشرون : في ذكر أول من أرضعته .
- الباب الثامن والعشرون : في ذكر حليلة وهى التى أرضعته بعد ثويبة .
- الباب التاسع والعشرون : في ذكر شرح صدره في صغره .

الباب الثلاثون : في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد تمام خمس سنين من مولده .

الباب الحادى والثلاثون : في ذكر وفاة آمنة .

الباب الثانى والثلاثون : في ذكر كفالة عبد المطلب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم .

الباب الثالث والثلاثون : في ذكر خروج عبد المطلب برسول الله صلى الله
عليه وسلم يستسقون عند غمام رقيقة .

الباب الرابع والثلاثون : في ذكر خروج عبد المطلب لتهنئة سيف
ابن ذى يزن ، بالملك ، وتبشير سيف عبد المطلب
بأن سيظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قبله .

الباب الخامس والثلاثون : في ذكر موت عبد المطلب .

الباب السادس والثلاثون : في ذكر كفالة أبى طالب رسول الله صلى
الله عليه وسلم .

الباب السابع والثلاثون : في ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى الشام مع عمه أبى طالب ولقائه بحميرى .

الباب الثامن والثلاثون : في ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم
حرب الفجار .

الباب التاسع والثلاثون : في ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم
حلف الفضول .

الباب الأربعون : في ذكر ما كان يتعبد به رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل النبوة .

الباب الحادى والأربعون : فى ذكر حادثة جرت لرسول الله صلى الله عليه

وسلم مع الملائكة وهو ابن عشرين سنة ،

فأخبر بها عمه أبا طالب .

الباب الثانى والأربعون : فى ذكر رغبة الغنم .

الباب الثالث والأربعون : فى ذكر اشتغاله بالتجارة قبل النبوة .

الباب الرابع والأربعون : فى ذكر خروجه إلى الشام مرة أخرى فى تجارة

لخديجة رضى الله عنها .

الباب الخامس والأربعون : فى تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة

رضى الله عنها .

الباب السادس والأربعون : فى ذكر شهود رسول الله صلى الله عليه وسلم

بنيان الكعبة ووضعه الحجر بيده صلى الله عليه وسلم .

أبواب ذكر نبوته صلى الله عليه وسلم

- | | |
|------------------|---|
| الباب الأول | : في ذكر المواقف بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثاني | : في ذكر إعلام الوحش بنبوته صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثالث | : في ذكر أمارات النبوة التي رآها قبل بعثته . |
| الباب الرابع | : في ذكر تسليم الأحجار والأشجار عليه . |
| الباب الخامس | : في ذكر بدء الوحي إليه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب السادس | : في ذكر تعليم جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء والصلاة . |
| الباب السابع | : في ذكر صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية الإسلام وعلى . |
| الباب الثامن | : في صفة نزول الوحي عليه . |
| الباب التاسع | : في ذكر الخلاف فيمن قرن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الملائكة . |
| الباب العاشر | : في سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يريه آية تقوى ما عنده . |
| الباب الحادى عشر | : في ذكر رعى الشياطين بالشهب حين بعث صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثانى عشر | : في ذكر ما وقع من التغيير في أحوال كسرى المسمى بأبرويز عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثالث عشر | : في ذكر دعاية (دعوة) رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام . |

الباب السابع والعشرون : في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي طالب عند موته .

الباب الثامن والعشرون : في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند موت أبي طالب وخديجة .

الباب التاسع والعشرون : في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم في خروجه إلى الطائف .

الباب الثلاثون : في ذكر دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة لما رجع من الطائف بمحار .

الباب الحادي والثلاثون : في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل في المواسم .

الباب الثاني والثلاثون : في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأنصار في سنة إحدى عشرة من النبوة .

الباب الثالث والثلاثون : في ذكر معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم

الباب الرابع والثلاثون : في ذكر لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار في العقبة الثانية في سنة ثلاث عشرة من النبوة .

الباب الخامس والثلاثون : في علم قريش بما جرى للأنصار وما تشاوروا أن يفعلوا في ذلك .

أبواب هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

- | | |
|------------------|---|
| الباب الأول | : في ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار . |
| الباب الثاني | : في ذكر ما جرى في الغار . |
| الباب الثالث | : في ذكر ما جرى له في طريقه إلى المدينة . |
| الباب الرابع | : في ذكر حديث أم مقبد . |
| الباب الخامس | : في تورية أبي بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقهم إلى المدينة . |
| الباب السادس | : في لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق المدينة بريدة الأسلمي وتفاؤله باسمه وخدمة بريدة إياه . |
| الباب السابع | : في ذكر تلقى أهل المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخوله إياها . |
| الباب الثامن | : في ذكر اليوم الذي قدم فيه المدينة . |
| الباب التاسع | : في ذكر المكان الذي نزل به حين دخل المدينة . |
| الباب العاشر | : في ذكر فرح أهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الحادي عشر | : في لقاء عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل المدينة . |
| الباب الثاني عشر | : في فضل المدينة . |
| الباب الثالث عشر | : في ذكر بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الرابع عشر | : في فضل مسجده صلى الله عليه وسلم . |

- | | |
|------------------|---|
| الباب الخامس عشر | : في ذكر ما بين يته ومنبره . |
| الباب السادس عشر | : في ذكر بيوته صلى الله عليه وسلم ومنازل أزواجه . |
| الباب السابع عشر | : في دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحبب إلى أصحابه المدينة . |
| الباب الثامن عشر | : في صلته إلى بيت المقدس وتحويل القبلة . |
| الباب التاسع عشر | : في ذكر الوقت الذي حوِّلت فيه . |
| الباب العشرون | : في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرس في المدينة . |

أبواب معجزاته صلى الله عليه وسلم

- | | |
|------------------|--|
| الباب الأول | : في ذكر معجزة القرآن العزيز . |
| الباب الثاني | : في معجزته بشق القمر . |
| الباب الثالث | : في إظهار معجزته في تكثير الطعام . |
| الباب الرابع | : في معجزته في تكثير السمن . |
| الباب الخامس | : في معجزته في تكثير التمر . |
| الباب السادس | : في معجزته في تكثير الماء . |
| الباب السابع | : في نبع الماء من بين أصابعه . |
| الباب الثامن | : في معجزته في تكثير اللبن . |
| الباب التاسع | : في ظهور معجزته بمجىء الشجرة إليه . |
| الباب العاشر | : في تحريك الجبل لأجله وسكونه بأمره . |
| الباب الحادى عشر | : في ذكر شكوى البهائم إليه ، ودُلُّ المستصعب منها له . |
| الباب الثانى عشر | : في ذكر معجزته [التى ظهرت] فى المركوب . |
| الباب الثالث عشر | : فى رَمِيهِ وجوه المشركين بكف من تراب فُلاُ أعينهم . |
| الباب الرابع عشر | : فى إشارته إلى الأصنام فوقعت . |
| الباب الخامس عشر | : فى إخباره صلى الله عليه وسلم بالغائبات . |
| الباب السادس عشر | : فى إلانة الصخر له . |
| الباب السابع عشر | : فى حنين الجذع إليه . |
| الباب الثامن عشر | : فى تسبيح الحصى فى يده . |
| الباب التاسع عشر | : فى ستره عن أعين من قصد أذاه من المشركين . |

- الباب العشرون : في دفع من أراد أذاه من الإنس .
الباب الحادى والعشرون : في كيفية هلاك بعض من آذاه .
الباب الثانى والعشرون : في دفع من قصد أذاه من الشياطين .
الباب الثالث والعشرون : في دفع أذى الهوام عنه .
الباب الرابع والعشرون : في إعادته عين بعض أصحابه وقد خرجت
فاستقامت .
الباب الخامس والعشرون : في كلام الجدار بحضرته .
الباب السادس والعشرون : في تكليم الظبية له .
الباب السابع والعشرون : في كلام الضب له .
الباب الثامن والعشرون : في إجابته اليهود عن مسائل لا يعلمهن إلا نبي .
الباب التاسع والعشرون : في رؤيته الأشياء من وراء ظهره .
الباب الثلاثون : في أنه كان يرى في الظلمة كما يرى في الضوء .
الباب الحادى والثلاثون : في إجابة دعائه .

**أبواب فضله على الأنبياء عليهم السلام وخصائصه ، ومثل ما بعث به
ومثل أمته ووجوب طاعته وتقديم محبته على النفوس**

باب الأول	: في ذكر فضله على الأنبياء عليهم السلام .
باب الثاني	: في ذكر خصائصه .
باب الثالث	: في ذكر إنفاذ قطيفة له من الجنة .
باب الرابع	: في رفع ذكره عليه السلام .
باب الخامس	: في ذكر مثله ومثل النبيين عليهم السلام .
باب السادس	: في ذكر مثله ومثل ما بعثه الله به .
باب السابع	: في فضل أمته على الأمم .
باب الثامن	: في ذكر مثله ومثل أمته .
باب التاسع	: في ذكر مثل من قبل ما جاء به ومثل من لم يقبل .
باب العاشر	: في وجوب طاعته عليه السلام .
باب الحادي عشر	: في وجوب تقديم محبته على الوالد والولد والنفس .

- الباب الثالث والعشرون : في ذكر قدميه صلى الله عليه وسلم .
الباب الرابع والعشرون : في ضخامة كراديسه صلى الله عليه وسلم .
الباب الخامس والعشرون : في ذكر اعتدال خلقه صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس والعشرون : في ذكر طوله صلى الله عليه وسلم .
الباب السابع والعشرون : في رقة بشرته صلى الله عليه وسلم .
الباب الثامن والعشرون : في صفة لونه صلى الله عليه وسلم .
الباب التاسع والعشرون : في ذكر حسنه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثلاثون : في ذكر عرقه .
الباب الحادي والثلاثون : في ذكر خاتم النبوة .

أبواب صفاته المعنوية

باب الأول	: في حسن خُلُقهِ صلى الله عليه وسلم .
باب الثاني	: في ذكر حلمه وَصَفْحِهِ صلى الله عليه وسلم .
باب الثالث	: في نهيه أن يُبَلِّغَ مالا يصلح .
باب الرابع	: في ذكر شفقتة ومداراته صلى الله عليه وسلم .
باب الخامس	: في ذكر حيائه صلى الله عليه وسلم .
باب السادس	: في ذكر تواضعه صلى الله عليه وسلم .
باب السابع	: في أنه بُعِثَ رَحْمَةً صلى الله عليه وسلم .
باب الثامن	: في ذكر اشتراطه على ربه [أن يَجْعَلَ] سَبَّه لن سَبَّه من المسلمين أجراً صلى الله عليه وسلم .
باب التاسع	: في ذكر كرمه وجوده صلى الله عليه وسلم .
باب العاشر	: في ذكر شجاعته صلى الله عليه وسلم .
باب الحادى عشر	: في ذكر مزاحه ومداعبته صلى الله عليه وسلم .
باب الثانى عشر	: في ذكر وفاته بالعهد صلى الله عليه وسلم .

أبواب آدابه وسمته صلى الله عليه وسلم

الباب الأول	: في جملة يده اليمنى للظهور واليسرى لدفع الأذى صلى الله عليه وسلم .
الباب الثاني	: في فعله عند عطسه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثالث	: في محبته التياؤن في أفعاله صلى الله عليه وسلم .
الباب الرابع	: في ذكر جلسته صلى الله عليه وسلم .
الباب الخامس	: في ذكر احتبائه صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس	: في ذكر اتكائه صلى الله عليه وسلم .
الباب السابع	: في ذكر استلقائه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثامن	: في صفة منطقته وألفاظه صلى الله عليه وسلم .
الباب التاسع	: في حركة يده حين يتكلم صلى الله عليه وسلم .
الباب العاشر	: في ذكر منبره صلى الله عليه وسلم .
الباب الحادى عشر	: في ذكر فصاحته صلى الله عليه وسلم .
الباب الثانى عشر	: في تكلمه بالفارسية .
الباب الثالث عشر	: في ذكر ما تمثل به من الشعر .
الباب الرابع عشر	: في ذكر ما سمع من الشعر .
الباب الخامس عشر	: في صفة مشيه صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس عشر	: في ذكر ضحكه وتبسمه صلى الله عليه وسلم .
الباب السابع عشر	: في محبته للقال والحسن من القول .
الباب الثامن عشر	: في تغييره الاسم التبيح بالحسن .

- الباب التاسع عشر : في قبوله الهدية وإثابته عليها .
الباب العشرون : في كثرة مشاورته لأصحابه صلى الله عليه وسلم .
الباب الحادى والعشرون : في ذكر فعله ، في أول مطر يقع .
الباب الثانى والعشرون : في احتياطه في نفي التهمة عنه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثالث والعشرون : في علامة رضاه وسخطه صلى الله عليه وسلم .
الباب الرابع والعشرون : في مخالطته الناس صلى الله عليه وسلم .
الباب الخامس والعشرون : في يمينه إذا حلف صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس والعشرون : فيما كان يقوله إذا قام من مجلسه صلى الله عليه وسلم .

أبواب زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

- الباب الأول : في إعراضه عن الدنيا صلى الله عليه وسلم .
الباب الثانى : في اقتناعه باليسير من الدنيا .
الباب الثالث : في أنه كان لا يدخر شيئاً صلى الله عليه وسلم .
الباب الرابع : فيما روى أنه كان يدخر .
الباب الخامس : في ذكر نفقته صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس : في صفة عيشه في الدنيا صلى الله عليه وسلم .

أبواب تعبدہ صلی اللہ علیہ وسلم

أبواب طہارۃ

- | | |
|--------------|--|
| الباب الأول | : فی ذکر ما کان یقولہ إذا دخل الکنیف . |
| الباب الثانی | : فی ما کان یقولہ إذا خرج منه . |
| الباب الثالث | : فی ابتلاع الأرض لحدثہ . |
| الباب الرابع | : فی ذکر وضوئہ صلی اللہ علیہ وسلم . |
| الباب الخامس | : فی أنه کان يتوضأ لكل صلاة . |
| الباب السادس | : فی جمیع الصلوات بوضوء واحد . |
| الباب السابع | : فی مسحہ علی الخفین . |
| الباب الثامن | : فی ذکر شواکہ علیہ السلام . |
| الباب التاسع | : فی صفۃ غُسلہ علیہ السلام . |

أبواب صلاته

- | | |
|------------------|--|
| الباب الأول | : في صفة صلاته عليه السلام . |
| الباب الثاني | : في مقدار ما كان يقرأ في الصلوات المفروضة . |
| الباب الثالث | : في ما كان يقوله بعد الفراغ من الصلاة . |
| الباب الرابع | : في تنقله بالنهار صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الخامس | : في ما كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة . |
| الباب السادس | : في ملازمته للمسجد بعد صلاة الفجر . |
| الباب السابع | : في صلاته الضحى صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثامن | : في ذكر صلاته بالليل صلى الله عليه وسلم . |
| الباب التاسع | : في طول قيامه بالليل . |
| الباب العاشر | : في قيامه طول الليل بآية . |
| الباب الحادي عشر | : في صفة قراءته . |
| الباب الثاني عشر | : في حسن صوته صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثالث عشر | : في ذكر الزمان الذي كان يحتم فيه . |
| الباب الرابع عشر | : في دعائه قائماً ، إذا ختم . |
| الباب الخامس عشر | : في ذكر وتره صلى الله عليه وسلم . |
| الباب السادس عشر | : في ما كان يصنع إذا فاتته ورؤده من القليل . |
| الباب السابع عشر | : في صلاة التراويح وعددها . |
| الباب الثامن عشر | : في قطعه لإياها خوف أن تفرض عليهم . |
| الباب التاسع عشر | : في سجوده الشكر . |

أبواب صومه

- | | |
|------------------|--|
| الباب الأول | : في ذكر صومه من الشهر وفطره . |
| الباب الثاني | : في صومه ثلاثة أيام من كل شهر . |
| الباب الثالث | : في صومه الاثنين والخميس . |
| الباب الرابع | : في صومه في شعبان . |
| الباب الخامس | : في مواصلته للصيام . |
| الباب السادس | : في ما كان يفطر عليه . |
| الباب السابع | : في ما كان يقوله إذا أفطر عند قوم . |
| الباب الثامن | : في جده واجتهاده في العشر الأخير من رمضان . |
| الباب التاسع | : في ذكر اعتكافه في العشر الأواخر من رمضان . |
| الباب العاشر | : في أكله يوم عيد الفطر قبل الخروج . |
| الباب الحادى عشر | : في حمل الحربة بين يديه يوم العيد . |
| الباب الثانى عشر | : في عدد تكبيراته في صلاة العيد . |
| الباب الثالث عشر | : في مخالفته الطريق يوم العيد . |

أبواب حجه وعمرته

الباب الأول	: في ذكر إحرامه عليه السلام .
الباب الثاني	: في ذكر تَكْلِيته عليه السلام .
الباب الثالث	: في دعائه يوم عرفة عليه السلام .
الباب الرابع	: في ذبح أضحيته بيده صلى الله عليه وسلم .
الباب الخامس	: في طوافه واستلامه الحجر .
الباب السادس	: في استلامه الركن اليماني .
الباب السابع	: في سعيه بين الصفا والمروة .
الباب الثامن	: في رميه الجُمرة عليه السلام .
الباب التاسع	: في دخوله الكعبة عليه السلام .
الباب العاشر	: في خطبته في حجة الوداع .
الباب الحادي عشر	: في سياق حجه جملة .
الباب الثاني عشر	: في عدد عُمره عليه السلام .

أبواب خوفه وتضرعه وحرته وفكره وبكائه وورعه وقصر أمله واستغفاره وتوبته

الباب الأول	: في ذكر خوفه وتضرعه عليه السلام .
الباب الثاني	: في انزعاجه من الغيم والريح .
الباب الثالث	: فيما كان يقوله إذا سمع صوت الرعد والصواعق .
الباب الرابع	: في ذكر حزنه وفكره عليه السلام .
الباب الخامس	: في ذكر بكائه عليه السلام .
الباب السادس	: في ذكر ورعه عليه السلام .
الباب السابع	: في قصر أمله عليه السلام .
الباب الثامن	: في استغفاره وتوبته عليه السلام .

أبواب دعائه

الباب الأول	: في بسط يديه عند الدعاء .
الباب الثاني	: في دعائه عند الصباح والمساء .
الباب الثالث	: في دعائه عليه السلام عند الكرب .
الباب الرابع	: في دعائه مطلقا عليه السلام .

أبواب آلات بيته

الباب الأول	: في ذكر سريره صلى الله عليه وسلم .
الباب الثاني	: في ذكر حصيره عليه السلام .
الباب الثالث	: في ذكر كرسيه عليه السلام .
الباب الرابع	: في ذكر فراشه عليه السلام .
الباب الخامس	: في ذكر لحافه عليه السلام .
الباب السادس	: في ذكر وسادته عليه السلام .
الباب السابع	: في ذكر اتكائه على الوسادة .
الباب الثامن	: في ذكر قطيفته عليه السلام .
الباب التاسع	: في ذكر قننته عليه السلام .

أبواب لبسه

الباب الأول	: في ذكر قيصة عليه السلام .
الباب الثاني	: في ذكر جبهته عليه السلام .
الباب الثالث	: في ذكر إزاره وكسائه عليه السلام .
الباب الرابع	: في ذكر حلته عليه السلام .
الباب الخامس	: في ذكر بردته عليه السلام .
الباب السادس	: في ذكر عمامته عليه السلام .
الباب السابع	: في ذكر قلنسوته عليه السلام .
الباب الثامن	: في ذكر ردائه عليه السلام .
الباب التاسع	: في ذكر سراويله عليه السلام .
الباب العاشر	: في لبسه الصوف .
الباب الحادي عشر	: في لبسه ما يتفق من اللباس .
الباب الثاني عشر	: في لبسه الثوب المستجد .
الباب الثالث عشر	: فيما كان يقوله عند اللبس .
الباب الرابع عشر	: في ذكر خفه .
الباب الخامس عشر	: في ذكر نعله عليه السلام .

أبواب ذكر مراقبه

الباب الأول	: في ذكر خيله صلى الله عليه وسلم .
الباب الثاني	: في ذكر ناقته عليه السلام .
الباب الثالث	: في ذكر بغلته عليه السلام .
الباب الرابع	: في ذكر حماره عليه السلام .
الباب الخامس	: في ذكر سرجه عليه السلام .
الباب السادس	: فيما كان يقوله إذا ركب .

أبواب ذكر مواليه وخدمه عليه السلام

الباب الأول	: في ذكر مواليه عليه السلام .
الباب الثاني	: في ذكر موالياته عليه السلام .
الباب الثالث	: في ذكر من خدمه من الأحرار صلى الله عليه وسلم .

أبواب زينته

الباب الأول	: في ذكر خاتمه عليه السلام .
الباب الثاني	: في ذكر خضابه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثالث	: في استعماله المشط .
الباب الرابع	: في فرق رأسه صلى الله عليه وسلم .
الباب الخامس	: في استعماله الدهن عليه السلام .
الباب السادس	: في ذكر المرأة .
الباب السابع	: في أخذه من اللحية .
الباب الثامن	: في جز شاربه .
الباب التاسع	: في استعماله النورة .
الباب العاشر	: في محبته للطيب وتطيبه .

- الباب الثانى والعشرون : فى أكله العنب .
الباب الثالث والعشرون : فى أكله الرطب .
الباب الرابع والعشرون : فيما كان يفعل بأول الثمر .
الباب الخامس والعشرون : فى أكله الخبيص .
الباب السادس والعشرون : فى أكله بثلاث أصابع ولعقها .
الباب السابع والعشرون : فى أكله مما يليه .
الباب الثامن والعشرون : فى أكله مُقْعِيّاً من الجوع .
الباب التاسع والعشرون : فى أنه لم يأكل مُتَّكِنّاً .
الباب الثلاثون : فى أنه لم يذمّ طعاماً .
الباب الحادى والثلاثون : فى أنه كان لا يأكل الصدقة .
الباب الثانى والثلاثون : فى حده الله عند فراغه من الطعام وغسل يديه
صلى الله عليه وسلم .

أبواب شربه ومشروباته

الباب الأول	: في أنه كان يُستعذب له الماء .
الباب الثاني	: في اختياره الماء البائت .
الباب الثالث	: في إثارة الماء البارد .
الباب الرابع	: في ذكر الآنية التي كان يشرب منها .
الباب الخامس	: في شربه اللبن صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس	: في شربه النبيذ وصفة ذلك النبيذ .
الباب السابع	: في شربه السَّويق .
الباب الثامن	: في كيفية شربه عليه السلام .
الباب التاسع	: في تنفسه في الإناء ثلاثاً .
الباب العاشر	: في شربه قائماً وقاعداً .
الباب الحادى عشر	: في شربه وأصحابه إذا مقام .
الباب الثانى عشر	: في مناولته مَنْ عن يمينه .

أبواب نومه

: في مسامرتة أزواجه بالليل .	الباب الأول
: في نزوله وصعوده ليلة الجمعة :	الباب الثانى
: في وضوئه قبل النوم .	الباب الثالث
: في اكتحاله عند النوم عليه السلام .	الباب الرابع
: في صفة فراشه الذى كان ينام عليه بالليل .	الباب الخامس
: فيما كان يصنع إذا أتى الفراش .	الباب السادس
: في كيفية نومه وما كان يقوله عند النوم .	الباب السابع
: فيما كان يقوله إذا استيقظ .	الباب الثامن
: في أنه تنام عيناؤه ولا ينام قلبه .	الباب التاسع
: في ذكر بعض مناماته صلى الله عليه وسلم .	الباب العاشر

أبواب طبه

: في كثرة أمراضه .	الباب الأول
: في ذكر حجامته .	الباب الثانى
: في تداويه بالحناء عليه السلام .	الباب الثالث

أبواب نكاحه

الباب الأول	: في تحبيب النساء إليه عليه السلام .
الباب الثاني	: في ذكر أزواجه وعددهن .
الباب الثالث	: في ذكر سراپيه صلى الله عليه وسلم .
الباب الرابع	: في ذكر قوته على الجماع .
الباب الخامس	: في استتاره وغيض بصره عند الجماع .
الباب السادس	: في ذكر طوافه على نسائه في ساعة .
الباب السابع	: في أنه كان يطوف على نسائه بغسل واحد .
الباب الثامن	: في اغتساله في كل وطء .
الباب التاسع	: في ذكر مداراته لنسائه .
الباب العاشر	: في تأديب أزواجه بالهجر .
الباب الحادى عشر	: في ذكر أولاده وعددهم .

أبواب سفره

- | | |
|--------------|---|
| الباب الأول | : في ذكر اليوم الذي كان يسافر فيه . |
| الباب الثاني | : في ذكر ما كان يقوله إذا خرج للسفر . |
| الباب الثالث | : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يودّع المسافر . |
| الباب الرابع | : كيف كان سير رسول الله صلى الله عليه وسلم
في السفر . |
| الباب الخامس | : فيما كان يقوله إذا نزل من الليل منزلاً . |
| الباب السادس | : فيما كان يقوله في السفر . |
| الباب السابع | : في ذكر تنفله على الراحلة . |
| الباب الثامن | : فيما كان يقوله إذا رجع من السفر . |
| الباب التاسع | : فيما كان يصنع إذا قدم من السفر . |
| الباب العاشر | : في أنه كان لا يطرق أهله ليلاً . |

أبواب آلات حربه

الباب الأول	: في ذكر سيفه .
الباب الثاني	: في ذكر درعه .
الباب الثالث	: في ذكر مغفره .
الباب الرابع	: في ذكر قوسه .
الباب الخامس	: في ذكر رمحه .
الباب السادس	: في ذكر حربه .
الباب السابع	: في ذكر رايته ولوائه .
الباب الثامن	: في ذكر قضيبه .
الباب التاسع	: في ذكر عصاته صلى الله عليه وسلم .

أبواب غزواته

الباب الأول	: في ذكر ما كان يقوله إذا غزا .
الباب الثاني	: في ذكر غزوة الأبراء .
الباب الثالث	: في ذكر غزوة بواط .
الباب الرابع	: في ذكر غزوة طلب كرز بن جابر .
الباب الخامس	: في ذكر غزاة ذى العشيرة .
الباب السادس	: في ذكر غزاة بدر .
الباب السابع	: في ذكر إلقاء رموس المشركين في القليب .
الباب الثامن	: في ذكر غزاة بنى قينقاع .
الباب التاسع	: في ذكر غزاة السويق .
الباب العاشر	: في ذكر غزاة قرقرة الكدر .
الباب الحادى عشر	: في ذكر غزاة غطفان .
الباب الثانى عشر	: في ذكر غزاة بنى سليم .
الباب الثالث عشر	: في ذكر غزاة أحد .
الباب الرابع عشر	: في ذكر غزاة حمراء الأسد .
الباب الخامس عشر	: في ذكر غزاة بنى النضير .
الباب السادس عشر	: في ذكر غزاة بدر الموعده .
الباب السابع عشر	: في ذكر غزاة ذات الرقاع .
الباب الثامن عشر	: في ذكر غزاة دومة الجندل .
الباب التاسع عشر	: في ذكر غزاة المريسيع .
الباب العشرون	: في ذكر غزاة الخندق .
الباب الحادى والعشرون	: في ذكر غزاة بنى قريظة .

- الباب الثاني والعشرون : في ذكر غزاة بنى لحيان .
الباب الثالث والعشرون : في ذكر غزاة الغابة .
الباب الرابع والعشرون : في ذكر غزاة خيبر .
الباب الخامس والعشرون : في ذكر غزاة الفتح .
الباب السادس والعشرون : في ذكر غزاة حنين وهي غزاة هوازن .
الباب السابع والعشرون : في ذكر غزاة الطائف .
الباب الثامن والعشرون : في ذكر غزاة تبوك .
الباب التاسع والعشرون : في ذكر شعاره في حروبه .

أبواب سراياه

- | | |
|--------------|---|
| الباب الأول | : في عذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تخلفه عن السرايا . |
| الباب الثاني | : في عدد سراياه صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثالث | : في وصايا السرايا . |
| الباب الرابع | : في إنكاره مالا يصلح من فعل أمير انسرايا . |

أبواب مكاتبته اقلوك

- | | |
|------------------|--|
| الباب الأول | : في إرساله إلى المقوقس وكتابه إليه . |
| الباب الثاني | : في إرساله إلى قيصر . |
| الباب الثالث | : في ذكر إرساله إلى كسرى وكتابه إليه . |
| الباب الرابع | : في ذكر إرساله إلى النجاشي وكتابه إليه . |
| الباب الخامس | : في ذكر إرساله إلى الحارث بن أبي شمر الفسافي . |
| الباب السادس | : في ذكر إرساله إلى هوذة بن علي الجعفي وكتابه إليه . |
| الباب السابع | : في إرساله إلى جبلة بن الأيهم وكتابه إليه . |
| الباب الثامن | : في ذكر إرساله إلى ذى الكلاع . |
| الباب التاسع | : في كتابه إلى فروة الجذامي . |
| الباب العاشر | : في ذكر كتابه إلى جيفر وعبد بن الجلفندي . |
| الباب الحادي عشر | : في إرساله إلى المنذر . |
| الباب الثاني عشر | : في ذكر كتابه إلى ملوك حير . |

أبواب ذكر الوفود عليه

الباب الأول	: في ذكر وفد سعد بن بكر .
الباب الثاني	: في ذكر وفد مزينة .
الباب الثالث	: في ذكر وفد فزارة .
الباب الرابع	: في ذكر وفد تجيب .
الباب الخامس	: في ذكر وفد سعد هذيم وهم أهل اليمن .
الباب السادس	: في ذكر وفد محارب .
الباب السابع	: في ذكر وفد بجيلة .
الباب الثامن	: في ذكر وفد نهدي .
الباب التاسع	: في ذكر وفد عامر بن صعصعة .
الباب العاشر	: في ذكر وفد عبد القيس .
الباب الحادي عشر	: في ذكر وفد بني حنيفة .

أبواب ما جرى بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع

الباب الأول	: في استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل البقيع .
الباب الثاني	: في تأميره أسامة بن زيد .
الباب الثالث	: في مجيء الخبر بظهور مُسلمة .
الباب الرابع	: في ظهور الأسود العنسي .
الباب الخامس	: في ظهور طلحة بن خويلد .

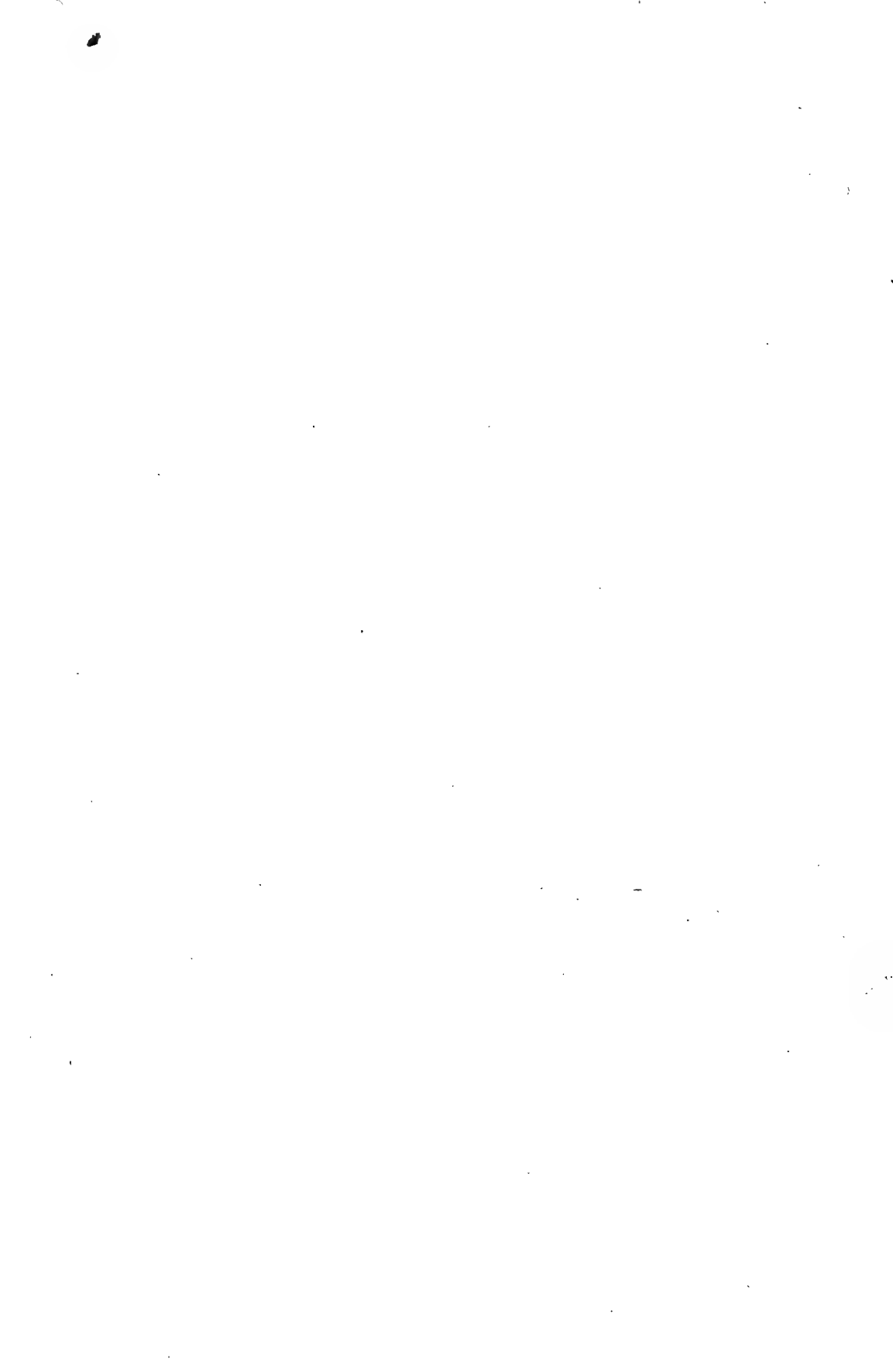
- الباب الثامن عشر : في تحذيره أن يُتخذ قبره مسجداً .
- الباب التاسع عشر : في ذكر معاتبته نفسه على كراهية الموت .
- الباب العشرون : في جمعه أصحابه وإيصائهم .
- الباب الحادى والعشرون : في بيان أنه ما أوصى بشيء من الدنيا .
- الباب الثانى والعشرون : في وصيته بالصلاة عند موته .
- الباب الثالث والعشرون : في صفة خروج روحه الطاهرة .
- الباب الرابع والعشرون : في صفة الثياب التى توفى فيها .
- الباب الخامس والعشرون : في ذكر وقت موته .
- الباب السادس والعشرون : في أن الناس شكُّوا في موت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- الباب السابع والعشرون : في ذكر سِنِّه .
- الباب الثامن والعشرون : في ذكر ما خُفَّ وحكمه .
- الباب التاسع والعشرون : في ذكر غسله .
- الباب الثلاثون : في ذكر كفنه .
- الباب الحادى والثلاثون : في ذكر الصلاة عليه صلاة الجنازة .
- الباب الثانى والثلاثون : في ذكر موضع قبره .
- الباب الثالث والثلاثون : في ذكر لحده .
- الباب الرابع والثلاثون : في ذكر وقت دفنه .
- الباب الخامس والثلاثون : في ذكر الذين نزلوا في قبره .
- الباب السادس والثلاثون : في ذكر ما نزل من قبره .
- الباب السابع والثلاثون : في صفة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه .

- الباب الثامن والثلاثون : في فضل زيارة قبره .
- الباب التاسع والثلاثون : في ذكر الاستسقاء بقبره .
- الباب الأربعون : في ذكر ندب فاطمة عليها السلام .
- الباب الحادى والأربعون : في فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .
- الباب الثانى والأربعون : في كيفية الصلاة عليه .
- الباب الثالث والأربعون : في ذم من ذكر عنده فلم يصل عليه صلى الله عليه وسلم .
- الباب الرابع والأربعون : في ذكر ماسمع من التعزية برسول الله صلى الله عليه وسلم من المواتف .
- الباب الخامس والأربعون : في أنه لا يبلى .
- الباب السادس والأربعون : في تبليغ الملائكة إليه الصلاة والتسليم .
- الباب السابع والأربعون : في بلوغ سلام أمته إليه ورده على من يسلم عليه .
- الباب الثامن والأربعون : في رؤيته في المنام .
- الباب التاسع والأربعون : في عرض أعمال أمته عليه صلى الله عليه وسلم .

أبواب بعثه وحشره وما يجري له

- | | |
|------------------|---|
| الباب الأول | : في أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة . |
| الباب الثاني | : في حشر عيسى بن مريم مع نبينا صلى الله عليه وسلم . |
| الباب الثالث | : في كيفية حشره عليه السلام . |
| الباب الرابع | : في ذكر لوائه عليه السلام . |
| الباب الخامس | : في أنه أكثر الأنبياء تبعاً . |
| الباب السادس | : في ذكر حوضه عليه السلام . |
| الباب السابع | : في ذكر شفاعته . |
| الباب الثامن | : في ذكر المقام المحمود . |
| الباب التاسع | : في تخليصه المؤمنين على الصراط . |
| الباب العاشر | : في أنه أول من يدخل الجنة . |
| الباب الحادى عشر | : في ذكر علو منزلته على الخلق في الجنة صلى الله عليه وسلم . |

أَبْوَابُ بَدَايَةِ نَبِيِّنَا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



الباب الثاني

في ذكر الطينة التي خلق منها محمد صلى الله عليه وسلم

• عن كعب الأحبار قال : لما أراد الله تعالى أن يخلق محمداً صلى الله عليه وسلم ، أمر جبريل عليه السلام أن يأتيه .
فأتاه بالقبضة البيضاء ، التي هي موضع قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فصجنت بماء التسنيم ، ثم غسست في أنهار الجنة ، وطيف بها في السموات
والأرض .

فعرفت الملائكة محمداً وفضله ، قبل أن تعرف آدم .
ثم كان نور محمد صلى الله عليه وسلم يرى في غرة جبهة آدم .
وقيل له : يا آدم ، هذا سيد ولدك من الأنبياء والمرسلين .
فلما حملت حواء بـ « شيث » انتقل عن آدم إلى حواء ، وكانت
تلد في بطن ولدين إلا شيثاً ، فإنها ولدته وحده كرامة لمحمد صلى الله
عليه وسلم (١) .

ثم لم يزل ينتقل من طاهر إلى طاهر ، إلى أن ولد صلى الله عليه وسلم .

• عن ابن عباس قال : قلت : يا رسول الله ، أين كنت وآدم
في الجنة ؟

(١) ومن أين لكعب هذا العلم الذي يخالف سنة الله في خلقه ، والذي يمارض
الواقع ، ولا يؤيده شاهد آخر صحيح ؟ !

الباب الثالث

في دعاء إبراهيم الخليل بإيجاد محمد صلى الله عليه وسلم

• لما بنى الخليل عليه السلام الكعبة دعا لأهل مكة فقال :
رَبَّنَا وَابْقُ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ (١) .

قال السدي عن أشياخه : هو محمد صلى الله عليه وسلم .

• عن العرياض بن سارية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إني عند الله ، نحاتم النبيين ، وإن آدم لمجدل في طينته ، وسأخبركم
بأول ذلك :

أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت ،
وكذلك أمهات النبيين يرين » .

ورواه ليث عن معاوية فقال : وإن أمه رأت — حين وضعته — نورا
أضاءت منه قصور الشام .

(١) البقرة الآية ١٢٩ وبقيتها (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) .

فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، بم بعثت ؟
قال النبي صلى الله عليه وسلم : بالحنيفية ، دين إبراهيم .
[قال : فأنا عليها .]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لست عليها [(١)] .
فقال : أنت تخلطها بغيرها .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أتيتُ بها بيضاء نقية ، أين ما كان
يخبرك الأحبار من اليهود والنصارى من صفتي ؟
فقال : لست بالذي وصفوا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذبت .
فقال : ما كذبتُ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكاذبُ أمانة الله وحيداً طريداً .
فقال : آمين .

ثم رجع إلى مكة فكان مع قريش يتبع دينهم ، وترك ما كان عليه .
وفي رواية أخرى : فلما أسلم أهلُ الطائف ، لحق بالشام فات بها
طريداً وحيداً غريباً .

● وقال ابن عباس : إن يهود كانوا يستفتحون على الأوس
والخزرج ، برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مَبْعَته .

فلما بعثه الله من العرب ، كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه .

قال : رجل من ولد غالب بن فهر ، بن مالك بن النضر ، يكون
الملك في قومه إلى آخر الدهر .

قال : وهل للدهر من آخر ؟

قال : نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون
ويشقى به السيئون .

قال : أحق ما تخبرني به ؟

قال : نعم والشفق والنسق والفلق ، إن ما أنبأتك به لحق .

فلما فرغ قدم شقاً فقال له : إني رأيت رؤيا فأخبرني بها . فأخبره
كما قال سطيح ، وأخبره بتقلب الممالك على نحو ما قال سطيح ، إلى أن قال :
ثم يأتي رسولٌ يأتي بالحق والعدل ، يكون الملك في قومه إلى
يوم الفصل .

قال : وما يوم الفصل ؟

قال : يوم تجزى فيه الولاة ، ويجمع الناس الميقات .

جعل القبائل جعلنى فى خير قبيلة ، ثم حين جعل البيوت جعلنى من خير بيوتهم ، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً » .

• وقال ربيعة : إن ناساً من الأنصار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا نسمع من قومك حين يقول القائل منهم : إنما مثل محمد مثل نخلة تنبت فى كِبا » .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا إن الله خلق خلقه ، ثم فرقهم فرقتين ، فجعلنى من خير الفريقين ، ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة ، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً » .

« الكبا » مقصور . وهو الكناسة . قال الأصمعى : فإذا مدَّ فهو البحر . قال شمر : ولم يسمع الكبوة .

الباب العاشر

في قوله عليه السلام : « ولدت من نكاح لا من سفاح »

• عن علي بن أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خرجت من نكاح ، ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم ، إلى أن ولدني أبي وأمي ، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء » .

• عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لم يلتق أبواي قط على سفاح ، لم يزل الله يفتلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة ، مصنيٌّ مُهذَّباً ، ولا تشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما » .

وذكر ياسر بن سُويد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه في خيل
أوسريّة ، وامرأته حامل ، فولد له مولود ، فحملته أمه إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، قد ولدت هذا المولود ، وأبوه
في الخيل .

فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمرّ يده عليه وقال :
اللهم أكثّر رجالهم ، وأقلّ نساءهم ، ولا تحوجهم ، ولا تثر أحدانهم
خصاصةً .

ثم قال « سَمِّيه مُسْرَعًا ، فهو إسرَاع في الإسلام » .

قالت : قَرَّبُوا صَاحِبَكُمْ ، وَقَرَّبُوا عَشْرًا مِنَ الْإِبْلِ ، ثُمَّ اضْرِبُوا عَلَيْهِ
وَعَلَى [الْإِبْلِ] الْقِدْحَ (١) .

فَإِنْ خَرَجْتَ عَلَى صَاحِبِكَ ، فَزِيدُوا مِنَ الْإِبْلِ حَتَّى يَرْضَى رَبِّكُمْ .

فَإِذَا خَرَجْتَ عَلَى الْإِبْلِ ، فَقَدْ رَضَى ، وَنَجَا صَاحِبُكَ .

فَقَرَّبُوا عَبْدَ اللَّهِ وَعَشْرًا ، فَخَرَجْتَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ .

فَزَادُوا عَشْرًا ، فَخَرَجْتَ عَلَيْهِ ، فَزَادُوا ، فَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ ، حَتَّى
جَعَلُوهَا مِائَةً .

فَخَرَجَ الْقِدْحُ عَلَى الْإِبْلِ فَتُحِرْتَ ، ثُمَّ تَرَكْتَ لَا يُصَدُّ عَنْهَا إِنْسَانٌ ،
وَلَا سَبْعٌ .

(١) ابن هشام : ثُمَّ اضْرِبُوا عَلَيْهِ وَعَلَيْهَا بِالْقِدَاحِ .

الباب السابع عشر

في ذكر ما جرى لأمنة في حملها برسول الله صلى الله عليه وسلم

• عن عمة وهب بن ربيعة قالت : كنا نسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت به آمنة بنت وهب كانت تقول :
ما شعرتُ أني حملت به ولا وجدت له قفلاً كما تجد النساء ، إلا أني
أنكرت رفع حيضتي .
فأتاني آت ، وأنا بين النائم واليقظان فقال : هل شعرت أنك حملت ؟
فكأنني أقول : ما أدري .

فقال : إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها . وذلك يوم الاثنين .
قالت : فكان ذلك مما يقنّ عندى الحمل ، ثم أمهلني .
حتى إذا دنت ولادتي ، أتاني ذلك الآتي فقال :
قولي : أعيذه بالواحد ، من شر كل حاسد .
قالت : كنت أقول ذلك .
فذكرت ذلك لنسائي ، فقلن تعلقي جديداً في عضديك وفي عنقك .
قالت : ففعلت ، فلم يكن يترك [عليّ] ^(١) إلا أياماً ، فأجده قد
[قطع] ^(١) فكنت لا أتعلقه .
ولقد قالت آمنة : لقد علقت به ، فما وجدت مشقة حتى وضعته .
وأمرت أن تسميه أحمد .

(١) من الخصائص الكبرى للسيوطي .

كَمَا وَلَدَتْ زُهْرِيَّةٌ ذَاتُ مَفْخَرٍ نَجِيَّةٌ مِنْ لُؤْمِ الْقَبَائِلِ مَاجِدَةٌ
وَقَدْ وَلَدَتْ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَحَدًا فَأَكْرَمَ مَوْلُودًا وَأَكْرَمَ وَالِدًا

وقال الذي على أبي قيس :

يَا سَاكِنِي الْبَطْحَاءِ (١) لَا تَغْلَطُوا
إِنَّ بَنِي زُهْرَةَ مِنْ سِرِّكُمْ (٢)
وَاحِدَةٌ مِنْكُمْ فَهَاتُوا لَنَا
وَاحِدَةً مِنْ غَيْرِهِمْ مِثْلَهَا
وَمَيِّزُوا الْأَمْرَ بِفِعْلِ مَضَى
فِي غَابِرِ (٣) الْأَمْرِ وَعِنْدَ الْبَدَى
فَيَمْنُ مَضَى فِي النَّاسِ أَوْ مَنْ بَقِيَ
جَنِينُهَا مِثْلَ النَّبِيِّ النَّقِيِّ

(١) موضع بمكة على طريق منى .

(٢) قوله « من سرکم » تعبير مجازي ، والمراد : من الاشراف نسباً .
قال في أساس البلاغة « أعطيتك سره : خالصه وهو في سر النسب ؛ محضه » .

(٣) قوله : في غابر : أى في الماضي . وقد يطلق على المستقبل فهو من الاضداد .

الباب الثاني والعشرون

في ولادته مسرورا غتونا

• عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كرامتي ،
أنى وُلِدْتُ نَحْتُونًا ، ولم يرَ أحدٌ سَوَاءً تى » .

فإن قيل : فلمَ لم يولد مطهر القلب من حظ الشيطان ، حتى شُقَّ صدره
وأخرج قلبه ؟

قال ابن عَقِيل : لأن الله سبحانه أخفى أذون التطهيرين الذى جرت
العادة أن تفعله القابلة والطبيب ، وأظهر أشرفهما وهو القلب ، فأظهر آثار
التجمل والعناية بالعصمة فى طرقات الوحي .

- وفى سنة ائنتى عشرة ، كان المعراج .
- وفى سنة ثلاث عشرة ، بايعه الأنصار فى العقبة .
- وفى السنة الأولى من سنى الهجرة ، خرج إلى الغار . وفيها آخى بين المهاجرين والأنصار .
- وفى سنة ائنتين حُوِّلَتِ القبلة إلى الكعبة ، ونزلت فريضة رمضان ، وكانت غزاة بدر .
- وفى السنة الثالثة كانت غزاة أحد ، وفى السابعة غزاة خيبر .
- وفى الثامنة كانت غزاة الفتح .
- وفى العاشرة ، حجَّ صلى الله عليه وسلم .
- وفى الحادية عشرة ، تُوفِّيَ صلى الله عليه وسلم .

الباب السابع والعشرون

في ذكر أول من أرضعه صلى الله عليه وسلم

- أول من أرضعه ثوية ، مولاة أبي لهب ، أياماً .
- ثم قدمت حليلة .

وكان عبد المطلب قد تزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف ، وزوج ابنة عبد الله آمنة بنت وهب بن عبد مناف في مجلس واحد ، فولد حمزة .

ثم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرضعتهما ثوية ، بلبن ابنها مسروح أياماً .

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقد عرضت عليه ابنة حمزة ليتزوجها - : إنها لا تحمل لي ، إنها بنت أخي ، أرضعني وأبأها ، ثوية .

وكانت ثوية تدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما تزوج خديجة ، فيكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتكرمها خديجة ، وهي يومئذ أمة ، ثم أعتقها أبو لهب .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إليها بعد الهجرة بكسوة وصلة ، حتى ماتت بعد فتح خيبر ، ولا يعلم أنها أسلمت .

بل قد قال أبو نعيم الأصبهاني : حكى بعض العلماء أنه اختلف في إسلامها .

• عن عروة قال : كانت ثوبية مولاة لأبي لهب ، فأعتقها ، فأرضعت النبي صلى الله عليه وسلم .

فلما مات أبو لهب ، رآه بعض أهله في النوم ، فقال :

ماذا لقيت يا أبا لهب ؟

فقال : ما رأيت بعدكم رَوْحًا ، غير أني سقيت في هذه — وأشار إلى النقرة التي فوق الإبهام — بعتق ثوبية .

قال : وكانت أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبا سلمة .

قالت : ما ردّ كما به ؟ فقد كنتما حريصين عليه ؟
فقلنا : لا والله ، إلا أنا قد كفلناه ، وأدّينا الذى علينا من الحق فيه ،
وتخوفنا عليه الأحداث ، فقلنا : يكون عند أمه .

قالت : والله ما ذاك بكما ، فأخبرانى خبركما وخبره .

قالت : فوالله ما زالت بنا ، حتى أخبرناها خبره .

قالت : أتخافين عليه ؟ لا والله ، إن لإبنى هذا شأنًا . ألا أخبركما عنه ؟
إنى لما حملت به ، فلم أحمل حملاً^(١) قط هو أخف منه ، ولا أعظم
بركة منه :

ولقد وضعت ، فلم يقع كما تقع الصبيان ، لقد وقع واضعاً يده فى الأرض ،
رافعاً رأسه إلى السماء .

دعاه والحقا بشأنكما .

(١) يفهم منه أنها حملت بغيره وهو غير صحيح .

لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ۝ (١)

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أشهدكم ، أنى برىء من آمنة ، كما تبرأ
إبراهيم من أبيه .

- عن الحسن بن جابر ، وكان من المجاورين بمكة قال :
رُفِعَ إلى المأمون أن السَّيْلَ يدخل قبر أمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
لموضع معروف هناك ، فأمر المأمون بإحكامه .
قال ابن البراء : قد وصف لى ، وأنا بمكة ، وضعه .
فيجوز أن يكون توفيت بالأبواء ، ثم حلت إلى مكة ، فدفنت بها .

فلما حضرت عبد المطلب الوفاة ، أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحياطته .

• عن ابن عباس قال : سمعت أبي يقول : كان لعبد المطلب مفرش في الحجر ، لا يجلس عليه غيره ، وكان حرب بن أمية فمنّ دونه ، يجلسون حوله دون المفرش .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، وهو غلام لم يبلغ ، فجلس على المفرش ، فجزه رجل ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال عبد المطلب ، وذلك ما بعد كُفّ بصره : ما لابني يبكي ؟ قالوا له : أراد أن يجلس على المفرش ، فننعوه .

فقال عبد المطلب : دعوا ابني ، يجلس عليه ، فإنه يحسّ من نفسه شرفاً ، وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربى قبله ولا بعده .

وكان الصبيان يصبحون رمصاً شعثاً ، ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دميناً كحليلاً .

• عن عمرو بن سعيد قال : كان أبو طالب يُلقَى له وسادة يقعد عليها ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام يقعد عليها فقال أبو طالب : وآله ربيعة إن ابن أخي ، ليحس بنعيم .

• عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب قال : كنت بذى الحجاز ، ومعى ابن أخي ، يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأدركنى العطش ، فشكوت إليه فقلت : يا ابن أخي قد عطشت ، وما قلت له ، وأنا أرى أن عنده شيئاً إلا الجوع .

قال : فتى وركه ، ثم نزل فقال : يا عم أعطشت ؟ قال : قلت : نعم . فأهوى بعقبه إلى الأرض ، فإذا بالماء ، فقال : اشرب يا عم ، فشربت .

الباب الثامن والثلاثون

في ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم حرب الفجار

الفجار اثنان : الفجار الأول ، والفجار الثاني .

أما الأول فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، وكانت الحرب فيه ، ثلاث مرات .

أما المرة الأولى ، فسيها أن بدر بن معشر الفجاري ، كان يفتخر على الناس .

فبسط يوما رجليه وقال : أنا أعز العرب ، فمن زعم أنه أعز مني ، فليضربها بالسيف .

فوثب رجل من بني نصر بن معاوية يقال له « الأحمر بن مازن » فضربه بالسيف على ركبته فأندرها (١) فاقتتلوا .

• وأما المرة الثانية فكان سيها أن امرأة من بني عامر كانت جالسة بسوق عكاظ ، فأطاف بها شاب من قريش من بني كنانة ، فسألوها أن تُسفر (٢) فأبت .

فقام أحدهم ، فجلس خلفها ، وحل طرف درعها إلى ما فوق عجزها بشوكة .

(١) أندرها : أى : قطعها .

(٢) أى : تكشف عن وجهها فامتنت .

ظفرت به يهود ، قتلته ، وليس الرأى من الشيطان ، ولكنه من النواميس
الذين يتجسسون القلوب للنبوة .

فرجع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أحسست حساً ما شاء الله ،
حتى رأيت في منامى رجلاً وضع يده على منكبي . ثم أدخل يده فأخرج قلبي
ثم قال : قلب طيب ، في جسد طيب ، ثم رده ، فاستيقظت .

ثم قال : رأيت وأنا نائم سقف البيت الذى أنا فيه نزلت خُشْبُهُ ،
وأدخل سلم فضة ، ونزل إلى منه رجلان ، فجلس أحدهما جانباً ، والآخر
إلى جنبى ، فنزع ضلع جنبى ثم استخرج قلبي ، فقال : نِعَم القلب قلبه ، قلب
رجل صالح ونبي مبلغ ، ثم ردا قلبي مكانه وضامى ، ثم صعدا .
فاستيقظت والسقف على حاله .

فشكوت إلى خديجة فقالت : لا يصنع الله بك إلا خيراً (١) .

(١) هذا الخبر لا يصح ، وإليه أشار القسطلانى بقوله : وروى شق صدره
مرة خامسة وهو ابن عشرين سنة فيما قيل ، ولا تثبت . فلا تذكر إلا مقرونة
بعدم الثبوت ، للواهب ١ / ١٥٣

البَابُ الثَّانِي وَالْأَرْبَعُونَ

فِي ذِكْرِ رَعِيَةِ الْغَنَمِ

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم .

فقال أصحابه : وأنت ؟

قال : نعم ، كنت أُرعاها على قراريط لأهل مكة .

انفرد بإخراجه البخاري .

قال سويد بن سعيد : يعني كل شاة بقرابط .

وقال إبراهيم الحزبي : قراريط : موضع ولم يرد بذلك القراريط من النضة .

قال ابن عقيل : لما كان الراعي يحتاج إلى سعة خلق ، وانشراح صدر للمدارة ، وكان الأنبياء مُعَدِّين لإصلاح الأمم حَسُنَ هذا في حقهم .

الباب الثالث والأربعون

في ذكر اشتغاله بالتجارة قبل النبوة

أنبأنا ابن الحصين ، أنبأنا ابن الراهب ، أنبأنا القطيعي ، حدثنا
عبد الله بن أحمد ، حدثنا أبي ، حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا
عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد ، عن السائب بن أبي السائب أنه
كان يشارك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام في التجارة .

فلما كان يومُ الفتح ، جاءه فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

مرحباً بأخي وشريكي ، كان لا يداري ولا يماري .

يداري : مهموز ، بمعنى يشاغب ، ويخاصم صاحبه .

البَابُ الرَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ

في ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام
مرة أخرى في تجارة خديجة

عن نفيسة بنت مُنْية أخت يَعلَى بن منية قالت : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة قال له أبو طالب :

أنا رجل لا مال لي ، وقد اشتد الزمان علينا ، وهذه عِيرُ قومك قد حضر خروجها إلى الشام ، وخديجة بنت خُوَيْلد ، تبعث رجالاً من قومك في عيراتها ، فلو جئتها ، فعرضت نفسك عليها ، لأسرعت إليك .

وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له ، فأرسلت إليه في ذلك وقالت :

أنا أعطيك ضِعْفَ ما أُعْطِيَ رجلاً من قومك .

فقال أبو طالب : هذا رِزْقُ ساقه الله لك .

فخرج مع غلامها ميسرة وجعل عمومته يوصون به أهل العير .

حتى قدموا بُضْرَى من أرض الشام ، فنزلا في ظل شجرة ، فقال نسطورا الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي (١) .

ثم قال لميسرة : أفي عينيه حمرة لا تفارقه ؟ قال : نعم .

(١) يريد : ما نزل الآن ، وإلا فلم يحل أن ينزل تحتها كثير من الناس غير أنبياء . والشجر لا يثمر في العادة هذا العمر للطويل .

أقول : لا مانع عقلاً ، من أن تكون الشجرة قد عمرت طويلاً ، وصرف الله أن ينزل تحتها غير الأنبياء ، ولا داعي لتحكيم الحكم العادي في مثل هذا الأمر . والله يفعل ما يريد .

قال : هذا نبي ، وهو آخر الأنبياء .

ثم باع سلعته ، فوقع بينه وبين رجل تلاح^(١) فقال له : احلف باللات والعزى . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حلفت بهما قط ، وإني لأشترهما ، فلا ألقت إليهما .

فقال الرجل : القول قولك .

ثم قال لميسرة : هذا والله نبي ، تجمده أحيارنا ممنوعاً في كتابهم . وكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر ، يرى ملكين يظلان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشمس ، فوعى ذلك كله ميسرة .

وباعوا تجارتهم وربحوا ضعف ما كانوا يربحون .

ودخل مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في عُلَّة^(٢) لها .

فأرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره ، ومذ كان يظلان عليه ، فأرته نساءها ، فمجنين لذلك .

ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبَّرها بما ربحوا في وجوههم . فسُرَّت بذلك .

فلما دخل عليها ميسرة ، أخبرته بما رأت .

فقال : قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام .

وأخبرها بما قال الراهب نسطورا ، وبما قال الآخر الذي خالفه في البيع .

(١) خلاف ومنازعة كما يستفاد من الصحاح والقاموس .

(٢) العلية : بضم العين وكسر اللام للشدة وبمدها ياء مفتوحة مع التشديد قال في الصحاح : وقال بعضهم : هي العلية بكسر العين واللام المشددين ووزنها « فَعِيلَة » الحجرة المرتفعة .

البَابُ الْخَامِسُ وَالْأَرْبَعُونَ

في تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة

• عن فتيسه بنت مُنَبِّه قالت :

لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام دخل مكة ، وخديجة في غُلَّةٍ لها فرأت ملكين يظلاله .

وكانت جلدة حازمة ، وهي أوسط قریش نسبا . وأكثرهم مالا .

وكلُّ قومها حريص على نكاحها ، لو قدروا على ذلك .

قد طلبوها ، وبذلوا لها الأموال .

فأرسلتني دسيسا إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، بعد أن رجع من الشام .

فقلت : يا محمد ما يمنعك أن تتزوج ؟ قال : ما بيدي ما أتزوج .

قلت : فإن كنت ذلك ، ودعيت إلى الجلال والمال والشرف
والكفاة ، أفلا تجيب ؟

قال : فمن هي ؟

قلت : خديجة :

قال : وكيف لي بذلك ؟

قلت : على .

قال : فأنا أفعل .

فذهبت فأخبرتها ، وأرسلت إليه : أن إيت ساعة كذا وكذا .

وأرسلت إلى عمها ، عمرو بن أسد ليزوجها .
فخضر ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمومته . فتزوجها ، وهو
ابن خمس وعشرين سنة ، وخديجة يومئذ ، بنت أربعين سنة .
وقد روى أن أباها زوجها ، وليس بصحيح لأن أباها مات قبل الفجار .
وذكر أبو الحسين بن فارس أن أبا طالب خطب يومئذ فقال :
« الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل وضئضى^(١)
معد ، وعنصر مضر ، وجعلنا سدنة بيته ، وسؤاس^(٢) حرمة ، وجعل لنا
يتما محجوجا ، وحرما آمنا ، وجعلنا الحكام على الناس .
ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله ، لا يوزن به رجل ، إلا رجحه ،
وإن كان في المال قلا ، فإن المال ظل زائل ، وحيال حائل .
ومحمد من قد عرقم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد ، وبذل لها
من الصداق ، ما آجله وعاجله من مالى .
وهو - والله ، بعد هذا - له نبأ عظيم ، وخطر جليل » .
فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وكانت خديجة قد ذكرت لورقة بن نوفل ، فلم يقضَ بينهما نكاح .
فتزوجها أبو هالة ، واسمه هند ، وقيل : مالك بن النباش^(٣) .
فولدت له هنداً ، وهالة وهما ذكران .
ثم خلف عليها عتيق بن عائذ المخزومي ، فولدت له جارية اسمها ، هند .
وبعضهم يقدم عتيقا على أبي هالة .
ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكل أولاده منها ، إلا إبراهيم .

(١) الضئضى : الأصل . (٢) سواس : كراس وزنا ومعنى .

(٣) في المواهب ١/ ١٩٩ : واختلف في اسم أبي هالة فقيل : مالك .

وقيل : زرارة ، وقيل : هند ، وقيل : اسمه النباش .

الباب السادس والأربعون

في ذكر شهود رسول الله صلى الله عليه وسلم بنيان الكعبة
ووضعه الحجر بيده

- أول وضع البيت ، أن الله تعالى أنزل البيت المعمور ، فجعله مكان الكعبة ، وكان ياقوتة حمراء ، ثم رفع ، وبني آدم مكانه ، البيت .
ثم بناه أولاده بالطين والحجارة .
- ثم غرق في زمن نوح ، وبقي مكانه أكمة ، لا يعلوها السيول ، إلى أن بناه الخليل .
- ثم بنته العمالة ، ثم بنته جرهم ، ثم بنته قريش .
- عن طلحة قال : وجد في البيت حجر مشقور في الهدمة الأولى .
فدعى رجل ، فقرأه ، فإذا فيه :
عبدى المتعجب للممكن الثابت المختار .
- مولده بمكة ، ومهاجره ، طيبة ، لا يذهب حتى يقيم الملة السوجاء ، ويشهد أن لا إله إلا الله ، أمته المهادون ، يحمدون الله تعالى بكل أكمة ، يأتزون على أوساطهم ، ويظهرون أطرافهم .
- فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر خمسا وثلاثين سنة ، هدمت قريش الكعبة وبنتها ، لأنها كانت قد تضعفت بالسيل .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينقل معهم الحجارة .

فلما بلغ البنيان موضع الركن ، اختصموا ، فكل قبيلة تريد أن ترفعه ،
حتى تواعدوا للقتال .

وقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً ، وأدخلوا أيديهم في الدم ،
وتعاقدوا على الموت . فسموا لكعة الدم .

فكثروا على ذلك ليالي ثم تشاوروا . فقال أبو أمية بن المغيرة ، وهو
رأس قريش : اجعلوا بينكم أول من يدخل من باب هذا المسجد .
فكان أول من دخل عليهم ، رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا به .

فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال :

« هلموا ثوباً » فَأَتَى بِهِ ، فَأَخَذَ الركن ، فوضعه بيده ، ثم قال :

« لَتَأْخُذُ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوبِ ، ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعاً » .

حتى إذا بلغوا به موضعه . وضعه بيده ، ثم بنى عليه .

وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يُنْزَلَ
عليه ، الأمين .

أَبْوَابُ نَبَوْتِهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الباب الأول

في ذكر الهوائف بذوة نبينا صلى الله عليه وسلم

عن النضر بن سفيان الهذلي ، عن أبيه قال :

خرجنا في غير لنا ، إلى الشام .

فلما كنا بين الزرقاء ، ومعان ، وقد عرّسنا^(١) من الليل ، إذا بفارس يقول [وهو بين السماء^(٢) والأرض] أيها التّيام ، هُيُّوا ، فليس هذا بحين رُقَاد ، قد خرج أحد ، وطُرِدَتِ الجنُّ كل مطرد .

ففرغنا ونحن رُقَّةٌ [حَزَاوِرَةٌ^(٣)] كلهم قد سمع هذا .

فرجعنا إلى أهلنا ، فإذا هم يذكرون اختلافاً بمكة بين قریش ، ونبي خرج فيهم ، من بني عبد المطلب ، اسمه أحد .

• عن محمد بن كعب القرظي قال : بينا عمر بن الخطاب قاعد في المسجد ، إذ مرَّ به رجل في مؤخر المسجد .

(١) قال في الصباح : « يقال عرس ، إذا نزل المسافر ليستريح نَزْلَةً ثم يرتحل قال أبو زيد : وقالوا : عرس القوم في المنزل تعريساً : إذا نزلوا أي وقت كان من ليل أو نهار فالإعراس دخول الرجل بامرأته ، والتعريس نزول المسافر ليستريح .
(٢) ليست هناك أهمية علمية ولا عملية لهذا الباب ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا تحتاج إلى أن يؤيدها هاتف أو يتنبأ بها كاهن ، فهي تعتمد على حقائق الحياة وشهادة التاريخ . ومن هنا فإننا ننظر إلى هذه الأخبار التي أوردها المؤلف وتابع فيها مؤلفي السيرة على أنها طرائف ، لا يترتب عليها شيء .

(٣) من دلائل النبوة . والحزاورة : جمع حزور وهو الرجل القوى .

فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، أتعرف المارة ؟

قال : من هو ؟ [قال : هذا] سواد بن قارب ، وهو رجل من أهل اليمن ، له شرف وموضع ، وهو الذى أتاه رثيه^(١) يخبره بظهور النبی صلی الله عليه وسلم .

فقال عمر : على به .

فدما به فقال : أنت سواد بن قارب ؟ قال : نعم .

[قال : فأنت الذى أتاك رثيك بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم]^(٢) .

قال : فأنت على ما كنت عليه من كهانتك ؟
[فغضب غضباً شديداً ، وقال :

يا أمير المؤمنين ، ما استقبلنى بهذا أحد ، منذ أسلمت .

فقال عمر : سبحان الله ، والله ما كنا عليه من الشرك ، أعظم مما كنت^(٣) عليه من كهانتك] .

أخبرني ياتيان رثيك بظهور النبی صلی الله عليه وسلم .

قال : نعم يا أمير المؤمنين .

بينما أنا نائم ذات ليلة ، إذ أتاني آتٍ فضربنى برجله وقال :

قم يا سواد ابن قارب ، فافهم واعقل ، إن كنت تعقل .

(١) الرثي : القرين من الجن .

(٢) من دلائل النبوة لأبي نعم . وقد سقط من الأصل .

(٣) ما بين القوسين من دلائل النبوة ، وهو سقط بالأصل .

لأنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته .
ثم أنشأ يقول :

عَجِيتُ لِلْجِنِّ وَتَجَسَّاسِهَا وَشَدَّهَا الْعِيسَ بِأَحْلَاسِهَا
تَهْوَى إِلَى مَكَّةَ تَبْنِي الْمُدَى مَا خَيْرُ الْجِنِّ كَارِجَانِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ وَاسْمُ بَعِيْثِكَ إِلَى رَأْسِهَا
قال : فلم أرفع لقوله رأساً ، وقلت : دعني أنام ، فإنني أمسيت ناعساً .
فلما كان في الليلة الثانية ، أتاني فضر بني برجله وقال :

ألم أقل لك يا سواد بن قارب ، قم فافهم ، واعقل ، إن كنت تعقل .
لأنه قد بعث نبي من لؤي بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته .
ثم أنشأ الجني يقول :

عَجِيتُ لِلْجِنِّ وَتَطْلَبِهَا وَشَدَّهَا الْعِيسَ (١) بِأَقْتَابِهَا (٢)
تَهْوَى إِلَى مَكَّةَ تَبْنِي الْمُدَى مَا صَادِقُ الْجِنِّ كَكَذَابِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَيْسَ قُدَّامَهَا كَاذَنَانِهَا
قال : فلم أرفع لقوله رأساً وقلت : دعني أنام ، فإنني أمسيت ناعساً .
فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضر بني برجله وقال :

ألم أقل لك يا سواد بن قارب ، قم فافهم واعقل ، إن كنت تعقل .

(١) العيس : بكسر العين الإبل البيض التي يخالط يياضها شيء من الشقرة ،
واحدتها أعيس والآنثى عيساء بينة العيس بفتحتيه ، ويقال : هي كرائم الإبل اه
من المختار من الصحاح .

(٢) قال في الصحاح : القتب : رحل صغير على قدر السنام ، وفي القاموس مثله .

إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب ، يدعو إلى الله وعبادته .
ثم أنشأ الجنى يقول :

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَأَخْبَارِهَا وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بِأَكْوَارِهَا
تَهْوَى إِلَى مَسَكَةِ تَبْنِي الْمُدَى مَا مُؤْمِنُ الْجِنِّ كَكُفَّارِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ بَيْنَ رَوَابِيهَا وَأَحْجَارِهَا

قال : فوقع في قلبي حب الإسلام ، ورغبت فيه .

فلما أصبحت ، شددت على راحلتي ، وانطلقت متوجهاً إلى مكة .
فلما كنت ببعض الطريق ، أخبرت أن النبي صلى الله عليه وسلم
قد هاجر إلى المدينة .

فقدمت المدينة فسألت عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل لي : في المسجد .
فانتهيت إلى المسجد ، فعقلت ناقتي ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
والناس حوله ، فقلت : تسمع مقاتلي يا رسول الله . فقال لأبي بكر
« أَذْنُهُ أَذْنُهُ » .

فلم يزل بي حتى صرت بين يديه .

فقلت : اسمع مقاتلي يا رسول الله .

فقال : « هات . فأخبرني بإتيانك رثيك » فقلت :

أَتَانِي . نَجِيٍّ (١) بَعْدَ هِدْءٍ وَرَفْدَةٍ وَلَمْ أَكُ فِيهَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبٍ
ثَلَاثَ لَيَالٍ قَوْلُهُ كُلُّ لَيْلَةٍ أَتَاكَ رَسُولٌ مِنْ لُؤَى بْنِ غَالِبٍ

(١) وتروى : رثي . والرثي : التابع من الجن .

فَشَرَّتْ عَنْ ذَلِيلِ الْإِزَارِ وَوَسَّطَتْ فِي الدُّعْلِبِ (١) الْوَجَنَاءُ بَيْنَ السَّبَاسِبِ
فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنْتَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبٍ
وَأَنْتَ أَدْنَى الْمُرْسَلِينَ وَسِيْلَةٍ إِلَى اللَّهِ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطَايِبِ
فَمَرْنَا بِمَا يَأْتِيكَ يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ (٢) وَإِنْ كَانَ فِيمَا جَاءَ شَيْبُ الدَّوَائِبِ
وَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ سِوَاكَ بِمَعْنٍ عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ

قال : ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بإسلامي فرحاً شديداً ، حتى رُئيَ الفرح في وجوههم .

قال فوثب إليه عمر بن الخطاب فالتزمه وقال :

كنت أحب أن أسمع هذا منك [فهل يأتيك ربك اليوم ؟

فقال : مذ قرأت القرآن فلا ، ونعم العوضُ كتاب الله من الجن] (٣) .

• عن جابر قال : إن أول خبر قدم المدينة ، أن امرأة كان لها تابع من الجن في صورة طائر ، فسقط على الحائط فقالت :

مالك لم تأت تحدثنا ونحدثك ؟

قال : إنه قد ظهر من منع القرار ، وحرَم الزنا علينا .

• عن علي بن حسين قال : كانت امرأة من بني النجار يقال لها فاطمة بنت النعمان ، ولها تابع من الجن .

(١) الدُّعْلِب : الناقة السريعة . والسَّبَاسِب : جمع سبب وهي الصحراء .

(٢) في أعلام النبوة : يا خير من مشى .

(٣) ما بين القوسين من أعلام النبوة ١٠٥ . هذا والخبر أيضاً في دلائل النبوة لأبي نعيم .

قال : فكان يأتيها ، فاتاها حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم واتقن
على الحائط ، فقالت : مالك لم تأت كما كنت تأتي ؟

قال : قد جاء الذى يحرم الزنا والحمر .

• عن أبى هريرة قال : قال خريم بن فاتك لعمر بن الخطاب : ألا
أخبرك بيده إسلامي ؟

بينا أنا فى طلب نعم لى إذ جئنى الليل بأبرق العزاف^(١) فناديت بأعلى
صوتي : أعود بمزى هذا الوادى من سفهائه .

وإذا هاتف يهتف بى :

عُدْ يَا فَتَى بِاللَّهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْمَجْدِ وَالنِّعْمَاءِ وَالْإِفْضَالِ

وَأَقْرَأْ بِآيَاتِ مِنَ الْأَنْفَالِ وَوَحْدِ اللَّهِ وَلَا تُبَالِ

قلت (٢) :

يَا أَيُّهَا الْهَاتِفُ مَا تَقُولُ أَرَشَدُ عِنْدَكَ أَمْ تَضِلُّ

يَبِينُ لَنَا هُدَيْتَ مَا السَّبِيلُ ؟

قال :

هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ذُو الْخَيْرَاتِ يَدْعُو إِلَى الْجَنَاتِ وَالنَّجَاتِ

يَأْمُرُ بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَيَنْزِغُ النَّاسَ عَنِ الْمَنَاتِ^(٣)

(١) أبرق العزاف : ماء لبنى أسد .

(٢) فى دلائل النبوة : قال : فارتعت من ذلك روعاً شديداً فلما رجعت إلى

نفسى قلت .

(٣) اقتصر المؤلف على هذا ، ولم يكمل القصة ، وهى فى دلائل النبوة .

• عن عبد الله العُماني قال : كان فينا رجل يقال له مازن بن العضوبة يسدن صنًا [بقرية يقال لها سمايا من عمان (١)] وكانت تعظمه قبائل .

قال مازن : فمترنا ذات يوم عند صنم عتيبة [وهي الذبيحة] فسمعت صوتاً من الصنم يقول :

يَا مَازِنُ ائْتَمِعْ تُسَرِّ ، ظَهَرَ خَيْرٌ وَبَطَنَ شَرٌّ ، بُعِثَ نَبِيٌّ مِنْ مُخَرَّرٍ ،
[بدين الله الأكبر] (٢) ، فَدَعِ نَحِينَتَا مِنْ حَرٍّ سَقَرٍ .

قال : ففرغت لذلك ، ثم عترنا بعد أيام عتيبة أخرى ، فسمعت صوتاً من الصنم يقول : أَقْبِلْ إِلَى أَقْبَلٍ ، تَسْمَعُ مَا لَا تَجْهَلُ ، هَذَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ،
جَاءَ بِحَقِّ مُنْزَلٍ فَأَمِنْ بِهِ كَيْ تَعْدِلَ ، عَنْ حَرِّ نَارٍ تُشْمَلُ ، وَتُقَوِّدُهَا بِالْجُنْدَلِ .

قال مازن : فقلت : إن هذا لعجب ، وإياه خير يراد بي .

وقدم علينا رجل من أهل الحجاز فقلنا : ما الخبر وراءك ؟

قال : ظهر رجل يقال له محمد ، يقول لمن أتاه : أجيئوا داعيَ الله .

فقلت : هذا نبأ ما سمعت .

فَنَزْتُ إِلَى الصنم فكسرتة ، وركبت راحلتي ، حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشرح لي الإسلام فأسلمت .

• عن رجل من خثعم قال : كانت العرب تتحاكم إلى الأصنام .

فبينما نحن ليلة عند وثن وقد تقاضينا إليه في شيء قد وقع بيننا [أن يفرق بيننا (٣)] إذ هتف هاتف وهو يقول :

(١) ما بين القوسين من دلائل النبوة .

(٢) ما بين القوسين من دلائل النبوة ، لا بى نعم .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ذُوقُوا الْعَذَابَ .
وَمُسْنِدُ الْحُكْمِ إِلَى الْأَصْنَامِ .
مَا أَنْتُمْ وَطَائِفُ الْأَحْلَامِ .
هَذَا نَبِيُّ سَيِّدِ الْأَنَامِ .
أَعْدَلُ فِي الْحُكْمِ مِنَ الْحُكَّامِ .
يَصْدَعُ بِالثَّوْرِ وَبِالْإِسْلَامِ .
وَيَنْزِعُ النَّاسَ عَنِ الْآثَامِ .
مُسْتَعْلِنٌ^(١) فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ .

ففرعنا وتفرقنا من عنده وصار ذلك الشعر حديثاً .

حتى بَلَّغْنَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ ، ثُمَّ قَدِمَ
الْمَدِينَةَ ، فَجِئْتُ فَأَسَلْتُ .

• عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ قَالَ : كُنْتُ بِالشَّامِ حِينَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَرَجْتُ إِلَى بَعْضِ حَاجَتِي ، فَأَدْرَكَنِي اللَّيْلُ .
فَقُلْتُ : أَنَا فِي جَوَارٍ عَظِيمٍ هَذَا الْوَادِي اللَّيْلَةَ .

قَالَ : فَلَمَّا أَخَذْتُ مَضْجَعِي إِذَا أَنَا بِمَنَادٍ يَنَادِي لَا أَرَاهُ :

عُدْ بِاللَّهِ فَإِنَّ الْجِنَّ لَا تَجِيرُ أَحَدًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، قَدْ خَرَجَ الرَّسُولُ
الْأَمِينُ ، رَسُولُ اللَّهِ ، وَصَلِينَا خَلْفَهُ بِالْحِجْوَونِ^(٢) وَأَسْلَمْنَا وَاتَّبَعْنَاهُ ، وَذَهَبَ
كَيْدُ الْجِنِّ وَرَمِيَتْ بِالشَّهْبِ ، فَانْطَلَقَ إِلَى رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَأَسْلِمَ .

(١) أَيْ : ظَاهِرُ أَمْرِهِ .

(٢) قَالَ فِي الْمُخْتَارِ مِنَ الصَّحَاحِ : الْحِجْوَونُ : بَفَتْحِ الْعَـ ، جَبَلٌ بِمَكَّةَ وَهِيَ مَقْبَرَةُ

قال تميم : فلما أصبحت ذهبت إلى دير أيوب ، فسألت راهباً وأخبرته الخبر .

فقال الراهب : قد صدقوك ، يخرج من الحرم ، وهو خير الأنبياء فلا تسبق إليه .

قال تميم : فتكلفت الشخصوس ، حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
• عن خويلد الضمرى قال :

كنا عند صنم جلوساً ، إذ سمعنا من جوفه صائحاً يصيح :
ذهب استراق الوحي ، ورُمي بالشُّهْبِ لنبي مكة ، اسمه أحمد ، مهاجرة
إلى يثرب ، يأمر بالصلاة والصيام ، والبر والصلوات للأرحام .

فقمنا من عند الصنم فسالنا قالوا : خرج نبي من مكة اسمه أحمد .
• عن جبير بن مطعم قال : كنا جلوساً عند صنم بيوانة قبل أن يبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر ، نحرنا جزوراً .

فإذا صائح يصيح من جوفه : اسمعوا العجب ، ذهب استراق الوحي ،
ورمي بالشُّهْبِ لنبي بمكة ، اسمه أحمد ، مهاجرة (١) إلى يثرب .

فأمسكنا وعجبنا . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• عن العباس بن مرداس قال لما حضرت أبي الوفاة ، أوصاني بصنم
له يقال له صَمَار (٢) . فجعلته في بيت . وكنت آتية كل يوم مرة .

فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم سمعت صوتاً من جوف الليل راغى ،
فوثبت إلى صمار مستغيثاً فإذا بالصوت من جوف وهو يقول :

قُلْ لِلْقَبِيلَةِ مِنْ سُلَيْمٍ كُلُّهَا هَلَكَ الْأَنْبِيسُ وَعَاشَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ

(١) أى : موضع حجرة . و « يثرب » هى المدينة المنورة .

(٢) الأصل : صَمَاد . وما أثبتته رواية ابن هشام .

أُودِيَ (١) ضِمَارُ وَكَانَ يُعْبَدُ مَرَّةً قَبْلَ الْكِتَابِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
إِنَّ الَّذِي وَرِثَ النُّبُوَّةَ وَالْمُهْدَى بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِي
فَكَيْمَتُهُ النَّاسَ . فلما رجع الناس من الأحزاب ، سمعت صوتا في مناهي

يقول : النور الذي وقع ليلة الثلاثاء ، مع صاحب الناقة العضباء .

فرحلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمت .

• عن راشد بن عبد ربه قال : كان الصنم الذي يقال له سُوَاع .

بالمعلاة ، تدين له هذيل ، وبنو ظَفَرٍ من سُليمان .

فأرسلت بنو ظفر راشد بن عبد ربه بهدية بنى سُليمان إلى سُوَاع .

قال : فَأَتَيْتُهُ فَأَلْقَيْتُهُ مَعَ الْفَجْرِ إِلَى صَنَمٍ قَبْلَ سُوَاع ، فإذا صارخ بصرخ

من جوفه : الْمُعْجَبُ كُلُّ الْمُعْجَب ، من خروج نبي من عبد المطلب ، يحرم

الزنا والزبا والذبح للأصنام ، وحرست السماء ورؤينا بالشَّهْب .

ثم هتف صنم آخر من جوفه : تَرِكَ الصَّار ، وكان يُعْبَد ، خرج النبي

محمد ، يصلي الصلاة ، ويأمر بالزكاة والصيام والبر ، والصلوات للأرحام .

ثم هتف من جوف صنم آخر هاتف :

إِنَّ الَّذِي وَرِثَ النُّبُوَّةَ وَالْمُهْدَى بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِي

نَبِيٌّ يُخْبِرُ بِمَا سَبَقَ وَبِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ

قال راشد : فألقيت عند سُوَاع ، ثعلبين مع الفجر يلحسان ما حوله ،

ويأكلان ما يُهْدَى ، ثم يعوجان عليه بيولهما .

فعند ذلك يقول راشد بن عبد ربه :

أَرَبُّ بَيُولِ الثَّمَلْبَانِ بِرَأْسِهِ لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّمَالِبُ !

وذلك عند مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الباب الثاني

في ذكر إلام الوحش بنبوته

• عن أبي عمرو الهذلي قال : حضرت مع رجال من قومي صنماً يقال له سُوَاع ، وقد سَقْنَا إليه الذبائح .

فكنت أول من قرَّب إليه بقرة سمينة ، فذبحتها على الصنم .

فسمعنا صوتاً من جوفها [يقول] : العجبُ كلَّ العجب ، خروج نبي بين الأخاشب ، يحرم الزنا ويحرم الذبح للأصنام . وَخُرِسَتِ السماء ورُمينا بالشَّهب .

فتفرقنا ، فقدمنا مكة ، فسألنا ، فلم نجد أحداً يخبرنا بخروج محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى لقينا أبا بكر الصديق .

فقلت : يا أبا بكر ، أخرج أحد بمكة ، يدعو إلى الله تعالى يقال له أحد ؟ قال : وما ذاك ؟ فأخبرته الخبر .

فقال : نعم ، هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم دعانا إلى الإسلام ، فقلنا : حتى ننظر ما يصنع قومنا .

ويا ليت أنا أسلمنا يومئذ . فأسلمنا بعده .

• عن مجاهد قال : حدثني شيخ أدرك الجاهلية ، ونحن في غزوة رודس يقال له ابن عنبس قال :

كنت أسوق بقرة لآل لنا ، فسمعت من جوفها .

يا آل ذريح : قول فصيح ، رجل يصيح ، يقول لا إله إلا الله .

قال : فقد منّا مكة ، فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة .

• عن أبي هريرة (١) قال : جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منها شاة ، فطلبه الراعي ، حتى انتزعها منه ، فصعد الذئب على تل فأقعى (٢) واستوفز (٣) وقال :

عدت إلى رزق رزقني الله تعالى انتزعته مني ؟

فقال الرجل : بالله إن رأيت كاليوم ، ذئب يتكلم !

قال الذئب : أعجب من هذا رجل في النخلات ، بين الحرّتين ، يخبركم بما مضى وما هو كائن من بعدكم .

وكان الرجل يهودياً (٤) فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره وصدقه النبي .

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنها أماراة من أمارات الساعة ، أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع ، حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده .

(١) رواه الماوردي في أعلام النبوة ٨٤ عن أبي سعيد الخدري .

(٢) « أقعى » أى : جلس على أسته (طيزه) مفترشاً رجله ، ناصباً يديه .

(٣) « واستوفز » معرفة بالأصل : واستدفر . قال في الصحاح : « استوفز

في قعدته » إذا قعد قعوداً منتصباً غير مطمئن .

(٤) ذكر في أعلام النبوة أن الراعى كان يدعى عميراً السطائي ، وأنه سمي

بعد ذلك مكلم الذئب .

الباب الثالث

في ذكر أمارات النبوة التي رآها رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل بعثته

• عن ابن عباس قال : أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة سبعة^(١) يرى الضوء والنور ويسمع الصوت ، وثمان سنين يوحى إليه .

• عن عائشة قالت : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي : الرؤيا الصادقة في النوم . فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حُبِبَ إليه الخلاء ، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه ، حتى يجاءه الحق ، وجاءه الملك .

• عن أبي ميسرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا برز سمع من يناديه ، يا محمد .

فإذا سمع الصوت ، انطلق هارباً .

فأتى خديجة فذكر لها ذلك فقال :

يا خديجة ، قد خشيت أن يكون خالط عقلي شيء .

إني إذا برزت ، أسمع شيئاً ينادى ، فلا أرى شيئاً ، فأنطلق هارباً .

(١) الأصل : سبع ، وما أثبتته من المواهب . وفيها : وثمان وستين يوحى إليه . وهو تحريف .

فَقَالَتْ : مَا كَانَ اللَّهُ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ .
فَأَسْرَتْ ذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ . وَكَانَ نَدِيمًا لَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .
فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ يِيده فَقَالَ : انْطَلِقْ بِنَا إِلَى وَرَقَةَ .
فَقَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ فَعَدْتُهُ بِمَا حَدَّثْتُهُ بِهِ خَدِيجَةُ .
فَأَتَى وَرَقَةَ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ .
فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : هَلْ تَرَى شَيْئًا ؟
قَالَ : لَا . وَلَكِنِّي إِذَا بَرَزْتُ سَمِعْتُ النَّدَاءَ ، وَلَا أَرَى شَيْئًا ، فَأَنْطَلِقُ
هَارِبًا ، فَإِذَا هُوَ عِنْدِي يَنَادِي .
قَالَ : فَلَا تَفْعَلْ ، إِذَا سَمِعْتَ النَّدَاءَ فَأَجِبْ لَهُ ، حَتَّى تَسْمَعَ مَا يَقُولُ لَكَ .
فَلَمَّا بَرَزَ سَمِعَ : يَا مُحَمَّدُ . قَالَ : لَبِيكَ .
قَالَ : قُلْ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ :
ثُمَّ قَالَ : قُلْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ .
ثُمَّ أَتَى وَرَقَةَ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ :
أَبْشِرْ ، ثُمَّ أَبْشِرْ ، ثُمَّ أَبْشِرْ ، أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ أَحَدٌ ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ
مُحَمَّدٌ ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، يَوْشَكَ يَوْشَكَ أَنْ تُؤْمَرَ بِالْقِتَالِ .
وَمَنْ أَمُرْتُ بِالْقِتَالِ ، وَأَنَا حَيٌّ فَلَا قَاتِلَ مَعَكَ .
فَاتِ وَرَقَةَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : رَأَيْتَ الْقَسَّ فِي الْجَنَّةِ ،
عَلَيْهِ ثِيَابُ خَضَرٍ .

الباب الرابع

في ذكر تسليم الأحجار والأشجار عليه

• عن جابر بن سُمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إني لأعرف حجراً بمكة ، كان يسلم عليّ قبل أن أبعث ، إني
لأعرفه الآن » .

• عن علي بن أبي طالب قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة .
فخرجنا في بعض نواحيها ، خارجاً من مكة ، بين الجبال والشجر ، فلم
يُمرُّ بشجر ولا حجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .

• عن جابر بن سُمرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« لما كانت ليالي بُعِثْتُ ، ما مررت بشجر ولا حجر إلا قال : « السلام
عليك يا رسول الله » .

• عن برة قالت : لما ابتدأ الله تعالى محمداً بالنبوة ، كان إذا خرج
ل حاجته ، أبعد حتى لا يرى بيتاً ويُفْضَى إلى الشَّعَاب (١) والأودية (٢) ، فلا يمر
بحجر ولا شجر إلا قال : « السلام عليك يا رسول الله » .
فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً .

(١) قال في المصباح « الشعب » بكسر الشين : الطريق . وقيل : الطريق
في الجبل ، والجمع « شعاب » .

(٢) « الأودية » قال في المصباح : مفردة « الوادي » وهو كل منفرج بين
جبال أو آكام يكون منفذاً للسيل .

الباب الخامس

في ذكر بسمه الوحي

• عن عائشة قالت : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي ، الرؤيا الصادقة في النوم . فكان لا يرى رؤيا ، إلا جاءت مثل فلق الصبح .

ثم حُبب إليه الخلاء . فكان يأتي غار حراء ، يتحنَّث فيه ^(١) وهو التعبد ، الليالي ذوات العدد ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة ، فيتزود لمثلها . حتى يجاءه الحق وهو غائر ^(٢) .

فجاءه الملك فيه فقال : اقرأ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت : « ما أنا بقارى » .

فأخذني فغطني ^(٣) حتى بلغ مني الجهد ^(٤) ثم أرسلني ^(٥) فقال : اقرأ . فقلت : « ما أنا بقارى » .

فأخذني فغطني الثانية . حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : « ما أنا بقارى » .

(١) البغارى : وكان يخلو بغار حراء فيتحنَّث فيه .

(٢) البغارى : حتى جاءه الحق وهو في غار حراء .

(٣) يعنى : مغمى عليه شديدة حتى بلغ التعب من نهايته .

(٤) يستفاد من استقراء للعالم أن الجهد - بفتح الجيم - معناه : غاية المشقة

والتعب وهو المراد هنا . (٥) أى : أطلقتني من يديه .

فأخذني ففطنني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال :
 « اقْرَأْ بِاِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ » حتى بلغ « مَا لَمْ يَعْلَمْ » (١) .
 فرجع بها ترجف بوادره (٢) حتى دخل على خديجة فقال :
 زملوني ، زملوني .

فزملوه ، حتى ذهب عنه الروع (٣) . فقال : يا خديجة مالي ؟
 وأخبرها الخبر .

قال : قد خشيت على نفسي .

فقالت له : كلاً ، أبشر ، فوالله لا يخریک (٤) الله أبداً ، إنك لتصل
 الرحم وتصدق الحديث ، وتحمل الكل (٥) وتقرى (٦) الضيف ، وتعين على
 نوائب (٧) الحق .

(١) سورة العلق (١ — ٥) .

(٢) البخاری : فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل
 على خديجة .

(بواده) قال في الصحاح « والبوادر » من الإنسان وغيره . اللحمة التي بين
 المنكب والعضق ، ومنه قول الشاعر حاتم :

وَجَاءَتِ الْخَيْلُ مُحَمَّرًا بِوَادِرِهَا بِالْمَاءِ تَسْفَحُ مِنْ لَبَائِهَا الْعَلَقُ . ا هـ
 ومثله في القاموس .

(٣) الروع : بفتح الراء : الفرع . ا هـ . من المختار من الصحاح .

(٤) لا يخریک . أى لا يذلک الله ولا يهینک ولا یوقعک في شدة .

(٥) قال في الصحاح : الكل العيال والقتل ، قال الله تعالى : (وَهُوَ كَلٌّ عَلَى
 مَوْلَاهُ) والكل أيضاً : اليتيم . والكل : الذي لا ولد له ولا والد . والمراد
 هنا : أنت تساعد من وقع في ضائقة . (٦) تقرى الضيف : تحسن إليه .

(٧) قال في المختار من الصحاح : النائبة : المصيبة . واحدة من نوائب الدهر ،
 والمراد هنا . تساعد من وقع في المصائب .

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ، وهو ابن عم خديجة ،
وكان امرأً تنصّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي (١) وكان شيخاً
كبيراً قد عمى ، فقالت خديجة : أى ابن عم ، اسمع من ابن أخيك .

فقال ورقة : يا ابن أخى ما ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فقال ورقة : هذا الناموس الذى أنزل على موسى ، يا ليتنى فيه جذعا : ليتنى
أكون حيّاً حين يخرجك قومك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوخّر جئى هم ؟

قال نعم ، ولم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى .

وإن يدركنى يومك ، أنصرك نصراً مؤزراً (٢) .

ثم لم ينشب (٣) ورقة أن توفى .

وفتر الوحي حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزناً غداً
منه مراراً كي يتردّى (٤) من رموس شواحق (٥) الجبال .

فكلماً أوفى بذروة (٦) جبل لى يلقى نفسه منه تبدّى (٧) له جبريل

(١) كذا بالأصل : العربى وهى زواية ، وفى البخارى : وكان يكتب الكتاب
العبرانى ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب .

(٢) مؤزراً . أى : نصراً قوياً .

(٣) أى : لم يلبث ، وهو تعبير مجازى كما فى أساس البلاغة .

(٤) أى : برى نفسه . (٥) شواحق الجبال . أى : الجبال العالية .

(٦) أوفى بذروة جبل . أى : كلما أشرف ووصل إلى رأس جبل .

(٧) تبدى . أى : ظهر .

عليه السلام فقال : يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن (١) بذلك جأشه (٢) وتقر نفسه فيرجع .

فإذا طال عليه فترة الوحي غداً لئلا ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال مثل ذلك .
أخرجاه .

• عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي . فقال في حديثه (٣) : فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاء في حراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئيت (٤) منه رعباً (٥) ، فرجعت فقلت : زملوني (٦) . فذثروني فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر) .
أخرجاه .

• عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال ورقة ، لما ذكرت له خديجة أنه ذكر لها جبريل : « سبوح سبوح ، وما لجبريل يذكر في هذه الأرض التي تعبد فيها الأوثان ؟ جبريل أمين الله ، بينه وبين رسوله .

(١) أي : قهداً نفسه مما أصابها من الفزع .

(٢) قال في القاموس (الجأش) رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع . ونفس الإنسان ، والمراد على هذا (فيهدأ قلبه بزوال الفزع) .

(٣) البخاري : قال ابن شهاب : وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر ابن عبد الله الأنصاري قال وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه : بينا ... ويبدو أنه سقط منها ما هو موجود هنا من نسبة القول إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) أي جلست على ركبتي . (٥) البخاري : فرجبت منه .

(٦) أي : لفوني وغطوني في ثوبي .

اذهبي به إلى المكان الذي رأى فيه ما رأى ، فإذا أتاه ، فتحسري^(١) .
فإن يكن من عند الله ، لا يراه » ففعلت .

قالت : فلما تحسرت تغيب جبريل فلم يره ، فرجعت فأخبرت ورقة .
قال : إنه ليأتيه الناموس الأكبر الذي لا يعلمه بنو إسرائيل أبناءهم ،
إلا بالتمن .

ثم قام ورقة ينتظر الدعوة .

● عن خديجة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
يا ابن عم ، تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟
فقال : نعم .

فقالت : إذا جاءك ، فأخبرني .

قالت خديجة : فجاء جبريل ذات يوم وأنا عنده فقال : يا خديجة هذا
صاحبك الذي يأتيك قد جاء .

فقلت : قم فاجلس على تغذى . فجلس عليها .

فقلت : هل تراه ؟ قال : نعم .

فقلت : تمحول فاجلس على تغذى اليسرى ، فجلس عليها .

فقلت : هل تراه ؟ قال : نعم .

قالت خديجة : فطرحتم خماري .

فقلت : هل تراه ؟ فقال : لا .

فقلت : هذا ، والله ، ملكٌ كريم ، ما هو شيطان ، لا والله .

(١) فتحسري . أى : ألقى عن رأسك الغطاء .

• عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نذر أن يموت شهرًا بمحراء ، فوافق ذلك شهر رمضان .

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فسمع : السلام عليك .
قال : فظننتها نجاة الجن ، فجئت مسرعاً حتى دخلت على خديجة ،
فسجنتي ثوباً^(١) وقالت : ما شأنك ؟ فأخبرتها .

فقلت : أبشر ، فإن السلام خير .

قال : ثم خرجت مرة أخرى ، فإذا بجبريل على الشمس ، جناح له
بالمشرق ، وجناح له بالمغرب .

قال : فهلت^(٢) منه فجئت مسرعاً ، فإذا هو بيني وبين الباب ، فكلمني
حتى أيسئت به .

ثم وعدني موعداً فجئت له ، فأبطأ عليّ فرأيت أن أرجع .
فإذا أنا به ، وميكائيل ، قد سدّ الأفق .

فهبط جبريل فسلقني^(٣) لحلاوة القفا^(٤) ثم شق على قلبي فاستخرجه ،
ثم استخرج منه ما شاء أن يستخرج ، ثم غسله في طست من ذهب بماء
زمزم ، ثم أعاده مكانه ثم لأمه ، ثم ختم في ظهري . فقال :
« اقرأ باسم ربك » .

(١) فسجنتي ثوباً . أى : مدت على ثوباً غطتني به .

(٢) فهلت : كـ « وجلت » وزناً ومعنى أى : خفت . كما يستفاد من الصحيح .

(٣) فسلقني . أى : ألقاني على ظهري .

(٤) قال في الصحيح : حلاوة القفا بضم الحاء . أى : على وسط القفا . وكذلك
حلاوى القفا وحلاواء القفا . إذا قمتحت (أى الحاء) مددت وإذا ضمت قصرت .

فجئت لا يلقاني حجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .
حتى دخلت على خديجة . فقالت : السلام عليك يا رسول الله .

• عن عبيد^(١) قال : كيف [كان] بدء [ما] ابتداء الله به رسوله
صلى الله عليه وسلم من النبوة حتى جاءه جبريل ؟
فقال عبيد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاور في حراء كل سنة
شهرًا ، وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاور الشهر من كل سنة ، يُطعم
من جاءه من المساكين .

فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من ذلك الشهر ، كان
أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره ، الكعبة قبل أن يدخل بيته ،
يطوف بها سبعًا أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته .

حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله [به] فيه [ما أراد] من كرامته
برسالته ، والسنة^(٢) التي بعثه الله فيها نبيًا ، وذلك الشهر شهر رمضان ،
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء كما كان يخرج لجواره
ومعه أهله .

حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ، جاءه جبريل
من الله تعالى .

(١) الخبر رواه ابن إسحاق قال : وحدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير
قال : سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لمبيد بن عمير بن قتادة الليثي حدثنا
يا عبيد كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه
جبريل . قال : فقال عبيد . (٢) ابن كثير : من السنة .

قال ابن إسحق : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
فجاءني وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب ، فقال : اقرأ .
قلت : وما اقرأ ؟ فنمطني حتى ظننت أنه الموت ، قال ذلك ثلاثاً .
ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ماذا اقرأ ؟

ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود ، فقال : (اقرأ باسم ربك
الذي خلق) .

• عن ابن البراء قال : بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم وله
يومئذ أربعون سنة ويوم ، فأتاه جبريل ليلة السبت ، وليلة الأحد .

ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين ، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان
في حراء ، وهو أول موضع نزل فيه القرآن نزل (« اقرأ باسم ربك »
إلى قوله - ما لم يعلم) فقط .

ثم فحص (١) بعقبه الأرض ، فنبح منها ماء ، فعلمه الوضوء والصلاة ركعتين .

الباب السادس

في ذكر تعليم جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الوضوء والصلاة

• عن أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل أتاه في أول ما أوحى إليه فعله الوضوء والصلاة .

فلما فرغ من الوضوء ، أخذ غرفة من ماء ، فنضح بها فرجه .

قلت : لم يذكر كيفية الصلاة في هذا الحديث ، وقد ذكرنا عن ابن البراء أنه قال : « ركعتين » .

• وقال مقاتل بن سليمان : فرض الله على المسلمين في أول الإسلام صلاة ركعتين بالغداة ، وركعتين بالعشي ، ثم فرضي الخمس في ليلة المعراج .

وقد جاء في حديث : أنه صلى عند زوال الشمس في أول النبوة .

• وقال علماء التفسير : نزلت سورة « المزمل » بمكة .

فكان قيام الليل فرضاً عليه .

فكان يقوم ، ومعه طائفة من المؤمنين ، فشق ذلك عليه وعليهم .

فنسخ ذلك عنه وعنهم بقوله تعالى : « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى

مِنْ مُثُلَيْهِ اللَّيْلِ » (١) .

- وقال عطاء بن يسار ومقاتل بن سليمان : نزل قوله : « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ مُثَلَاثِي اللَّيْلِ » بالمدينة . والأول أصح .
- وقال قوم : نُسخ قيام الليل في حقه بقوله تعالى : « وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ » (١) ونسخ في حق المؤمنين بالصلوات الخمس .
- وقيل : نسخ عن الأمة ، وبقي قَرَضُهُ عليه .
- وقيل : إنما كان مفروضاً عليه دونهم .
- قال ابن عباس : كان بين نزول أول الزمل وآخرها ، سنة .

(١) سورة الإسراء الآية ٧٩ .

الباب السابع

في ذكر صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية النبوة
بخديجة وعلى عليهما السلام

- عن ابن عفيف الكندي عن أبيه عن جده قال :
كنت امرأً تاجراً ، فقدمت للحج ، فأتيت العباس بن عبد المطلب ،
لأبتاع منه بعض التجارة .
قال : إني ، فوالله ، لعندهُ بـ « جَنَى » إذا رجل خرج من خباء (١)
قريب منه ينظر إلى الشمس ، فلما رآها ، قام يصلي .
ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء ، الذي خرج منه ذلك الرجل ، فقامت
خلفه تصلي .
ثم خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء ، فقام معه يصلي .
قال : فقلت للعباس : يا عباس ما هذا ؟
قال : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، ابن أخي .
قلت : من هذه المرأة ؟
قال : امرأته خديجة بنت خويلد .
فقلت : من هذا الفتى ؟

(١) بيت من صوف أو وبر ولا يكون من شعر وهو على عمودين أو ثلاثة اهـ .
من المختار والصحيح .

قال : علي بن أبي طالب ابن عمه .

قلت : فما هذا الذي يصنع ؟

قال : يصلي ، وهو يزعم أنه نبي ، ولم يتبعه على أمره ، إلا امرأته وابن عمه ، هذا الفتى .

وهو يزعم أنه تفتح عليه كنوز كسرى وقيصر !

وكان عفيف ، وهو ابن عم الأشعث بن قيس يقول - وأسلم بعد ذلك فحسن إسلامه - : لو (١) أن الله رزقني الإسلام يومئذ ، فأكون ثانياً مع علي ابن أبي طالب رضي الله عنه !

(١) « لو » هنا : للتمني على حد قوله تعالى (فلو أن لنا كرة فנקون من المؤمنين) سورة الشعراء الآية ١٠٢

الباب الثامن

في صفة نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم

• عن عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحياناً يأتيني في مثل صلصلة
الجرس ، وهو أشده عليّ ، فيفصم ^(١) عني وقد وعيت ما قال ، وأحياناً
يتمثل لي الملك رجلاً ، فيكلمني فأعي ما يقول » .

قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه
وإن جبينه ليتفصد ^(٢) عرقاً .

• عن يعلى بن أمية أنه كان يقول لعمر بن الخطاب :

ليتني أرى نبي الله حين يوحى إليه .

فلما كان بالجمرانة ^(٣) وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب قد
أظلم به ، ومعه ناس من أصحابه منهم عمر .

إذ جاءه رجل عليه جبة متضخمة بطيب ، فقال : يا رسول الله ، كيف
تري في رجل أحرم بعمرة في جبة بعد ما تضحخ بطيب ؟

(١) يفصم ، أى : ينقطع عني كما يستفاد من القاموس .

(٢) يتفصد : أى يسيل من جبينه العرق ، كما يستفاد من القاموس .

(٣) والجمرانة : بكسر الجيم وتشديد الراء . وقال الشافعي : للتشديد خطأ .

اسم موضع بين مكة والطائف اه قاموس .

فنظر النبي صلى الله عليه وسلم ساعة ، ثم شكت فجاءه الوحي .
فأشار عمر إلى يعلى : تعال .

فجاءه يعلى ، فأدخل رأسه . فإذا النبي صلى الله عليه وسلم محمر الوجه يقط
كذلك ، فكث كذلك ساعة .

ثم سُرِّي عنه ، فقال : أين الذى سألنى عن العمرة آنفاً ؟

فالتمسَ الرجل فَأَتَى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

« أما الطيبُ الذى بك ، فاغسله ثلاث مرات ، وأما الجبة ، فانزعها ،
ثم اصنع فى عمرتك ما تصنع فى حَجَّكَ » .

هذا والذى قبله فى الصحيحين (١) .

• عن خارجة بن زيد قال : قال زيد بن ثابت : إني قاعد إلى جنب
النبي صلى الله عليه وسلم يوماً ، إذ أُوحِيَ إليه .

قال : وغشيتهُ السكينة ، فوقع نغزُهُ على نغزى ، حين غشيتهُ السكينة .

قال زيد : فلا والله ، ما وجدت شيئاً أقتل من نغز رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

ثم سُرِّي عنه قال : اكتب يا زيد .

• عن زيد بن ثابت قال :

كان إذا نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة الشديدة ،
أخذه من الشدة والكرب على قَدَر شدة السورة .

وإذا أنزلت عليه السورة اللينة ، أصابه من ذلك على قَدَر لينها .

(١) رواية البخارى ومسلم مخالفة لما هنا باختصار ، وتقديم وتأخير .

• عن زيد بن ثابت قال : كان إذا نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثقل لذلك وتحذر^(١) جبينه عرقاً ، كأنه الجمان^(٢) ، وإن كان في البرد .

• عن عمر بن الخطاب قال : كان إذا نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع عند وجهه كدوى النحل .

• عن عبد الله بن عمرو قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، هل تحس بالوحي ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسمع صلاصلاً ثم أسكت عند ذلك . فما من مرة يوحى إليّ [إلا] وظننت أن نفسي تُقبض .

• عن عبد الله بن عباس قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء يثبه بمكة جالس إذ مرّ به عثمان بن مظعون فكشّر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجلس ؟ قال : بلى .

فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مُستقبلاً .

فبينما هو يحدثه ، إذ شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره إلى السماء ، فنظر ساعة إلى السماء ، فأخذ بعض بصره حتى وضعه على يمينه في الأرض .

فتعريف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جلسه ، عن عثمان ، إلى

(١) تحذر : أى : سال العرق من جبينه .

(٢) قال في المختار من الصحاح الجمانة : حبة من الفضة كالدرّة وجمعه جمان اهـ وللعنى : كأن قطرات العرق في يياضها كحبات الفضة .

جنب وضع بصره فأخذ ينفذ رأسه ، كأنه يستفهم ما يقال له ، وابن مظهر ينظر .

فلما قضى حاجته واستفقه ما يقال له ، شخص بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء ، كما شخص أول مرة ، وأتبعه بصره حتى تواري في السماء .

فأقبل على عثمان بجلسته الأولى ، قال : يا محمد فيما كنت أجالسك وأتيك ؟ ما رأيته تفعل كفعلك الغداة !
قال : وما الذي رأيته فعلت ؟

قال : رأيته شخص بصره إلى السماء ، ثم وضعته حيث وضعته على يمينك .

فتحرفت إليه وتركتني ، فأخذت تنفض رأسك ، كأنك تستفقه شيئاً يقال لك .

قال : وفعلت لذلك ؟ قال عثمان : نعم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتاني رسول الله أنفا وأنت جالس » .

قال : رسول الله ؟ قال : نعم . قال : فما قال لك ؟

قال : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (سورة النحل الآية ٩٠) .

قال عثمان : فذلك حين استقر الإيمان في قلبي ، وأحببت محمداً صلى الله عليه وسلم .

- عن أسماء بنت يزيد قالت : إني لأخذُ بزمام التَّضْبَاءِ ، ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ نزلت عليه المائدة كلها ، وكادت - من ثقلها - تدق عضد الناقة .
- عن عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الوحي كَرَبَ له ، وترَبَّدَ (١) وجهه .
- عن أبي أرؤى الدَّوسِي قال : رأيت الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه على راحلته ، فترغو وتقتل يديها ، حتى أظن أن ذراعها ينقص ، فربما بركت ، وربما قامت مؤبدة يديها ، حتى يُسَرَّى عنه ، من ثقل الوحي ، وإنه ليتحدّر منه ، مثلُ الجان .
- عن عكرمة قال : كان إذا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد لذلك ساعة ، كهيئة السكران .
- عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي ، صَدَعَ فغلف رأسه بالخفاء (٢) .
- قال ابن عقيل : إنما نسبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى الجنون ، لما كان يعتاده عند نزول الملك من الإغماء والشدة .
- ثم أغفلوا ما وراء الصورة من المعنى بترك الفرق بين ذلك وبين إغماء الجنون ، فإن أثر ما كان يجري له بيان الصواب والحق ، بخلاف إغماء الجنون .

(١) تربد : أى تغير لون وجهه حتى يشتد احمراره كما يستفاد من المعجم .

(٢) ذكر ابن كثير أن هذا الحديث ضعيف جداً .

وهذا الذى تلحّيته خديجة فقالت : والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتُصدق الحديث ، وتعين على نوائب الحق .

قال ابن عقيل : فإن قال قائل : ما كان يجرى عليه من البرحاء (١) حين نزول الوحي هل ينقض وضوءه ؟

فالجواب : لا ، لأنه كان محفوظاً في منامه ، تنام عيناه ولا ينام قلبه .

فإذا كان النوم الذى يستطلق فيه الوكاء ، لا ينقض وضوءه ، فالحالة التى أكرم فيها بالمسارّة والإلقاء إلى قلبه المهدى ، أولى أن تكون طباعه فيها معصومة من الأذى .

(١) معنى البرحاء هنا : الشدة والتقل .

الباب التاسع

في ذكر الخلاف فيمن قرن برسول الله صلى الله عليه وسلم
من الملائكة في نبوته

• عن عامر قال : نزلت عليه النبوة صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فُتُرن نبوته ، إسرائيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل من القرآن على لسانه .

فلما مضت ثلاث سنين ، قرن بنبوته جبريل ، فنزل القرآن على لسانه .

• عن عامر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، وكان معه إسرائيل ، ثلاث سنين .

ثم عزل عنه إسرائيل وقرن به جبريل عليه السلام عشر سنين بمكة ، وعشر سنين مهاجرة بالمدينة .

قال ابن سعد : فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر (١) فقال :

ليس يعرف أهل العلم ببلدنا ، أن إسرائيل قرن بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وإن علماءهم وأهل السيرة منهم يقولون :

لم يُقرن به إلا جبريل ، من حين أنزل عليه الوحي ، إلى أن قبض صلى الله عليه وسلم .

(١) هو الواقدي ، وكان محمد بن سعد كاتبه .

الباب العاشر

في سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه
أن يريه آية تقوى ما عنده

- عن عمر قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بالحجون فقال :
« اللهم أرني آية ، لا أبالي من كذبني بعدها من قریش . »
فقبل له : ادع هذه الشجرة .
فدعاها ، فأقبلت على عروقتها ، فتطمعها .
ثم أقبلت تحذو^(١) الأرض ، حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالت : ما تشاء ما تريد ؟
قال : ارجعي إلى مكانك . فرجعت إلى مكانها .
فقال : « والله ما أبالي من كذبني من قریش . »
- عن أنس بن مالك قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين ، قد خضب بالدماء ، ضربه بعض أهل مكة .
فقال له مالك ؟ قال : فعل بي هؤلاء وفعلوا .
فقال له جبريل : أتحب أن أريك آية ؟ قال : نعم .
قال : فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال : ادع تلك الشجرة .
فدعاها ، فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه .
فقال : مرّها فلترجع . فأمرها ، فرجعت إلى مكانها .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حسبي .

(١) تحذو : تشق .

الباب الحادي عشر

في رمي الشياطين بالشهب حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم
وتنكيس الأصنام

● عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة
من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر
السماء ، وأرسلت عليهم الشهب .

فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : مالكم ؟

قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب .

قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث .

فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها ، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث .

فانطلقوا ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها ، ينظرون ما هذا الأمر

الذي حال بينهم وبين خبر السماء .

قال فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بنخلة ، وهو عامد إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر .

فلما سمعوا القرآن ، تسمّعوا له فقالوا :

هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء .

فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا :

« يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ

نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا » (سورة الجن الآية ١ و ٢) .

وأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ : « قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ » .

• عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَمَّا بَعَثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زُجَرَ الْجِنِّ وَرُمُّوا بِالْكَوَاكِبِ .

وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَسْمَعُونَ ، وَلِكُلِّ قَبِيلٍ مِنَ الْجِنِّ مَقْعَدٌ يَشْتَمِعُونَ فِيهِ .
فَأُولَ مَا فَزَعَ لَذَلِكَ أَهْلَ الطَّائِفِ ، فَجَعَلُوا يَذْبَحُونَ لَأَهْلَتِهِمْ ، مِنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ ، أَوْ غَنَمٌ ، كُلِّ يَوْمٍ ، حَتَّى كَادَتْ أُمُوهَا تَذْهَبُ ، ثُمَّ تَنَاهَوْا ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ :

أَمَا تَرَوْنَ مَعَالِمَ السَّمَاءِ كَيْفَ هِيَ لَمْ يَذْهَبْ مِنْهَا شَيْءٌ ؟

وَقَالَ إِبْلِيسُ : هَذَا أَمْرٌ حَدَثَ فِي الْأَرْضِ ، إِيْتُونِي مِنْ كُلِّ أَرْضٍ بِتَرْتِيبَةٍ .
فَكَانَ يُؤْتَى بِالتُّرْبَةِ فَيُشْمَعُهَا وَيُلْقِيهَا ، حَتَّى أَتَى بِتَرْتِيبَةٍ تَهَامَةٍ ، فَشَمَعَهَا
وَقَالَ : هَاهُنَا الْحَدَثُ .

• عَنْ يَمْقُوبَ بْنِ الْأَخْنَسِ قَالَ : إِنْ أَوَّلَ الْعَرَبِ فَزَعَ لِرُؤْيَى النُّجُومِ ،
تَتَيْفٌ وَأَتَوْا عَمْرُو بْنَ أُمِيَّةَ فَقَالُوا : أَلَمْ تَرَمَا حَدَثَ ؟ !
قَالَ : بَلَى ، فَانْظُرُوا .

فَإِنْ كَانَتْ مَعَالِمُ النُّجُومِ الَّتِي يَهْتَدَى بِهَا ، وَيَعْرِفُ بِهَا أَنْوَاءُ الصَّيْفِ
وَالشِّتَاءِ ، فَهُوَ طَيُّ الدُّنْيَا ، وَذَهَابَ هَذَا الْخَلْقُ الَّذِي فِيهَا .
وَإِنْ كَانَتْ نَجُومًا غَيْرَهَا ، فَأَمْرٌ أَرَادَ اللهُ بِهِذَا الْخَلْقَ ، وَنَبِيٌّ يَبْعَثُ فِي
الْعَرَبِ . فَقَدْ تُحَدِّثُ بِذَلِكَ .

• عَنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ قَالَ : لَمْ يُرْمَ بِنَجْمٍ مَذْرُوعٍ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ،
حَتَّى تَنْبَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا تَنَبَأَ رُئِيَ بِهَا .
فَرَأَتْ قُرَيْشٌ أَمْرًا ، لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ .

فَجَلُّوا يَسْتَبُونَ أَنْعَامَهُمْ ، وَيَعْتَنُونَ أَرْقَاءَهُمْ ، يظَنُّونَ أَنَّهُ الْفَنَاءُ .
فَبَلَغَ ذَلِكَ مِنْ فَعْلِهِمْ أَهْلَ الطَّائِفِ ، فَفَعَلَتْ ثَقِيفٌ مِثْلَ ذَلِكَ .
فَبَلَغَ عَبْدَ يَالِيلَ بْنِ عَمْرِو مَا صَنَعَتْ ثَقِيفٌ قَالَ : وَلَمْ فَعَلْتُمْ مَا أَرَى ؟
قَالُوا رُمِيَ بِالْجُحُومِ ، فَرَأَيْنَا أَنَّهَا تَهَافَتُ مِنَ السَّمَاءِ .
قَالَ : إِنْ إِمَادَةُ السَّالِ بَعْدَ ذَهَابِهِ شَدِيدٌ ، فَلَا تَعْجَلُوا وَانظُرُوا .
فَإِنْ تَسَكَّنَ نَجُومًا تَعْرِفُ ، فَهُوَ عِنْدَ فَنَاءِ النَّاسِ .
وَإِنْ تَسَكَّنَ نَجُومًا لَا تَعْرِفُ ، فَهُوَ عِنْدَ أَمْرٍ حَدَثَ .
فَنَظَرُوا ، فَإِذَا هِيَ لَا تُعْرِفُ ، فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ :
الْأَمْرُ فِيهِ مُهْلَةٌ بَعْدُ ، هَذَا عِنْدَ ظَهْوَرِ نَبِيٍّ .
فَمَا مَكَّنُوا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى قَدِمَ الطَّائِفَ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ إِلَى أَمْوَالِهِ ،
لِجَاءِ عَبْدِ يَالِيلَ ، فَتَذَاكُرُوا أَمْرَ النُّجُومِ .
فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ : ظَهَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، يَدَّعِي أَنَّهُ مَرْسَلٌ .
قَالَ عَبْدُ يَالِيلَ : فَعِنْدَ ذَلِكَ رُمِيَ بِهَا .

• عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَمْ تَسْكُنِ السَّمَاءُ تُحْرَسُ فِي الْفَتْرَةِ بَيْنَ عِيسَى
وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ ، كَانُوا يَقْعُدُونَ مِنْهَا [مَقَاعِدَ] لِلسَّمْعِ .
فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُرِسَتِ السَّمَاءُ حَرَسًا شَدِيدًا ،
وَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ ، وَأَنْكَرُوا ذَلِكَ قَالُوا : لَا نَذَرِي أَشْرًا أُرِيدَ بَيْنِي فِي
الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (سورة الجن الآية ١٠) .
فَقَالَ إِبْلِيسُ : لَقَدْ حَدَثَ فِي الْأَرْضِ حَدَثٌ وَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ الْجِنُّ ، فَقَالَ :
تَفَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ ، وَأَخْبِرُونِي ، مَا هَذَا الَّذِي حَدَثَ فِي السَّمَاءِ ؟

وكان أول ركب بُعث من أهل نصيبين ، وهم أشراف الجن ، فبعثهم إلى تهامة فاندفعوا ، حتى بلغوا وادي نخلة .

فوجدوا نبي الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الغداة ببطن نخلة .

فلما سمعوه يتلو القرآن قالوا : أنصتوا .

• قال وهب بن منبه : كان إبليس يصعد إلى السموات كلهن ، ويتقلب فيهن كيف شاء ، لا يُمنع منذ أخرج آدم من الجنة إلى أن رفع عيسى ، فحينئذ حجب من أربع سموات ، فصار يتردد في ثلاث سموات .

فلما بعث نبينا صلى الله عليه وسلم حجب من الثلاث ، فصار هو وجنوده يسترقون السمع ، ويقذفون بالكواكب .

* * *

• عن أبي هريرة قال : لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح كل صنم منكساً ، فأتت الشياطين إبليس ، فقالت : ما على الأرض من صنم إلا وقد أصبح منكوساً .

قال : هذا نبي قد بُعث ، فالتمسوه في قرى الأرياف . فالتمسوه فقالوا : لم نجده ، قال : أنا صاحبه .

نفرج يلتتمسه فنودي : عليك بحبة القلب مكة .

فالتمسه فوجده عند قرن الثعالب . نفرج إلى الشياطين فقال :

قد وجدته ، معه جبريل فما عندكم ؟

قالوا : نزيّن الشهوات في أعين أصحابه ، ونحببها إليهم .

قال : فلا آسى (١) إذن .

(١) « فلا آسى » أى : فلا أحزن .

الباب الثاني عشر

في ذكر ما وقع من التغير في أحوال كسرى المسمى أبرويز
عند مبعث نبينا عليه الصلاة والسلام

كانت دجلة تجري قديماً في أرض خوجي في مسالك محفوظة ، إلى أن
تصب في بحر فارس .

ثم غوّرت وجرت صوب واسط .

فأنفق الأكاسرة على سدها وإعادتها إلى مجراها القديم ، أموالاً
كثيرة ، ولم يثبت السد .

فلما ولي قباد بن فيروز ، انبثق في أسافل كسكر بئق عظيم ، وغلب
الماء ، فأغرق عمارات كثيرة .

فلما ولي أنوشروان بنى مُسْنِيَّات (١) .

فعاد بعض تلك العمارات ، وبقيت على ذلك ، إلى أن ملك أبرويز
ابن هرمز بن أنوشروان ، وكان من أشد القوم بطشاً ، وتهياً له ما لم
يتها لغيره .

فسكر (٢) دجلة العوراء ، وأنفق عليها ما لا يحصى .

وبنى طاق مجلسه ، وكان يعلق فيه تاجه ، ويجلس ، والتاج فوق رأسه
معلق ، من غير أن يكون له على رأسه ثقل .

(١) المسليات : جمع مسناة وهو السد .

(٢) السكر بفتح السين : سد النهر .

قال وهب بن منبه : وكان عنده ثلثائة وستون رجلا من الحزاة ،
والحزاة : العلماء ، من بين كاهن ، وساحر ، ومنجم .

وكان فيهم رجل من العرب يقال له السائب ، يعتاف^(١) اعتياف
العرب ، قلماً يخطئ . . بعث [به] إليه بأذان من اليمن .

فكان كسرى إذا حزبه^(٢) أمر جمع كهانه وسحرته ومنجميه فقال :
انظروا في هذا الأمر ما هو .

فلما أن بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم أصبح كسرى ذات غداة
وقد انقصمت طاق^(٣) ملكه من وسطها^(٤) .

فلما رأى ذلك أحزنه وقال :

انقصم طاق ملكي ، وانخرقت دجلة الموراء « شاه بشكيت » يقول :
الملك انكسر .

ثم دعا كهانه وسحرته ، ومنجميه ، ودعا السائب معهم ، فأخبرهم
بذلك .

وقال : انظروا في ذلك الأمر .

فنظروا ، فأظلمت عليهم الأرض ، وتسكعوا^(٥) في علمهم ، ولم يمض
لساحر سحره ، ولا لكاهن كهانيته ، ولا لمنجم علم نجومه .

(١) يعتاف - كما يستفاد من القاموس - أي : يزجر الطير ويتكهن بها وهو
أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأنوائها فتسعد أو تتشأم .

(٢) قال في القاموس : حزبه الأمر ، نابه واشتد عليه أو ضغظه .

(٣) السكامل : أصبح كسرى وقد انقصم طاق ملكه أي : انكسر من غير ثقل .

(٤) « نكعوا » أي تحيروا في علمهم . كما يستفاد من القاموس .

وبات السائب في ليلة ظلماء على ربوة من الأرض يرمق (١) برقاً نشأ من أرض الحجاز ، ثم استطار حتى بلغ المشرق .

فلما أصبح ، ذهب ينظر إلى ما تحت قدميه ، فإذا روضة خضراء .

فقال فيما يعتاف (٢) : لئن صدق ما أرى ، ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ الشرق والغرب ، تمخض عنه الأرض ، كأفضل ما أخضبت عن ملك كان قبله .

فلما اجتمعت الحزاة ، قال بعضهم لبعض :

والله ما حيل بينكم وبين علمكم إلا لأمر جاء من السماء ، وإنه لنبي قد بعث ، أو هو مبموث يسلب هذا الملك ويكسره .

ولئن نعيم لكسرى ملكه ، ليقتلنكم ، فأقيموا بينكم أمراً تقولونه .
فجاءوا كسرى فقالوا له : إنا نظرنا في هذا فوجدنا حُسابك الذين وضعت على حسابهم طاق ملكك ، وشكرت (٣) دجلة العوراء ، وضعوه على النحوس ، وإنا سنحسب لك حساباً ، تضع عليه بنيانك فلا يزول .

قال : فاحسبوا . فحسبوا له ، ثم قالوا له : ابنه ، فبناه .

فعمل في دجلة ثمانية أشهر ، وأنفق فيها من الأموال مالا يُدرى ما هو .

حتى إذا فرغ قال لهم : أجلس على سورها ؟ قالوا : نعم .

فأمر بالبسط والفرش والرياحين ، فوضعت عليها ، وأمر بالمرازبة ، فجمعوا له .

(١) الكامل : على ربوة من الأرض ينظر ، فرأى برقاً .

(٢) يعتاف : يتكهن .

(٣) السكر بفتح السين : سد النهر .

وجع اللعابون ، ثم خرج حتى جلس عليها .
فبينما هو هنالك ، انتسفت دجلة البنيان من تحتها ، فلم يستخرج
إلا بأخر رمق .

فلما أخرجوه ، قتل من الحزاة ، قريباً من مائة وقال : تلعبون بي ؟
قالوا : أيها الملك ، أخطأنا كما أخطأ من قبلنا ، ولكننا سنحسب لك
حساباً ، حتى تضعها على الوفاق من السعود .

قال : انظروا ما تقولون ، قالوا : فإننا نفعل .

فحسبوا له ثم قالوا له : ابنه .

فبنى وأنفق من الأموال ما لا يدرى ما هو ، ثمانية أشهر ثم قال :
أؤخرج فافعد ؟ قالوا : نعم .

فركب برذوناً له ، وخرج يسير عليها ، إذ انتسفته دجلة بالبنيان ، فلم
يترك إلا بأخر رمق ، فدعاهم فقال :

والله لأمرنَّ على آخركم ولأترعنَّ أكتافكم ، ولأطرحنكم بين أيدي
القبيلة ، أو لتصدقنَّيَّ ، ما هذا الأمر الذي تلفقون عليَّ ؟

قالوا : لا نكذبك ، أيها الملك ، أمرتنا حين انخرقت عليك دجلة
وانفصمت طاق مجلسك ، أن ننظر في علمنا ، فنظرنا فأظلمت علينا الأرض
وأخذ علينا بأقطار السماء ، فلم يستقم لعالمنا علمه .

فعرفنا أن هذا ، لأمر حدث من السماء ، وأنه قد بعث نبي ، أو هو
مبعوث ، فلذلك حيل بيننا وبين علمنا .

فخشينا إن نعيننا مُلكك أن تقتلنا فعلنالك على أنفسنا بما رأيت .

فتركهم ولم يعلهم وعن دجلة حين غلبته .

• وقال ابن إسحاق : كان من حديث كسرى قبل أن يأتيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني ، أنه كان سَكَّر دجلة العوراء ، وأنفق فيها من الأموال ما لا يدري ما هو . وذكر الحديث الذي سقناه بعينه (١) .

• وقال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن الحسن البصري أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله ، ما حجة الله على كسرى فيك ؟

قال : بعث الله إليه ملكا ، فأخرج يده من سور بيته الذي هو فيه تَلَا (٢) نورا . فلما رآها فزع .

قال : لم تفزع يا كسرى ؟

إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابا ، فاتبعه ، لتسلم دنياك وآخرتك .

قال : سأنظر .

• وقال ابن إسحاق (٣) : بعث الله ملكا إلى كسرى ، وهو في بيت من بعض بيوت إيوانه الذي لا يُدْخَلُ عليه فيه ، فلم يرعه (٤) إلا هو ، قائما على فراشه (٥) في يده عصا بالهاجرة في الساعة التي كان يقيل فيها .

فقال : يا كسرى أتسلم أو أكسر هذه العصا ؟ فقال : بهل بهل .

(١) ، (٣) لم يذكر ابن هشام هذا الخبر .

(٢) أى : تَلَا بحذف تناء الأولى على حد قوله تعالى « فَأَنتَ عَنْتَلَى »

أى تَلَى . (٤) أى : لم يُخَفِّهُ .

(٥) الكامل : قائما على رأسه .

فانصرف عنه ثم دعا حراسه وحجابه فتغيظ عليهم وقال : من أدخل هذا الرجل على ؟ قالوا : ما دخل عليك أحد ولا رأينا .

حتى إذا كان العام القابل أتاه الساعة التي أتاه فيها فقال له كما قال له .
ثم قال : أنسلم أو أكسر هذه العصا ؟ قال : بهل بهل .

فخرج عنه فدعا كسرى حُجَّابه وبوابيه ، فتغيظ عليهم وقال لهم كما قال أول مرة .

قالوا : ما رأينا أحداً دخل عليك .

حتى إذا كان في العام الثالث ، أتاه في الساعة التي جاءه فيها ، وقال كما قال له ثم قال له : أنسلم أو أكسر هذه العصا ؟ قال بهل بهل .
قال : فكسر العصا ثم خرج . فلم يكن إلا أن تهوّر ملكه .

• قال الزهري : حدثت عمر بن عبد العزيز هذا الحديث عن أبي سلمة قال : ذكر لي أن الملك إنما دخل عليه بقارورتين في يديه ثم قال : أسلم . فلم يفعل .

فضرب إحداها بالأخرى ففرضهما ثم خرج .
فكان من هلاكه ما كان .

• عن خالد بن ويذة ، وكان رأساً في الجوس ، ثم أسلم قال :
كان كسرى إذا ركب ، ركب أمامه رجلان فيقولان له ساعة بساعة :
أنت عبد ولست برب .
فيشير برأسه : أي نعم .

قال : فركب يوماً فقالا له ذلك ، فلم يُشير برأسه ، فعلم ذلك صاحب شرطته فأتاه ليعاتبه ، وكان كسرى قد نام .
فلما وقع صوت حوافر الدواب في سمعه ، استيقظ .

فدخل عليه صاحب شرطته ، فقال :

أيقظتموني ولم تدعوني أنام .

إني رأيت أنه رُقيّ بي فوق سبع سموات ، فوقفت بين يدي الله تعالى ،
فإذا رجل بين يديه عليه إزار ورداء ، فقال لي :

سَلِّمْ بحر مفاتيح خزائن أرضي ، إلى هذا ، أأست المأمور بكذا ؟

قال : وصاحب الإزار والرداء ، يعنى به ، النبي صلى الله عليه وسلم .

• عن ابن قتيبة أن أبرويز قال : رأيت في المنام قائلاً يقول لي :

إنكم غيرتم ، فغير ما بكم ، ونقل المكان إلى أحد .

وكانوا يتوقعون حادثة تحدث ، حتى كتب النعمان إليه : أن خارجاً نجّم
بتهامة ، يخبر أنه رسول إله السماء والأرض .

فانزعج لذلك وعلم أنه الذي كان يتوقعه .

قال ابن قتيبة : فانقضت ممالك الأمم عند مبعث رسول الله صلى الله

عليه وسلم خلا الروم ، لما سبق من دعوة إسحاق بن إبراهيم .

فإن يعقوب لما سبق إلى دعوة ابنه إسحاق ، صارت النبوة في ولده .

فدعا إسحاق للعيص بالنماء والكثرة ، فالروم كلهم من ولده .

وانتقضت مملكة فارس ، وكان أول انتقاضها ، قتل شيرويه أباه ..

ثم ظهر الطاعون في ملكه فهلك فيه ، ثم تعاوروا الملك ، ولم يلبثوا .

وانتقض ملك أهل الين .

وكان أول ذلك ، قتل الحبشة سيف بن ذى يزن ، وانتشر الأمر بعده .

فكل أهل ناحية ، ملكوا رجلاً ، حتى جاء الإسلام .

وانتقضت مملكة الحيرة بعد النعمان بن المنذر .

وانتقض ملك أبي جفنة ، وكان آخر من ملك منهم ، جبلة بن الأيهم ،

الذي تنصّر في خلافة عمر رضى الله عنه .

الباب الثالث عشر

في ذكر دعاية رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس إلى الاسلام

• كان صلى الله عليه وسلم في أول نبوته يدعو الناس إلى الإسلام سرّاً .

وكان أبو بكر يدعو أيضاً ، من يثق به من قومه .
فلما مضت من النبوة ثلاث سنين : نزل عليه (فَأُصْدِعْ بِمَا تُؤْمَرُ (١))
فأظهر الدعوة .

• عن أبي عبد الرحمن قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو من أول ما أنزلت عليه النبوة ، ثلاث سنين مستخفياً ، إلى أن أُمِرَ أن يصدع بما جاء من عند الله ، وأن يظهر الدعوة .

• عن الزهري قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام سرّاً وجهرّاً ، فاستجاب الله من شاء ، من أحداث الرجال ، وضعفاء الناس ، حتى كثر من آمن به ، وكفار قريش غير منكرين لما يقول .

فكان إذا مرّ عليهم في مجالسهم يشيرون إليه : إن غلام بنى عبد المطلب ليُكَلِّمَ من السماء .

(١) سورة الحجر الآية ٩٤

فكان كذلك حتى عاب آلمتهم التي كانوا يعبدونها ، وذكر هلاك
آبائهم الذين ماتوا على الكفر ، فشاqqوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وعادوه .

● عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
كنت بين شرّ جارين ، بين أبي لهب ، وعقبة بن أبي معيط ، كانا
يأتيان بالنروث فيطرحونها .

فيخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول :
يا بني عبد مناف ، أي جوار هذا ؟ ثم يلتقي بالطريق .

الباب الرابع عشر

في ذكر إنذار رسول الله صلى الله عليه وسلم في المواسم

- عن طارق بن عبد الله المحاربي قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين : مرة بسوق المجاز ، وأنا في بيعة لى .
فمرّ ، وعليه حلة حمراء وهو ينادى بأعلى صوته :
يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا .
ورجل يتبعه بالحجارة ، قد أدمى كعبيه وعرقوبيه وهو يقول :
يا أيها الناس ، لا تطيعوه فإنه كذاب .
قلت : من هذا ؟ قالوا : هذا غلام من بنى عبد المطلب .
قلت : فمن هذا الذى يتبعه يرميه ؟
قالوا : هذا عمه عبد العزى . وهو أبو لهب .
- عن جابر قال : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين يتتبع الناس في منازلهم بمكاف ، ومجنة ، وفي المواسم بمنى .
« من يؤوينى ؟ من ينصرنى ، حتى أبلغ رسالة ربى ، وله الجنة ؟ » .
حتى إن الرجل ليخرج من الين ، أو من مضر ، فيأتيه قومه فيقولون :
احذر غلام قريش ، لا يفتنك .

الباب الخامس عشر

في ذكر إنذاره عشيرته

• عن أبي هريرة قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ^(١) فقال :
« يا معشر قريش : اشتروا أنفسكم من الله تعالى ، لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب ، لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا فاطمة بنت محمد ، سليني ما شئت من مالي ، لا أغني عنك من الله شيئاً . »

• عن ابن عباس : لما أنزل الله تعالى (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى : « يا صباحاه » فاجتمع الناس إليه بين رجل يحمي إليه وبين رجل يبعث رسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني يافى ، أرايتم لو أخبرتم أن خيلاً يسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ قالوا : نعم . قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . » فقال أبو لهب : تبأ لك سائر اليوم ، ما دعوتنا إلا لهذا ؟ ! فأنزل الله تعالى (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) .

• عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمر قالوا : لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قمة من جبل على أعلاها حجراً فجعل ينادى : يا بني عبد مناف ، إنما أنا نذير ، إنما مثلى ومثلكم كرجل رأى العدو فذهب ينذر أهله فخشي أن يشقوه فجعل ينادى ويهتف يا صباحاه .

انفرد بإخراج هذا الحديث مسلم ، وانفقا على الحديثين قبله .

• عن ابن عباس قال : لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا فقال : يا معشر قريش .

فقال قريش : محمد على الصفا يهتف .

فأقبلوا واجتمعوا قالوا : مالك يا محمد .

قال : أَرَأَيْتَكُمْ^(١) لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل كنتم تصدقوني ؟

قالوا : نعم ، أنت عندنا غير متهم ، وما جرّبنا عليك كذباً قط .

قال : فَإِنِّي نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ .

يا بني عبد المطلب ، يا بني عبد مناف ، يا بني زُهرة ، حتى عدّ الأنفاذ

من قريش .

إن الله عز وجل ، أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين ، إني لا أملك لكم

من الدنيا منفعة ، ولا من الآخرة نصيباً ، إلا أن تقولوا لا إله إلا الله .

قال يقول أبو لهب : تبّاً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا !

(١) أى : أخبروني .

فأنزل الله تعالى (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) السورة كلها .

عن علي بن أبي طالب قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فضقتُ بذلك ذَرْعًا ، وعرفتُ أَنَّي متى أباديهم بهذا ، أرى منهم ما أكره .

فصمتُ حتى جاءني جبريل فقال :

يا محمد ، إنك إن لا تفعل ما تؤمر به ، يعذبك ربك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا علي ، اصنع لي صاعاً من طعام (١) واجعل عليه رجل شاة ، واملأ لنا عُسّاً (٢) من لبن ، ثم اجمع لي بني المطلب حتى أكلمهم ، وأبلغهم ما أمرت .

ففعلت ما أمرني به ، ثم دعوتهم له ، وهم أربعون رجلاً ، يزيدون رجلاً أو ينقصونه ، فيهم أعمامه ، أبو طالب ، وحزرة ، والعباس ، وأبو لهب . فلما اجتمعوا دعا بالطعام الذي صنعتُ ، فجثت به .

فلما وضعت ، تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جرة (٣) فشقها بأسنانه ، ثم ألقاها في نواحي الصحيفة ، ثم قال : خذوا باسم الله .

فأكل القوم ، حتى ما لهم بشيء حاجة ، وما أرى إلا موضع أيديهم . وإيم الله ، الذي نفس عليّ بيده ، إن كان الرجل الواحد ، ليأكل جميع ما قدمتُ لجميعهم .

(١) البهيقي : فاصنع لنا ، يا علي ، صاعاً من طعام ، وأعد لنا عس لبن .

(٢) العس : القدح الضخم . (٣) البهيقي : حذية .

ثم قال : اسق القوم .

فجئت بذلك العس فشربوا منه ، حتى رووا جميعاً .

وايم الله ، إن كان الرجل الواحد منهم ، ليشرب مثله .

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم ، بدّره (١) أبو هب إلى الكلام فقال : سحركم صاحبكم .

فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : الغد .

يا على ، إن هذا الرجل سبقني إلى ما سمعت من القول ، فأعِدْ لنا من الطعام مثل ما صنعت ، ثم اجمعهم لى .

فجئت وجمعهم ، فأكلوا وشربوا .

ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

يا بنى عبد المطلب ، إني والله ما أعلم شاباً من العرب ، جاء قومته ، بأفضل مما قد جئتم به ، إني قد جئتم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه ، فأيبكم يؤازرنى على هذا الأمر ، على أن يكون أخى ؟ فأحجم القوم فقلت ، وأنا أحدثهم سنّاً ، أنا يا بنى الله .

فقام القوم يضحكون (٢) .

(١) أى : سبقة .

(٢) هذا الخبر رواه البيهقي من طريق يونس بن بكير عن ابن اسحق عن شيخ أبيهم اسمه عن عبد الله بن الحارث . ورواه أبو جعفر بن جرير بطريق تفرد به عبد الغفار بن القاسم أبو مريم ، وهو كذاب شيعى ، اتهمه على بن المدينى وغيره بوضع الحديث ، وضعفه الباقر . وروى نحوه ابن أبى حاتم فى تفسيره . وروى نحوه الإمام أحمد فى مسنده .

الباب السادس عشر

في ذكر عموم رسالته

عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
كان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعث إلى الناس عامة .
وفي الباب عن علي ، وأبي ذر ، وأبي موسى ، وأبي أمامة ، وأبي هريرة
وعبد الله بن عمرو . وستأتي هذه الأحاديث .

الباب السابع عشر

في ذكر إرساله إلى الجن صلى الله عليه وسلم

عن جابر قال : قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن
فلما فرغ قال : « مالي أراكم سكوتاً ؟ للجن كانوا أحسن منكم ردّاً ،
ما قرأت عليهم (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) إلا قالوا : ولا بشيء من
نعمتك ربنا ، نُكَذِّبُ ، فلك الحمد .

• عن ابن مسعود قال :

انطلق النبي صلى الله عليه وسلم ، وانطلق بي معه حتى أتى بي ، إلى
البراز ، ثم خطاً لي خطاً ، ثم قال :

لا تبرح ، حتى أرجع إليك فما جاء ، حتى السحر ، فقال :
أُرْسِلْتُ إلى الجن .

قلت : فما هذه الأصوات التي أسمعها ؟

قال : هذه أصواتهم ، حين ودّعوني ، وسلّموا عليّ .

الباب الثامن عشر

في كونه خاتم النبيين

• عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خُتِمَ
بِالنَّبِيِّينَ » .

• عن سعد بن أبي وقاص قال : خَلَّفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم
علىَّ بن أبي طالب في غزاة تبوك ، فقال :

يا رسول الله ، تَخَلَّفَنِي فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ؟

قال : أما تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي ، بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، إِلَّا أَنَّهُ
لَا نَبِيَّ بَعْدِي .
أَخْرَجَاهُ (١) .

• عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنَا خَاتَمُ
النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » .
انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ مُسْلِمٌ .

(١) يعنى : البخارى ومسلم .

الباب التاسع عشر

في ذكر ما لاقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أذى السكندر وهو صابر

- عن ابن عباس : أن الملائكة من قريش اجتمعوا في الحجر . فتعاقدوا باللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، لو قد رأينا محمداً قننا إليه قيام رجل واحد ، فلم نفارقه حتى نقتله .
- قال : فأقبلت فاطمة عليها السلام تبكي ، حتى دخلت على أبيها صلى الله عليه وسلم ، فقالت : هؤلاء الملائكة من قومك في الحجر ، قد تعاقدوا أن لو رأوك ، قاموا إليك ، فليس منهم رجل إلا عرف نصيبه من دمك .
- قال : يا بنية ، أرني وضوئها .
- فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد فلما رأوه قالوا : هو هذا ، هذا هو . فخفضوا أبصارهم ، وعقروا في مجالسهم ، فلم يرفعوا إليه أبصارهم ، ولم يقيم منهم رجل .
- فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قام على رؤوسهم .
- فأخذ قبضة من تراب ، فغص بهم بها . وقال : شأنت الوجوه .
- قال : فما أصاب رجلاً منهم حصاة ، إلا قتل يوم بدر كافراً .
- عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : إن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على رقبته .
- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو فعل ، لأخذته الملائكة عياناً » .

• عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قيل له : ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما كانت تظهر من عداوته ؟

قال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر .

فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :

ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط .

سقه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على عظيم .

فبينما هم على ذلك ، إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت .

فلما مرَّ بهم ، غمزوه ببعض ما يقول .

قال : فعرفت ذلك في وجهه ، ثم مضى .

فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك في وجهه .

ثم مضى فرَّ بهم الثالثة ، فغمزوه بمثلها ، فقال :

تسمعون معشر قريش ، أما والذي نفس محمد بيده ، لقد جئتكم بالذبح !

فأخذت القومَ كلَّهم ، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر

واقع ، حتى إن أشدَّهم فيه وصاة قبل ذلك ، يترضاه بأحسن ما يجد من

القوم حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، انصرف راشداً ، فوائده

ما كنت جهولاً .

قال : فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حتى إذا كان الغد ، اجتمعوا في الحجر ، وأنا معهم فقال بعضهم لبعض :
ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه .

حتى إذا بادا لكم بما تكرهون ، تركتموه !

فبينام على ذلك ، طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة
رجل واحد ، فأحاطول به يقولون له :

أنت الذي تقول كذا وكذا ؟

لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم .

قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« نعم أنا الذي قلت ذلك » .

قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجامع ردائه .

قال : وقام أبو بكر الصديق دونه يقول وهو يبكي :

أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ! ثم انصرفوا عنه .

فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغوا منه قط .

• عن عمرو ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : أكثر ما نالت

قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عمرو : فرأيت عيني عثمان
ذرفتا من تذكر ذلك !

قال عثمان : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ويده

في يد أبي بكر ، وفي الحجر ثلاثة نفر جلوس .

عقبة بن أبي معيط ، وأبو جهل ابن هشام ، وأممية بن خلف .

فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما حاذاهم ، أسمعوه بعض ما يكره .
فعرفت ذلك في وجه النبي صلى الله عليه وسلم .
فدنوت منه ، حتى كان بيني وبين أبي بكر .
فأدخل أصابعه في أصابعي ، حتى طفنا جميعا .
فلما حاذاهم قال أبو جهل :
والله لا نصلحك ، ما بلّ بحر صوفة ، وأنت تنهانا أن نعيد ما يعبد
آباؤنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ذلك .
ثم مضى عنهم ، فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك .
حتى إذا كان الشوط الرابع ناهضوه .
فوثب أبو جهل يريد أن يأخذ بمجمع ثوبه ، فدفعت في صدره ، فوقع
على أسته .

ودفع أبو بكر أمية بن خلف .
ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبي معيط .
ثم انفرجوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو واقف ثم قال لهم :
أما والله ، لا تنتهون ، حتى يحلّ عقابه عاجلا .
قال عثمان : فوالله ما منهم رجل إلا وقد أخذ الخوف ، وجعل يرتعد .
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بثس القوم أنتم ،
لنبيكم » .

ثم انصرف إلى بيته وتبعناه حتى انتهى إلى باب بيته ، فوقف على السدة

ثم أقبل علينا بوجهه ثم قال :

أبشروا ، فإن الله عز وجل مُظهرٌ دينه ، ومتممٌ كلمته ، وناصرٌ نبيه ،
إن هؤلاء الذين ترون مما يذبح الله بأيديكم عاجلاً .

ثم انصرفنا إلى بيوتنا .

فوالله لقد رأيتهم قد ذبحهم الله عز وجل بأيدينا !

• عن أسماء بنت أبي بكر قالت : قال لي الزبير بن العوام :

لقد رأيته اليوم عجباً !

رأيتُ نفرًا من المشركين جلوساً حول الكعبة ورئيسهم أبو جهل
ابن هشام .

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يتآمرون بمناقضته .

فوقف عليهم وقال :

قُبِّحْتُمْ وقبح أصحابكم .

فكأنهم خرسوا ، ما فيهم أحد يتكلم ، ولا يقوم .

ولقد نظرت إلى أخبثهم وأنجسهم ، وهو يعدو في أثره يعتذر إليه
ويقول كُفَّ عنا ، ونكف عنك .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا أكف عنك ، حتى تؤمن
بالله ، أو أقتلك .

قال : وأنت تقدر على قتلي ؟ !

قال : الله يقتلك ، ويقتل هؤلاء .

فانصرف أبو جهل وأولئك منكسرين .

• عن عروة بن الزبير قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص :
أخبرني بأشد شيء صنعته المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة ، إذ أقبل عُقبة
ابن أبي معيط ، فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولوى ثوبه
في عنقه ، فخنقه خنقا شديداً .

فأقبل أبو بكر ، فأخذ بمنكبه ، ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال :

أتقتلون رجلاً ، أن يقول ربي الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم !!
• عن عبد الله قال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دعا
على قريش غير يوم واحد .

فإنه كان يصلي ، ورهطاً من قريش جلوس ، وسلا جزور^(١) قريب
منه ، فقالوا : من يأخذ هذا السلا ، فيلقيه على ظهره ؟

قال : فقال عقبة بن أبي معيط : أنا . فأخذه ، فألقاه على ظهره .

فلم يزل ساجداً ، حتى جاءت فاطمة ، فأخذته عن ظهره .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم عليك الملائكة من قريش ،
اللهم عليك بعقبة ، اللهم عليك بشيبة ، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام ،
اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط ، اللهم عليك بأبي بن خلف ، أو أمية

(١) قال في الصباح : « السلى » وزان « الحصى » الذي يكون فيه الولد
والجمع أسلاء مثل سبب وأسباب اه ، وفي الصحاح « السلا » مقصور : الجلدة
الرفيعة التي يكون فيها الولد من المواشي ، إن نزعته عن وجه الفصيل ساعة يولد ،
ولا تقتله اه والمراد هنا : كرش الناقة .

ابن خلف . قال عبد الله : فلقد رأيتهم قُتِلُوا يوم بدر جميعاً ، ثم سَجَبُوا إلى القليب ، غير أبي أو أمية (١) فإنه كان رجلاً ضخماً ، فتقطع .

• عن ابن إسحاق : لما أجمع المشركون على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منعه عنه أبو طالب .

فشى جماعة من أشrafهم كعتبة ، وشيبة وأبي جهل ، إلى أبي طالب فقالوا :

إن ابن أخيك ، قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آبائنا .

فإما أن تكفه عنا ، وإما أن نخلى بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيكه .

فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً ، وردهم رداً جميلاً ، فانصرفوا .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه ، فشرى الأمر (٢) بينه وبينهم ، فخص بعضهم بعضاً عليه .

ثم عادوا إلى أبي طالب فقالوا : لا نصبر على هذا .

فقال له : يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوني وقالوا كذا وكذا ، فلا تعصمني من الأمر ، مالا أطيق .

(١) رد المؤلف بين أمية وأبي ، تبعاً للبخارى في بعض رواياته . والصواب - كما ذكر الزرقاني - أنه أمية ، وهو ما أطبق عليه أصحاب النفاذ ، لأنه هو المقتول ببدر .

وأما أخوه أمي ، فإنما قتل بأحد . انظر شرح المواهب ٢٥٣/١ .

(٢) شري : اشتد .

فَقَالَ : يَا عَمَّاهُ ، وَاللَّهِ ، لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسُ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرُ فِي يَسَارِي ،
عَلَى أَنْ أَتْرِكَ هَذَا الْأَمْرَ ، مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى يَظْهَرَ اللَّهُ أَوْ أَهْلَكَ فِيهِ !
ثُمَّ بَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَامَ .
فَلَمَّا وَلَّى ، نَادَاهُ أَبُو طَالِبٍ : أَقْبِلْ إِلَيَّ يَا ابْنَ أَخِي . فَأَقْبَلَ .
فَقَالَ : اذْهَبْ ، فَقُلْ مَا أَحْبَبْتُ ، فَوَاللَّهِ لَا أُسَلِّمُكَ لَشَيْءٍ أَبَدًا .
فَبَدَأَتْ الْحَرْبُ وَوُثِّبَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ عَلَى مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، يَعَذِّبُونَهُمْ
وَيَفْتَنُونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ .
وَقَامَ أَبُو طَالِبٍ فِي بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْمَنَعِ عَنْ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وَكَانُوا إِذَا صَلُّوا ذَهَبُوا إِلَى الشُّعَابِ يَسْتَخْفُونَ مِنْ قَوْمِهِمْ ، فَقَاتَلُوهُمْ ،
فَضْرَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِلَحْجِي جَهْلٍ ، فَشَجَّهَ .
فَكَانَ أَوَّلَ دَمٍ أُرِيْقَ فِي الْإِسْلَامِ .
• عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : مَرَضَ أَبُو طَالِبٍ . فَأَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعُمُودَةٍ ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ مَقْعَدُ رَجُلٍ ، فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ ، وَقَعَدَ فِيهِ .
قَالُوا : إِنْ ابْنُ أَخِيكَ يَقَعُ فِي أَلْمَتِنَا .
قَالَ : مَا شَأْنُ قَوْمِكَ يَشْكُونُكَ ؟
قَالَ : يَا عَمَّ أَرَدْتُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، تَدِينُ لَهُمُ الْعَرَبُ ، وَيُؤَدِّي الْعَجَمُ
إِلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ .
قَالَ : مَا هِيَ ؟ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .
فَقَالُوا : أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ؟
وَنَزَلَ : « ص وَالْقُرْآنَ ذِی الذِّكْرِ » فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ « إِنَّ هَذَا
لَشَيْءٌ عَجَبٌ » .

الباب العشرون

في ذكر ما روى عن إيمان أكنم بن صيفي
برسول الله صلى الله عليه وسلم : لما بلغه خروجه

• عن ابن عمير قال : بلغ أكنم بن صيفي تخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراد أن يأتيه ، فأبى قومه أن يدعوه .

فقال : من يبلغني عنى ويبلغني عنه ؟

فانتدب رجلان فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقالا :

نحن رُسل أكنم بن صيفي ، وهو يسألك من أنت ، وما أنت ،
وبم جئت ؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أنا محمد بن عبد الله ، وأنا عبد الله
ورسوله ، ثم تلا عليهما (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ... الآية) .

فقالا رُدَّ علينا هذا القول فردّه عليهم حتى حفظوه .

وأتيا أكنم فقالا : سألناه عن نسبه ، فوجدناه واسط النسب في مضر ،
وقد رمى إلينا كلمات .

فلما سمعن أكنم قال : يا قوم ، أراه يأمر بمكارم الأخلاق ، وينهى
عن ملامتها ، فكونوا في الأمر رءوسا ، ولا تكونوا أذنانا ، وكونوا فيه
أولا ، ولا تكونوا آخرا .

فلم يلبث أن حضرته الوفاة .

فقال أكنتم : وَيْلٌ لِلشَّجِيِّ مِنَ الْخَلِيٍّ (١) ، يَا لَهْفَ نَفْسِي (٢) عَلَى أَمْرِ
لم أدركه ولم يُقْتَتَى .

ما آسى عليك (٣) بل على العامة .

يا مالك ، إن الحق إذا قام ، دفع الباطل .

فتبعه مائة نفس ، وخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما كان في بعض الطريق ، عمد حُبَيْش إلى رواحلهم فنحرها ، وشقَّ
ما كان معهم من مزادة وهرب ، فَجَهِدَ أَكْثَمَ الْعَطَشِ (٤) ، فمات وأوصى
من معه ، باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أنه أسلم .

فأنزل فيه : « وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ
الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » (٥) .

(١) قال في المختار من الصحاح « الشَّجْوُ » أَلْهَمُ وَالْحُزْنُ وقد شجاء :

حَزَنَهُ ، وبابه « عدا » وأشجاء : أغصه . وتقول منهما جميعا : شَجِي ، من باب

« صَدِي » ومثله في المصباح والمراد هنا : ويل للمعتلى حزنا من الخالي منه .

(٢) أى : يا حزن نفسى . قال في المختار من الصحاح : لهف أى حزن وتحصر

وكذا التلهف على الشيء . والملهوف المظلوم يستغيث . واللهيف : المضطر . واللهفان :

التحصر . وفي الصحاح : وقولهم يا لهف فلان كلمة يتحصر بها على ما فات .

وقول الشاعر :

فَلَسْتُ بِمُدْرِكٍ مَا فَاتَ مِنِّي بَلَهْفَ وَلَا بَلَيْتَ وَلَا لَوَانِي

أراد « لهفاه » فحذف .

(٣) أى : ما أحزن عليك . قال في المصباح وأسى أى من باب تعب : حزن

فهو أسى مثل حزين وفي المختار من الصحاح أسى على مصيبة من باب صدى أى :

حزن . وقد أسى له . أى حزن له .

(٤) أى اشتد عطشه إلى النهاية . (٥) سورة النساء : آية ١٠٠

الباب الحادي والعشرون

في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه
بالخروج إلى أرض الحبشة

وقال : إن بها مَلِكًا لَا يُظْلَمُ النَّاسَ بِيَلَادِهِ ، فَتَجَرَّزُوا (١) عنده ، حتى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِفَرَجٍ مِنْهُ .

فخرج جماعة واستخفي آخرون بإسلامهم .
والذين خرجوا إلى الحبشة كانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة .
وكان خروجهم في رجب من السنة الخامسة ، من حيث نُبِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وخرجت قريش في آثارهم ، فقاتوهم .
فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة « النجم » وسمعوا : « تلك الغرائيق العلى » وإنما قالها بعض الشياطين (٢) لا أنها جرت على لسان

(١) قال في الصحاح : الجزز : الموضع الحصين . واحتزرت من كذا وتعحزرت ، أى : توقيته . باختصار . أى : كونوا آمنين وحافظين أنفسكم عنده .

(٢) قصة الغرائيق باطلة لا تستند إلى أصل صحيح ، كما بين ذلك القاضى عياض في كتاب الشفاء والزرقاتى في شرح المواهب . قلت وقد زيف هذه القصة أيضاً الإمام محمد عبده . ونشرها السيد محمد رشيد رضا .

كما ألف محدث هذا العصر محمد ناصر الدين الألبانى رسالة أسماها « نصب المجانيق لنسف قصة الغرائيق » جواباً لسؤال وجهه إليه بعض علماء الباكستان جمع فيها جميع الروايات وخرجها تخرجاً علمياً ، أشبع فيها القول بما لم يسبق إليه وبما لا مزيد لمستزيد ، وقد طبعت بدمشق سنة ١٣٧٢ هـ الموافق لـ ١٩٥٢ م فهى جديرة بأن يقرأها كل من يحرص على سلامة إيمانه . محمد زهرى النجار

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سجد في السورة ، سجد المشركون معه ، ورفع الوليد كفاً من تراب إلى جيبته .

فبلغ ذلك أهل الحبشة ، فقالوا : إذا كانوا قد آمنوا ، فلترجع إلى عشائربنا . فرجعوا .

فلقيهم ركب^(١) فسألوهم ، فقالوا : ذكر محمد آلمتكم فبايعوه ، ثم عاد عن ذكرها ، فعادوا له بالشر .

فلم يدخل أحد منهم إلا بجوار ، إلا ابن مسعود ، فإنه مكث قليلا ، ثم رجع إلى أرض الحبشة .

فَسَطَّتْ^(٢) بهم عشائربهم وأذوهم ، فَأَذِنَ لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج مرة أخرى ، فخرجوا ، وخرج معهم خلق كثير .

قال ابن إسحاق : جميع من لحق بأرض الحبشة سوى أبنائهم الذين خرجوا معهم صفاراً أو ولدوا بها : ثَيْفٌ وثمانون رجلا ، إن كان عمار ابن ياسر منهم .

وقال الواقدي : كانوا ثلاثة وثمانين رجلا ، ومن النساء إحدى عشرة قرشية ، وسمع غرائب .

• عن عمرو بن العاص قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق ، جمعت رجالا من قريش كانوا يرون مكاني ، ويسمعون مني .

فقلت لهم : تعلمون والله ، إني لأرى أمرَ محمد يعلو الأمور علواً مُنْكَرًا ، وإني قد رأيت رأياً ، فأترون فيه ؟

(١) ركب جمع راكب ، أى جماعة من المسافرين .

(٢) سطت بهم : بطشت بهم ، ووثبت عليهم .

قالوا : وما رأيت ؟ قال : رأيتُ أن نلحق بالنجاشي ، فنكون عنده .
فإن ظهر محمد على قومنا ، كنا عند النجاشي ، فإننا أن نكون تحت
يده ، أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد .
وإن ظهر قومنا فنحن ممن عرفنا ، فلن يأتينا منهم إلا خير .
فقالوا : إن هذا الرأي .

قلت : فاجمعوا ما نهدي له ، وكان أحب ما نهدي إليه من أرضنا
الأدم^(١) فجمعنا له أدمًا كثيرًا .
ثم خرجنا حتى قدمنا عليه .

فوالله إنا لعنده ، إذ جاء عمرو بن أمية الضمري .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه .
قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده .

قال : قلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية ، لو قد دخلت على النجاشي
لسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك ، رأت قريش أني قد
أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد .

قال : فدخلت عليه ، فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً
بصديقي ، أهديت لي من بلادك شيئاً ؟

قال : قلت : نعم أيها الملك ، قد أهديت لك أدمًا كثيرًا .

قال : ثم قدّمته إليه فأعجبه واشتهاه ، ثم قلت :
أيها الملك ، إني قد رأيت رجلاً قد خرج من عندك ، وهو رسول رجل
عدوّ لنا ، فأعطني لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا .

(١) الأدم بفتحين : اسم جمع للأديم ، وهو الجلد أو الأحمر ، أو مذبوغه .

قال : فغضب ثم مدَّ يده فضرب أنفه ضربة ، ظننت أنه قد كسره ،
فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً^(١) منه .

فقلت^(٢) : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكبره هذا ما سألتكه .

قال : أتسألني أن أعطيك رسولَ رجل يأتيه الناموس الأكبر ، الذي
كان يأتي موسى لقتله ؟ !

قلت : أيها الملك ، أكذلك هو ؟ !

قال : ويحك يا عمرو ! أظنني واتبعه ، فإنه ، والله ، لعلى الحق ،
وليظهرنَّ على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده .

قلت : أقتبا يعني له على الإسلام ؟ قال : نعم .

فبسط يده ، فبايعته على الإسلام .

ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمتُ أصحابي
إسلامي ثم خرجت عامداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت^(٣) .

• عن ابن مسعود قال : بَعَثْنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
النجاشي ومُحَنٍّ نحوَّ من ثمانين رجلاً ، وبعثت قريش ، عمرو بن العاص ،
ومُحَارَّة بن الوليد بهدية .

فلما دخلا على النجاشي ، سَجَدَا له ثم قالَا : إن نفرأ من بني عمنَّا ،
نزلوا بأرضك ورَغِبُوا عَنَّا وعن ملتنا .

قال : فأين عم ؟ قالَا : في أرضك .

(١) فرقاً : أى خوفاً منه . (٢) ابن هشام : ثم قلت .
(٣) ذكر ابن هشام بقية الخبر وفيه ، أنه لقي خالد بن الوليد ، واتفقا على
الذهاب إلى المدينة ، ليسلما .

فبعث إليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم . فاتبعوه .

فسلم ولم يسجد ، فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟

قال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل ، إن الله تعالى بعث إلينا رسوله صلى الله عليه وسلم ، فأمرنا ألاّ نسجد لأحد إلا لله عز وجل ، وأمرنا بالصلاة والزكاة .

قال عمرو بن العاص : فإنهم يخالفونك في عيسى بن مريم .

قال : ما تقولون في عيسى بن مريم وأمه ؟

قالوا : نقول كما قال الله : هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسه بشر ولم يقرعها ذكر (١) .

قال : فرفع عوداً من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والتيسيين والرهبان ، والله ما تزيدون على الذي يقول فيه ، ما يساوى هذا .

مرحباً بكم وبين جنتي من عنده ، أشهد أنه رسول الله ، فإنه الذي نجد في الإنجيل ، وإنه الذي بشر به عيسى بن مريم ، انزلوا حيث شئتم .

والله لولا ما أنا فيه من الملك ، لأنته حتى أكون أنا أحمل نعليه .

وأمر بهدايا الآخرين ، فردّت إليهم .

(١) مسند أحمد وسيرة ابن كثير : ولم يفرضها ولد . أى لم يؤثر فيها ولد ولم يجزها قبل المسيح .

الباب الثاني والعشرون

في ذكر ما كتبه المشركون من التبرّي من بني هاشم وبني المطلب

لَمَّا دَفَعَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمَطْلَبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ وَكَتَبُوا كِتَابًا تَعَاذُوا فِيهِ إِلَّا يَنْكَحُوا إِلَى بَنِي هَاشِمٍ
وَبَنِي الْمَطْلَبِ وَلَا يُنْكَحُوهُمْ ، وَلَا يَبِيعُوهُمْ وَلَا يَتَّاعُوا مِنْهُمْ .

وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ النَّبُوَّةِ .

وَعَلَّقُوا ذَلِكَ الْكِتَابَ فِي جُوفِ الْكَعْبَةِ تَوْكِيدًا لِلْأَمْرِ .

فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ، انْحَازَ بَنُو هَاشِمٍ ^(١) وَبَنُو الْمَطْلَبِ إِلَى أَبِي طَالِبٍ ،
فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فِي شِعْبِهِ ^(٢) ، وَخَرَجَ مِنْهُمْ أَبُو لَهَبٍ ، وَظَاهَرُ ^(٣) الْمُشْرِكِينَ .

فَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ ثَلَاثَ سِنِينَ وَقَطَعُوا الْمِيرَةَ وَالْمَادَّةَ عَنْهُمْ ^(٤) ،
فَكَانُوا لَا يَخْرُجُونَ إِلَّا مِنْ مَوْسَمٍ إِلَى مَوْسَمٍ ، حَتَّى بَلَغَهُمُ الْجُنْدُ ^(٥) .

وَكَانَ هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ رَبِيعَةَ يُدْخِلُ إِلَيْهِمْ أَحْمَالَ طَعَامٍ وَيَكْتُمُ ذَلِكَ .
ثُمَّ نَقِضَ حُكْمَ الصَّحِيفَةِ الْمَكْتُوبَةِ ، وَفِي سَبَبِ نَقْضِهِ قَوْلَانِ :

(١) انْحَازَ بَنُو هَاشِمٍ . أَيْ : انْضَمُّوا .

(٢) أَيْ : فِي أَرْضِهِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، قَالَ فِي الصَّحَاحِ : الشَّعْبُ بِالْكَسْرِ
الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ ، وَفِي الْقَامُوسِ : الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ وَمَسِيلُ الْمَاءِ فِي بَطْنِ أَرْضٍ
أَوْ مَا اقْتَرَجَ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ . (٣) ظَاهِرُ الْمُشْرِكِينَ . أَيْ : عَاوَنُهُمْ .

(٤) أَيْ قَطَعُوا عَنْهُمْ الطَّعَامَ وَلَوَازِمَ الْحَيَاةِ .

(٥) أَيْ : بَلَغَتْ بِهِمُ اللَّشَقَّةُ نَهَايَتَهَا .

أحدهما : أن الله تعالى أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على أمر صحيفتهم وأن الأرضة (١) قد أكلت ما كان فيها من جَوز وظلم ، وبقي ما كان من ذكر الله .

فذكر ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب .
فقال أبو طالب : أحق ما تخبرني به يا ابن أخي ؟ قال : نعم ، والله يا عم .

فذكر ذلك أبو طالب لأخويه ، وقال : والله ما كذَّبني قط .
قالوا : فأتري ؟

قال : أرى أن تلبسوا أحسن ثيابكم ، وتخرجوا إلى قريش ، فذكر لهم ذلك من قبل أن يبلغهم الخبر .

فخرجوا حتى دخلوا المسجد ، فقال أبو طالب :
إنا قد جئنا في أمر فأجيبوا فيه .
قالوا : مرحباً بكم وأهلاً .

قال : إن ابن أخي قد أخبرني ولم يكذِّبني قط ، أن الله تعالى سلَّط على صحيفتكم الأرضة ، فلحست كل ما كان فيها من جَوز ، أو ظلم ، أو قطيعة رحم ، وبقي فيها كل ما ذكر به الله تعالى .

فإن كان ابن أخي صادقاً ، نزعتم عن سوء رأيكم .
وإن كان كاذباً ، دفعتم إليكم فقتلتموه ، أو استحيتتموه إن شئتم .

(١) قال في المختار من الصحاح ، الأرضة : بفتح الراء والضاد . دويبة تأكل الخشب .

قالوا : قد أنصفتنا .

فأرسلوا إلى الصحيفة ، فلما فتحوها ، إذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسُقِطَ (١) في أيدي القوم ، ثم نُكِسُوا على رؤوسهم .

فقال أبو طالب : هل تبين لكم أنكم أولى بالظلم والقطيعة .

فلم يراجعه أحد منهم . ثم انصرفوا .

رواه محمد بن سعد ، عن أشياخ له .

والثاني : أن هشام بن عمرو بن الحارث العامري ، مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال :

يا زهير ، أَرْضَيْتَ أَنْ تَأْكُلَ الطَّعَامَ ، وَتَلْبَسَ الثِّيَابَ وَتَسْكَحَ النِّسَاءَ وَأَخْوَالَكَ حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ ، لَا يَبْتَاعُونَ وَلَا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ ، وَلَا يَنْكَحُونَ وَلَا يُنْكَحُ إِلَيْهِمْ !

أَمَا إِنِّي أَحْلَفُ بِاللَّهِ ، لَوْ كَانَ أَخْوَالُ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ ، ثُمَّ دَعَوْتَهُ إِلَى مِثْلِ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ ، مَا أَجَابَكَ إِلَيْهِ أَبَدًا .

قال : ويحك يا هشام ، فماذا أصنع ؟ ! إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معي آخر لَقُمْتُ فِي نَقْضِهَا .

قال : قد وجدت رجلا . قال : من هو ؟ قال : أنا . قال ابْقِنَا (١) مَالًا .

فذهب إلى الْمُطْعَمِ بْنِ عَدَى ، فقال له :

يا مطعم ، أَرْضَيْتَ أَنْ تَهْلِكَ بَطْنَانِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، وَأَنْتَ مُوَافِقٌ لِقُرَيْشٍ فِي ذَلِكَ !

(١) سقط . بالبناء للجهول ، أى : ندم . (٢) ابْقِنَا . أى : اطلب لنا .

قال : ويحك ماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد .

قال : قد وجدتَ ثالثاً . قال : من هو ؟ قال زهير بن أمية .

قال : ابقينا رابعاً .

فذهب إلى أبي البختريّ بن هشام فقال له نحواً مما قال للمطعم بن عدي ، فقال :

وهل من أحد يُعين على هذا ؟

قال : نعم زهير ، والمطعم ، وأنا معك .

قال : ابقينا خامساً .

فذهب إلى زُمعة بن الأسود فكلّمه . فقال : وهل على هذا الأمر أحد ؟

قال : نعم . فسَمَى له القوم .

فأتعدوا واجتمعوا ، وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى ينتقضوها .

فعدا زهير فطاف ثم قال :

يا أهل مكة ، إنا نأكل الطعام ، ونشرب الشراب ، ونلبس الثياب ،
وبنو هاشم هلكي ، والله لا أقعد حتى تُشَقَّ هذه الصحيفة الظالمة القاطعة .

فقال أبو جهل : كذبت والله لا تُشَق .

فقال زُمعة : أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابتها حين كُتبت .

فقال أبو البختريّ : صدق زُمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقرّ به .

فقال المطعم : صدقنا وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها
وما كتب فيها .

وقال هشام بن عمرو ، نحواً من ذلك .

فقال أبو جهل : هذا أمرٌ قُضِيَ (١) بلبيل ، وتُشَوَّر فيه بغير هذا المكان .

فقام مطعم إلى الصحيفة ليشتها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا ما كان من « باسمك اللهم » .

وكان كاتبها منصور بن عكرمة بن هاشم ، فشُلَّت يده .

• عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر (٢) وهو بمئى :

« نحن نازلون غداً بِخَيْف (٣) بنى كنانة ، حيث تقاسموا على الكُفْرِ .
يعنى بذلك ، المحصَّب .

وذلك أن قريشاً وكنانة ، تحالفوا على بنى هاشم وبنى المطلب ، ألاّ يناكحوا ولا يبايعوا ، حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) أى : دُبِّرَ .

(٢) فى البخارى ١٨٦/٢ : حين أراد جنينا .

(٣) قال فى الصحاح : الخيف : ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ، والمراد هنا : اسم موضع لبنى كنانة مرتفع عن مسيل الماء .

الباب الثالث والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى عليه وسلم
مع ضِمَاد الأَزْدِي الوافد

• عن ابن عباس : أن ضِمَاداً قَدِمَ مَكَّةَ وكان من أَزْدِ شَنْوَةَ ، وكان يَرْقِي من الرِّيح^(١) ، فسمع سَفَهَاءَ أَهْلِ مَكَّةَ يقولون : إنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ .

فقال : لو أَنِي رَأَيْتُ هذا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ أَن يَشْفِيهِ على يَدِي !

قال : فَأَنْتَيْتَهُ فَقُلْتَ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي من الرِّيح^(١) وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي على يَدِي من شاء ، فهل لك ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ الْحَمْدُ لله نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ ، من يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومن يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . أَمَا بَعْدُ . »

فقال : أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ .

فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَقَالَ :
لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكُهْنَةِ وَالسَّحَرَةِ وَالشُّعْرَاءِ ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ وَلَقَدْ بَلَغْتُ قَامُوسَ^(٢) الْبَحْرِ ، هَاتِ يَدَكَ أَبَايَعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ .
فَبَايَعَهُ .

(١) ابن كثير « من هذه الرياح » .

(٢) قاموس البحر : أبعد مكان فيه غورا . قال في المختار من الصحاح : قاموس البحر : وسطه ومعظم الماء فيه . ومثله في سائر المعاجم . وفي ابن كثير : ولقد بلغني قاموس البحر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعلى قومك ؟

قال : وعلى قومي .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية ، فروا بقومه .

فقال صاحب الجيش : هل أصبتم من هؤلاء شيئاً ؟

قال رجل : أصبت منهم مظهرة^(١) .

قال : رُدّها ، فإن هؤلاء قوم ضَمَاد .

(١) المظهر : البعير الذي هجمته الظهيرة .

الباب الرابع والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع عتبة بن ربيعة

• عن جابر بن عبد الله قال : اجتمعت قريش يوماً فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليأت هذا الرجل الذي قد فرّق جماعتنا ، وشئت أمرنا ، وعاب ديننا ، فليكلّمه ، فلينظر ماذا يردّ عليه ؟ فقالوا : ما نعلم أحداً ، غير عتبة بن ربيعة . فقالوا : ائنه يا أبا الوليد . فأناه عتبة فقال : يا محمد أنت خيرٌ أم عبد الله ؟ فسكت . ثم قال : أنت خيرٌ أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خيرٌ منك ، فقد عبدوا الآلهة التي عبتّها .

وإن كنت تزعم أنك خير منهم ، فتكلّم حتى نسمع قولك .
ما رأينا سَخلة^(١) أشأمَ على قومه منك .

فرقت جماعتنا وشئت أمرنا ، وفضحتنا في العرب .

حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرا ، وأن في قريش كاهنا .
والله ما ننتظر إلا مثل صبيحة الحبل أن يقوم بعضنا ببعض بالسيوف ، حتى نتفانى .

(١) السخلة : تطلق على الذكر والأنثى من أولاد الضأن والعز ساعة تولد .
يريد : ما رأينا مولوداً أنحس على قومه منك .

أيها الرجل إن كان ما بك الباه فاختر أى نساء قريش فلنزوجك
عشرا، وإن كان ما بك الحاجة، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنى
قريش رجلا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فرغت ؟ قال : نعم .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حَمْ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .
كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا وَنَذِيرًا » .
حتى قرأ : « فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ قَادٍ
وَتَمُودَ (سورة فصلت من ١ إلى ١٣) » .

فقال له عتبة : حسبك ، فما عندك غير هذا ؟ قال : لا .

فرجع إلى قريش ، فقالوا له : ما وراذك ؟

قال : ما تركتُ شيئا ، أرى أن تكلموه به إلا وقد كلمته .

قالوا . فهل أجابك ؟ قال : نعم .

قال : لا والذي نَصَبَهَا بَيْنِيَّةً^(١) ما فهمت مما قال غير أنه قال :
« أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَتَمُودَ » .

قالوا : وملك ! يكلمك بالعربية ، ولا تدري ما يقول !

قال : والله ما فهمت شيئا مما قال ، غير ذكر الصاعقة !

(١) بنية . يريد : الكعبة .

الباب الحامس والعشرون

في ذكر ما أشار به الوليد على قريش في أمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم

• عن سعيد بن جبير ، أن الوليد بن المغيرة ، اجتمع إليه نفر من
قريش ، وكان ذا سنٍّ فيهم ، وقد حضر الموسم .

فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب
ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً
ولا تختلفوا في كذب بعضكم بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً .

قالوا : فانت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقم لنا رأياً ، نقل به .
قال : بل أنتم ، فقولوا وانموا .

قالوا : نقول إنه كاهن .

قال : ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان ، فما هو بزمزمهم
ولا سجنهم .

قالوا : نقول إنه مجنون .

قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بمنقته
ولا تخالجه ، ولا وسوسته .

قالوا : فنقول إنه شاعر .

قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله ، رجزه ، وهزجه ، ومقبوضه ،
ومبسوطه ، فما هو بالشاعر .

قالوا : فنقول : ساحر .

قال : ما هو ساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بَنَفْتُهُ ولا عَنَقْدُهُ .

قالوا : فما نقول ؟

قال : والله إن لقوله حلاوة ، وإن أصله لَعَذَقُ (١) ، وإن فرعه لَجَنَاةُ (٢) وما أنتم بَقَائِلِينَ من هذا شيئاً ، إلا عُرِفَ أنه باطل .

وإن أقرب القول فيه أن تقولوا : هذا ساحر ، يَفَرِّقُ بين المرء وابنه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته .

فتفترقوا عنه بذلك .

• عن عمرو ، أن الوليد بن المغيرة قال : قد سمعت الشعر ، رجزه وقريضه ، فما سمعت مثل هذا ، يعنى القرآن ، ما هو بشعر .

إن عليه لَطَلَاوَةٌ (٣) ، وإن له لَنُوراً ، وإمّنه يعلو وما يُعْلَى .

• عن عكرمة ، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكانه رَقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه فقال :

أى عم ، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ، قال : ولم ؟

قال : ليمطوكه ، فإنك أتيت محمداً تتعرض لما نقوله (٤) .

قال : قد علمت قريش ، أنى من أكثرها مالا .

(١) العذق : النخلة : يشبهه بالنخلة التي ثبت أصلها وقوى ، وطاب فرعها إذا جنى وفي الأصل : لَعَذَقَ . وهو تحريف والتصويب من ابن هشام .

(٢) الجناة : ما يجنى من الشجر .

(٣) أى : حسن وبهجة .

(٤) ابن كثير : تعرض لما قبله .

قال : فقل له قولاً يَبْلُغُ قَوْمَكَ ، أنك مُنْكَرٌ لما قال ، وأنتَ كاره له .
قال : وماذا أقول فيه ؟ فوالله ما منكم أعلم بالأشعار مني .
والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله سَلَاوَةً وإن عليه
لَطَلَاوَةً ، وإنه لَمُشْمَرُ أعلاه ، مُفْدِقٌ (١) أسفله ، وإنه لِيَخْطِلُ ما تحته ، وإنه
لَيَقْلُو ما يُغْلَى .

فقال : والله ما يرضى قومك حتى تقول فيه .

قال : فدعني حتى أنظر إليه .

قال : فلما فُكِّرَ قال : هذا سحر يؤثر . أى : يَأْثُرُهُ (٢) عن غيره .
فنزل فيه : « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً » (٣) .

(١) غصب . كما في أساس البلاغة .

(٢) يَأْثُرُهُ : يرويه .

(٣) سورة للدثر . الآية - ١١

الباب السادس والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مع الطفيل بن عمرو

قال محمد بن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى
من قومة يَبْذُل لهم النصيحة ويدعوهم إلى النجاة [مما هم فيه] ^(١) وجعلت
قريش حين منعه الله منهم ، يحذرون الناس ومن قدم عليهم من العرب .
وكان الطفيل بن عمرو الدؤسي ، يحدث أنه قدم مكة ، ورسول الله
صلى الله عليه وسلم بها ، فشى إليه رجال من قريش ، وكان الطفيل رجلاً
شريفاً شاعراً لبيباً .

فقالوا له : يا طفيل ، إنك قدِمت بلادنا ، وهذا الرجل الذي بين
أظْهُرنا ، قد أعْضَلَ بنا ، وفرَّقَ جماعتنا .
وإنما قوله كالسحر ، يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين
أخيه ، وبين الرجل وزوجته .

وإنما نَحْشَى عليك وعلى قومك ، ما قد دخل علينا ، فلا تسكِّمهُ
ولا تسمع منه .

قال : فوالله ما زالوا بي ، حتى أجمعتُ على ألا أسمع منه شيئاً
ولا أكلمه ، حتى حشوتُ أُذُنِي حين غَدوت إلى المسجد كَرْسُفاً ^(٢) ،

(١) من ابن هشام . (٢) الكرسف : القطن .

قَرَأَ^(١) من أن يبلغني شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمع .
قال : فعدوتُ إن المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمٌ
يصلِّي عند الكعبة .

قال : فقتت قريباً منه ، فأبى الله إلا أن يُسمعني بعضَ قوله .
قال : فسمعت كلاماً حسناً ، فقلت في نفسي : واكُكَلِ أُمِّي !
والله ، إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح ، فما يمنعني
من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟
فإن كان الذي يأتي به حسناً ، قَبِلْتُهُ ، وإن كان قبيحاً تركته .
قال : فكنت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته .
فاتبعته حتى دخلت عليه ، فقلت :

يا محمد ، إن قومك قالوا لي كذا وكذا . للذي قالوا .
فوالله ما برحوا يخوفوني^(٢) أمرك حتى سددت أذني بكرسُف ،
لثلاث أسمع قولك .
ثم أبى الله إلا أن يُسمعني^(٣) ، فسمعتُ قولاً حسناً ، فاعرض
عليَّ أمرك .

قال : فعرض عليَّ الإسلام وتلا عليَّ القرآن ، فوالله ما سمعت قولاً
قط ، أحسن ، ولا أمراً أعدل منه .

قال : فأسلتُ وشهدتُ شهادة الحق ، وقلت : يا نبي الله ، إني أمرؤ

(١) فرقاً . أي : خوفاً . (٢) في النسخ : يخفوني . وهو تحريف .

(٣) ابن هشام : يسمعني قولك .

مُطَاع في قومي ، وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام ، فادعُ الله أن يجعل لي آية ، لتكون لي عوناً عليهم فيما أَدْعُوهم إليه .

قال : فقال « اللهم اجعل له آية » .

قال : فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بِدَنْيَّة (١) تَطْلُعُني على الحاضر وقع نورٌ بين عينيّ مثل الصباح .

قال : فقلت : اللهم اجعله في غير وجهي ، فإنّي أخشى أن يظنوا أنها مُثَلَّةٌ وقعت في وجهي ، لفراق دينهم .

قال : فتحوّل ، فوقع في رأس سوطي .

فجعل الحاضرون يترآؤون ذلك القور في سوطي كالقنديل المعلق ، وأنا أنهبطُ إليهم من الشّية .

قال : حتى جثتهم فأصبحتُ فيهم .

فلما نزلتُ ، أتاني أبي وكان شيخاً كبيراً .

قال : فقلت : إليك عني (٢) يا أبت ، فلستُ منك ولستَ مِنّي .

قال : ولم أيّ بنى ؟

قال : قلت : أسلمتُ وبايعتُ محمداً صلى الله عليه وسلم (٣) .

قال : أيّ بنى ، فدبني دينك [قال : فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت قال : فذهب] (٤) فاغتسلَ وطهرَ ثيابه ثم جاء ، فعرضت عليه الإسلام ، فأسلم .

(١) الثنية : الفرجة بين الجبلين .

(٢) إليك عني . أي : ابتعد عني .

(٣) ابن هشام « وتابعت دين محمد » . (٤) مابن القوسين من ابن هشام .

قال : ثم أتتني صاحبتى فقلت لها : إليك عني ، فاست منك ولست مني .

قالت : ولم ، بأبي أنت وأمي ١٩

قال : قلت : فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ الْإِسْلَامُ . فأسلت (١) .

ثم دعوت دوسا إلى الإسلام فأبطأوا عليّ .

ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يا نبي الله ، إنه قد غلبتني دَوس ، فادع الله عليهم :

قال : « اللهم اهدِ دوسا ، ارجع إلى قومك ، فادعهم ، وارفق بهم » .

قال : فرجعت فلم أزل بأرض دوس ، أدعوم إلى الإسلام ، حتى هاجر

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وقضى (٢) بدرأ ، وأحدأ ، وانخندق .

ثم قَدِمْتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معي من قومي ،

ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين

يتجاً من دَوس (٣) .

(١) اختصر ابن الجوزي هنا ، فلم يذكر ما دار بينه وبينها حتى أسلت ، وهو المذكور في ابن هشام جزء ٢ ص ٢٤ .

(٢) قضى . أى : انتهى من هذه النزوات الثلاث .

(٣) لم يذكر المؤلف بقية خبر الطفيل حتى موته . وهو في ابن هشام .

الباب السابع والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مع أبي طالب عند موته

• عن سعيد بن المسيّب قال : لما احتضر أبو طالب أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل بن هشام ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :

« يا عم ، إنك أعظم الناس عليّ حقاً ، وأحسنهم عندي يداً ، ولأنت أعظم عليّ حقاً من والدي ، فقل كلمة تحب لك بها الشفاعة يوم القيامة ، قل : لا إله إلا الله » .

فقال له : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟

فقال : أنا على ملة عبد المطلب ومات .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لأستغفرنّ لك ، ما لم أنه عنك .

فأنزل الله تعالى : « مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ » إلى قوله : « حلیم » (١) .

• عن أبي هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه : « قل لا إله إلا الله ، أشهد لك بها عند الله يوم القيامة » .

قال : لولا أن تُعَيِّرَنِي قريشٌ فيقولون : إنما حَمَلَهُ على ذلك الجَزَعُ ،
لأَفَرَزْتُ بِهَا عَيْنَكَ .

فأنزل الله عز وجل : « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ » (١) .
انفرد بإخراجه مسلم .

وهكذا رَوَى لنا الجَزَعُ - بالجيم والزاى - وأهل اللغة ينكرون ذلك .
قال ثعلب : إنما اَلْجَزَعُ - بالحاء والراء - وهو الضعف والخور .

• عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْرِ المَذَرِي قال : قال أبو طالب :
يا ابن أخي ، لولا رهبة أن تقول قريش وهَرَانِي (٢) الجَزَعُ ، فيكون
سُبَّةً عليك وعلى بني أبيك ، لفعلت الذي تقول ، وأقررت بها عينك ، لِمَا
أرى من شكرك وَوَجْدِكَ بِي ، ونصيحتك لِي .

ثم إن أبا طالب دعا بني عبد المطلب فقال : لن تزالوا بخير ، ما سمعتم من
محمد صلى الله عليه وسلم ، وما اتبعتم أمره ، فَاتَّبِعُوهُ وَأَعِينُوهُ ، تَرْتُدُّوا .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لِمَ تأمرهم بها ، وتدعها لنفسك ؟ !
فقال أبو طالب : أما إِنَّكَ لو سألتني الكلمة وأنا صحيح ، لبايعتك
على الذي تقول .

ولكن أكره أن أَجْزَعَ عند الموت ، فترى قريش : أَنِي أخذتها جَزَعًا ،
ورددتها في صحتي .

• عن عليّ قال : أخبرتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بموتِ أبي طالب
فبكى ، ثم قال : « اذهب فاغسله وكفنه ، وادفنه غفر الله له ورحمه » .

قال : ففعلت .

قال : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر له أياماً ولا يخرج من بيته ، حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية : « مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ » الآية .

قال علي : فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغتسلت .

• عن علي قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : إن عمك الشيخ الضال مات . قال : اذهب ، فواره ، ولا تحدث شيئاً حتى تأتيني . فأتيته فقلت له ، فأمرني فاغتسلت ، ثم دعا لي بدعوات ما يسرني ، ما عرض بهن من شيء .

• عن ابن عباس قال : عارض رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة أبي طالب فقال : وصَلَّتْكَ رَحِمٌ ، وجزاك الله خيراً ، يا عم .
• عن العباس بن عبد المطلب قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يا رسول الله ، عمك أبو طالب ، كان يفضلك ويمنحك ، هل ينفعه ذلك ؟

قال : نعم هو في صَحْصَاحٍ من نار ، ولولا أنا ، لكان في الدرك الأسفل من النار .
أخرجاه في الصحيحين .

• عن محمد بن كعب القرظي قال : بلغني أنه لما اشتكى أبو طالب شكواه الذي قبض فيه قالت قریش :
يا أبا طالب ، أرسل إلى ابن أخيك ، فيرسل إليك من هذه الجنة ، التي يذكر ، بشيء يكون لك شفاء .

قال : نخرج الرسول حتى وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر معه جالس ، فقال :

يا محمد عمك يقول لك : يا ابن أخي ، إني كبير ضعيف سقيم ، فأرسل إلي من جنتك هذه التي تذكر من طعامها وشرابها ، بشيء يكون لي فيه شفاء .

قال أبو بكر : إن الله حرمها على الكافرين .

فرجع إليهم فأخبرهم . فقال :

قد بلغت محمداً الذي أرسلتموني ، فلم يُجز لي شيئاً .

فقال أبو بكر : إن الله حرمها على الكافرين ، فسكت محمد .

فحملوا أنفسهم عليه ، حتى يرسل رسولا من عنده ، فوجد الرسول في مجلسه . قال : فقال له مثل ذلك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله حرمها على الكافرين ، طعامها ، وشرابها .

ثم قام في أثر الرسول حتى دخل معه البيت ، فوجده مملوءاً رجالات فقال : خلوا عن عني .

فقالوا : ما نحن بفاعلين ، وما أنت بأحق به منا ، إن كانت لك قرابة فإن لنا قرابة مثل قرابتك .

فجلس إليه فقال : يا عم جُزيت خيراً ، كَسَفَتْنِي صغيراً ، وحضنتني كبيراً ، فـجُزيت عني خيراً يا عماء ، أعني على نفسك بكلمة واحدة ، أشفع لك بها عند الله يوم القيامة .

قال : وما هي يا ابن أخي ؟

قال : قل لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له .

قال : إنك لى لناصح ، والله لولا أن تُعبِّر^(١) بها بعدى فيقال : جَزَع
عمك عند الموت ، لأقررتُ بها عينك .

قال : فصاح القوم : يا أبا طالب ، أنت رأسُ الحنيفية ، ملة الأشياخ .
قال : أنا على ملة الأشياخ ، لا تحدّث قريش أن عمك جَزَع عند الموت .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أزال أستغفر لك ربى ،
حتى يرُدّنى .

فاستغفر له بعد ما مات .

فقال المسلمون : ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا ، ولذوى قرابتنا ، وقد
استغفر إبراهيم لأبيه ، وهذا محمد يستغفر لعمه ؟ فاستغفروا للمشركين ، حتى
نزلت الآية :

« مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ »^(١) حتى
فرغ من الآية .

(١) فى الأصل (لولا تعبّر) وهو خطأ (٢) سورة التوبة ١١٣

الباب الثامن والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد موت أبي طالب وخديجة

• عن [عبد الله بن] (١) ثعلبة بن صُعَيْر قال : لما توفي أبو طالب وخديجة ، وكان بينهما شهر وخمسة أيام ، اجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبتان ، فلزم بيته ، وأقلَّ الخروج ، ونالت منه قريش ، ما لم تمكن تنال ولا تطمع [به] (٢) .

فبلغ ذلك أبا لهب ، فجاء فقال : يا محمد امض لما أردت ، وما كنت صانعاً ، إذ كان أبو طالب حياً ، فاصنعه ، لا واللات ، لا يؤصل إليك حتى أموت .

وسبَّ ابنُ الغَيْطَلَةِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، فأقبل عليه أبو لهب فقال منه فولى يصيح : يا معشر قريش صَبِّأْ أبو عتبة .

فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب ، فقال : ما فارتق دين عبد المطلب ، ولكن أ منع ابن أخى أن يُضام ، حتى يمضى لما يريد . فقالوا : قد أحسنت وأجملت ، ووصلت الرَّحِمَ .

فكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أياماً كذلك ، يذهب ويأتى ولا يعترض له أحد من قريش ، وهاجوا أبا لهب ، إذ (٢) جاء عُقْبَةُ بْنُ

(١) من طبقات ابن سعد ١/١٣١ . (٢) ابن سعد : إلى أن جاء .

أبي مُعَيْط وأبو جهل ، إلى أبي لهب فقالا له : أخبرك ابنُ أخيك ، أينَ
مُدْخَلُ أَيْيِكَ ؟

فقال له أبو لهب : يا محمد أين مدخل عبد المطلب ؟ قال : مع قومه .

قال : نخرج أبو لهب إليهما ، فقال : قد سألتُه فقال : مع قومه .

فقالا : يزعم ، أنه في النار !

فقال : يا محمد أيدخل عبد المطلب النار ؟ !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، ومن مات على مثل ما مات

عليه عبد المطلب ، دخل النار

فقال أبو لهب : والله لا يَرِحْتُ^(٢) لك عدوًّا أبدًا ، وأنت تزعم أن

عبد المطلب في النار .

فاشْتَدَّ عليه ، وسائرُ قريش .

• عن محمد بن جبير بن مُطْعَم قال : لما توفي أبو طالب ، تناولت^(٣)

قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نخرج رسول الله صلى الله عليه

وسلم إلى الطائف .

(١) الأصل : لا رحى . وهو تعريف . والتصويب من طبقات ابن سعد : ١/١٣١

(٢) قوله « تناولت الخ » كذا في الأصل ، يريد أن قريشاً نالت من رسول الله

من الإذى ما لم تسكن تقدر عليه في حياة أبي طالب فكان الأجدر أن يعبر للؤلف

بـ « نالت » التي هي بمعنى « آذت » لأن « تناولت » لا تدل على هذا المعنى .

الباب التاسع والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
في خروجه إلى الطائف

• عن محمد بن جبير بن مطعم قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد موت أبي طالب ، إلى الطائف . ومعه زيد بن حارثة ، وذلك في ليال [بَقِين] (١) من شوال سنة عشر .

قال محمد بن عمر ، بغير هذا الإسناد : فأقام بالطائف عشرة أيام . وقال غيره : شهراً . لا يدَعُ أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه . فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم فقالوا : يا محمد ، اخرج من بلدنا والحق بمحَابَّتِكَ من الأرض .

وأغْرَوْا به سفهاءهم ، فجعلوا يرجونه بالحجارة ، حتى إن رجله لتَدْمِيَان ، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شَجَّ في رأسه شجاجاً . فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، وهو محزون .

فلما نزل نخلة ، قام يصلي من الليل ، فانصرف (٢) إليه سبعة نفر من الجن ، أهل نصيبين ، فاستمعوا ، فأقام بنخلة أياماً ، ثم أراد الدخول .

فقال له زيد : وكيف تدخل عليهم ، وهم قد أخرجوك ؟ فأخرج رجلاً من خزائجه إلى مطعم بن عدي : أدخل في جوارك ؟ قال : نعم .

(١) من ابن سعد .

(٢) ابن سعد : فصرف .

• وقال محمد بن كعب القرظي : لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، عمد إلى نفر من قتيب ، هم سادة قتيب وأشرفهم يومئذ ، وهم إخوة ثلاثة ، عبد يا كيل ، ومسعود ، وحبيب ، أولاد عمرو ابن عمير .

فجلس إليهم ، فدعاهم إلى الله تعالى ، وكلهم بما جاء له ، من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه .

فقال أحدهم : هو يمرط (١) ثياب الكعبة ، إن كان الله أرسلك .

وقال الآخر : أما وجد الله رسولا يرسله غيرك !

وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً ، إن كنت رسولا كما تقول ، لأنك أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام .

وإن كنت تكذب على الله ، ما ينبغي لي أن أكلمك .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم ، وقد يش من خير قتيب (٢) .

[وقال لهم : إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموه عنى .

وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه عنه ، فيذئرم (٣) ذلك عليه . فلم يفعلوا] .

(١) يمرط . أى : ينزعه ويرمى به .

(٢) ما بين القوسين زيادة من ابن هشام .

(٣) يذئرم عليه : يشيرهم ويحرمهم .

وقال عبيد بن الأبرص :

[وَلَقَدْ أَتَانِي عَنْ تَمِيمٍ أَنَّهُمْ ذَرُّوا لِقَتْلِي عَامِرٍ وَتَعَصَّبُوا]

وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يستوثقونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وأجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة [وشيبة بن ربيعة] (١) وها فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف ، من كان يتبعه .

فعمد إلى حُبْلَةٍ (٢) من عنب ، فجلس في ظلها ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان مالتي من سفهاء ثقيف .

فلما اطمان قال ، فيما ذكر لي : « اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس .

يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ ! إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري (٣) ، إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي .

أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات ، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، أو تحل عليّ سخطك ، لك العتبي حتى ترضى ، لا حول ولا قوة إلا بك » .

فلما رأى ابنا ربيعة ، عتبه وشيبة ، مالتي ، دعوا غلاماً لها نصرانيا يقال له « عدّاس » فقالا له :

خذ قِطْفًا من هذا العنب ، فضعه في ذلك الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له : يا كل منه .

ففعل ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) سقطت من الأصل وأثبتها من ابن هشام .

(٢) قال في القاموس : الحبل بالضم : الكرم ، أو أصل من أصوله .

(٣) رواية اللواهب ٣٠٤/١ : « إلى عدو بعيد يتجهمني ، أم إلى صديق قريب ملكته أمري » ومعنى يتجهمني : يلقاني بالنظرة والوجه الكريه .

فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال : « بسم الله »
ثم أكل .

فنظر عدّاس إلى وجهه . ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل
هذا البلد (١) .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أى البلاد أنت ،
وما دينك ؟

قال : أنا نصراني (٢) ، وأنا رجل من أهل نينوى .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرية (٣) الرجل الصالح « يونس
ابن مَتَّى ؟ » .

قال له : وما يدريك ، ما يونس بن مَتَّى ؟

قال : ذاك أخى كان نبياً وأنا نبيٌّ .

فأكبَّ عدّاسٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبَّل رأسه
ويديه ورجليه .

قال : يقول ابنا ربّيعه أحدهما لصاحبه : أمّا غلامك ، فقد أفسده عليك .

فلما جاءهما عدّاس قال لاه : ويلك يا عداس ، مالك تقبَّل رأسَ هذا
الرجل ويديه وقدميه ؟ !

قال : يا سيدى ما فى الأرض خير من هذا الرجل ! لقد أخبرتني بأمر
لا يعلمه إلا نبي .

(١) فى ابن هشام : هذه البلاد .

(٢) الاصل : أنا يقيم أبى . وهو تحريف .

(٣) الاصل : من ذرية . وهو تحريف .

• عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أخفيتُ في الله وما يخاف أحد ، ولقد أوديتُ في الله ، وما يؤذى أحد ، ولقد أتتُ على ثلاثون من بين يوم وليلة ، ومالي طعام يأكله ذو كبد ، إلا شئ . يواريه إبطُ بلال » .

قال الترمذی : هذا حديث صحيح .

ومعناه : أن النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج فاراً (١) من مكة ومعه بلال ، إنما كان مع بلال من الطعام ، ما يُحمل تحت إبطه .

(١) قوله : فاراً الخ تعبير غير صحيح ، وغير لائق بالجناب النبوي ، وخروجه لم يكن للفرار بل لنشر الدعوة ، وهو صلى الله عليه وسلم أعظم قدراً وأعلى مقاماً من أن يوصف بالفرار وهو الذي امتلأ قلبه شجاعة وقوة بالله . فلا يليق أن نطلق أمثال هذه الكلمات على مقامه الرفيع .

الباب الثمانون

في دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة

لما رجع من الطائف

لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف أرسل إلى الأخنس ابن شريق . فقال : هل أنت مُجِبري حتى أبلغ رسالة ربي ؟ فقال الأخنس : إن الحليف لا يجبر على الصريح . فقال للرسول : إيت سهيل بن عمرو فقل له : إن محمد أيقول لك هل أنت مُجِبري حتى أبلغ رسالة ربي ؟ فأتاه . فقال له ذلك [، فقال :] (١) إن بني عامر بن لؤي ، لا تجبر على بني كعب .

قال : فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : إيت المطعم بن عدي . فقل له : إن محمد أيقول لك : هل أنت مُجِبري حتى أبلغ رسالة ربي ؟ قال : نعم ، فليدخل . فرجع إليه فأخبره .

وأصبح المطعم بن عدي قد لبس سلاحه ، هو وبنوه ، وبنو أخيه ، فدخل المسجد .

(١) من تاريخ الطبري .

فلما رآه أبو جهل قال : أم مجير أم تابع ؟

قال : بل مجير .

قال : أجزنا من أجرت .

فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتتهى إلى الركن فاستلمه ،
وصلى ركعتين ، وانصرف إلى بيته ، ومطعم وأولاده مطيفون به .

• عن محمد جبير بن مطعم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم :

« لو كان المطعم بن عدى حيًا ، فكلمنى فى هؤلاء الننتى ، يعنى أسارى
بدر ، لأطلقنهم له » .

البَابُ الحَادِي الثَّلَاثُونَ

فِي عَرْضِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَهُ
عَلَى الْقَبَائِلِ فِي الْمَوَاسِمِ

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقِفُ فِي الْمَوَاسِمِ عَلَى الْقَبَائِلِ فَيَقُولُ :
يَا بَنِي فَلَانِ ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ، يَا مَرْكَمُ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تَشْرِكُوا
بِهِ شَيْئًا .

فَكَانَ يَمْشِي خَلْفَهُ أَبُو لَهَبٍ وَيَقُولُ : لَا تَطِيعُوهُ .

وَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِنْدَةَ فِي مَنَازِلِهِمْ فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ .

وَأَتَى بَنِي حَنِيفَةَ فِي مَنَازِلِهِمْ ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ أَقْبَحَ رَدٍّ .

وَأَتَى عَامِرَ بْنَ صَفْصَةَ .

وَكَانَ لَا يَدْعُ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ لَهُ اسْمٌ وَشَرَفٌ إِلَّا دَعَاهُ وَعَرَضَ عَلَيْهِ
مَا عِنْدَهُ .

• وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ
عَشْرَ سَنِينَ ، يَتَّبِعُ النَّاسُ فِي مَنَازِلِهِمْ بِمَكَاظٍ ، وَبِحِجَّةٍ وَفِي الْمَوَاسِمِ يَقُولُ : مَنْ
يُؤْوِيَنِي مِنْ يَنْصُرُنِي ؟

• عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُ
نَفْسَهُ بِالْمَوْقِفِ وَيَقُولُ : أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ ، فَإِنْ قَرِيشًا قَدْ مَنَعُونِي
أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي .

فصل

ربما عَرَضَ للمحد أو قليل الإيمان فقال : ما وَجَهَ احتياج الرسول أن يدخل في خفارة كافر ، وأن يقول في المواسم : من يؤويني ؟
فلو كان أمره حقاً كان مُرْسَلُهُ ينصره .
فيقال له : قد ثبت أن الإله القادر لا يفعل شيئاً إلا لحكمة .
فإذا خفيت حكمة فِعْله عنا ، وجب علينا التسليم له .
وما جرى للرسول ، إنما صدرَ عن الحكيم الذي أقام قوانين السكليات ، وأدار الأفلاك ، وأجرى المياه وأرسل الرياح ، بتدبير مُحْكَمٍ ، لا خلل فيه .
فإذا رأينا رسوله يشدُّ الحَجَرَ من الجوع ، ويُقَهِّرُ وَيُوَدِّي ، علمنا أن تحت ذلك حِكْماً ، إن تلمَّحْنَا بعضها ، لاحت من خلال سُجُفِ البلاء حكمتان :
إحداها : اختبار المبتلى لِيَسْكُنَ قلبه إلى الرضاء بالبلاء ، فيؤدي القلبُ ما كُلِّفَ من ذلك .

والثانية : بثُّ الشبهة في خِلالِ الحجج ، لِيُثَابَ المجتهد في دفع الشبهة (١) .

(١) إن الابتلاء سنة لا تبدل في حياة كل الأنبياء ، وهو لا يحتاج إلى هذا التكلف في التأويل ، فهو قانون ثابت .

الباب الثاني والثلاثون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مع الأنصار سنة إحدى عشرة من النبوة

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم يعرض نفسه على القبائل
كما كان يصنع في كل موسم .

فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج ، فقال : من أنتم ؟

قالوا : من الخزرج .

قال : أفلا تجلسون حتى أكلمكم ؟ قالوا : بلى .

قال : فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله تعالى وعرض عليهم الإسلام ،
وتلا عليهم القرآن .

وكان قدماؤهم ، يسمعون أنه سيظهر نبي من بني غالب .

عن ابن جميع^(١) قال : لما حضرت أوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو
ابن عامر الوفاة ، قالوا له :

قد كنا نأمرك بالتزويج في شبابك فتأبى .

وهذا أخوك الخزرج له خمس بنين ، وليس لك غير مالك .

(١) الخبر مروي عن جابر بن جندان بن جميع بن عثمان بن سمالك بن الحصين
ابن السمؤال بن عاديا ، وقد نقله ابن كثير عن الحرائطي في سيرته ٣٣٩ / ١ . وقد
اختصره ابن الجوزي .

فقال : لن يهلك هالك ترك مثل مالك . وأنشد :

أَلَمْ يَأْتِ قَوْمِي أَنَّ لِلَّهِ دَعْوَةً يَفُوزُ بِهَا أَهْلُ السَّعَادَةِ وَالْبِرِّ
إِذَا بُعِثَ الْمَبْعُوثُ مِنْ آلِ غَالِبٍ بِمَكَّةَ فِيمَا بَيْنَ زَمَنِمَ وَالْحَجْرِ
هُنَالِكَ قَابِغُوا نَصْرَهُ بِنِلَادِكُمْ بَنِي عَامِرٍ إِنَّ السَّعَادَةَ فِي النَّصْرِ
وكان أولئك الذين عرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعون
من اليهود ، أنه قد أطل زمان نبي .

فلما كلمهم قال بعضهم لبعض : والله إنه للنبي الذي تعدكم يهود ،
فلا يسبقنكم إليه .

فأجابوه ، وانصرفوا راجعين إلى بلادهم ، قد آمنوا .

وكانوا ستة نفر : أسعد بن زُرارة ، وعوف بن عَفراء ، ورافع بن
مالك ، وقُطَيْبة بنى عامر [، وعُقْبَةُ بن عامر]^(١) وجابر بن عبد الله
ابن رِثَاب .

فلما قدموا المدينة على قومهم ، ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، ودعواهم إلى الإسلام ، حتى فشا فيهم .

فلما كان من العام المقبل ، قدم من الأنصار اثنا عشر رجلا ، فلقوه
بالعقبة ، منهم الستة الذين تقدم ذكركم ، سوى جابر ، ومُعَاذ بن عَفراء ،
وَذَكْوَان بن عبد قيس ، وعُبَادَةُ بن الصامت ، ويزيد بن ثعلبة ، وعباس
ابن عباد ، وعُوَيْم بن ساعدة ، وأبو الهيثم بن التَّيْهَان^(٢) .
فبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) من اللواهب وابن هشام .

(٢) قال الزرقاني : ياؤه مخففة عند أهل الحجاز ، مشددة عند غيرهم .

● قال عُبَادَةُ بن الصَّامِت : بَايَعَنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ ، وَنَحْنُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، أَنَا أَحَدُهُمْ .

فَبَايَعَنَاهُ بَيْعَةَ النِّسَاءِ ، عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا نَسْرِقَ ، وَلَا نَزْنِيَ ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا ، وَلَا نَأْتِيَ بَيْهَتَانِ ، نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا ، وَلَا نَعْصِيهِ فِي مَعْرُوفٍ . وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الْحَرْبُ (١) .

فَإِنْ وَفَيْتُمْ بِذَلِكَ ، فَلَكُمْ الْجَنَّةُ ، وَإِنْ غَشَيْتُمْ شَيْئًا ، فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ ، فَإِنْ شَاءَ غَفَرَ ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَ .

فَلَمَّا انْصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مَعَهُمْ ، مُصْعَبَ ابْنِ عُجَيْمٍ إِلَى الْمَدِينَةِ ، يَفْقَهُ أَهْلَهَا ، وَيَقْرَأُ لَهُمُ الْقُرْآنَ .
فَأَسْلَمَ خَلْقٌ كَثِيرٌ .

(١) قال الزُّرْقَانِيُّ : وَالَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ الْإِحَادِيثُ أَنَّ الْبَيْعَةَ ثَلَاثٌ : الْعَقَبَةُ ، وَكَانَتْ قَبْلَ فُرْضِ الْحَرْبِ ، وَالثَّانِيَةُ بَعْدَ الْحَرْبِ عَلَى عَدَمِ الْفِرَارِ ، وَالثَّالِثَةُ عَلَى نَظِيرِ بَيْعَةِ النِّسَاءِ .

الباب الثالث والثلاثون

في ذكر معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الواقدي عن رجاله : كان المَسْرَى ليلة السبت ، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان في السنة الثانية عشرة من المبعث ، قبل الهجرة ، بثمانية عشر شهراً .

وَرَوَى أيضاً عن أشياخ له قالوا : أُسْرِيَ برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة ، من ربيع الأول ، قبل الهجرة بسنة . وهذا قول ابن عباس وعائشة .

وسمعتُ شيخنا أبا الفضل بن ناصر يقول :

قال قوم : كان الإسراء قبل الهجرة بسنة .

وقال آخرون : قبل الهجرة بستة أشهر .

فمن قال لِسَنَةً ، فيكون ذلك في ربيع الأول .

ومن قال لثمانية أشهر ، فيكون ذلك في رجب .

ومن قال لستة أشهر ، فيكون ذلك في رمضان .

قلت : وقد كان في ليلة سبع وعشرين من رجب .

• عن أنس بن مالك أن مالك بن صَعَصَعَةَ حَدَّثَهُ ، أن نبي الله

صلى الله عليه وسلم حَدَّثَهُمْ عن ليلة أُسْرِيَ به قال :

بينما أنا في الحطيم ، وربما قال قتادة : في الحِجْر ، مضطجع ، إذ أتاني

آتٍ ، فجعل يقول لصاحبه : الأوسط بين الثلاثة .

قال : فأتاني فَقَدْ ، وسمعت قتادة يقول : فشق ما بين هذه إلى هذه .

قال قتادة : فقلت للجارود وهو إلى جنبي : ما يعني به ؟

قال : من ثغرة نَحَرَه إلى شعرته . وقد سمعته يقول : من قَصَّه إلى شعرته .

قال : فاستخرج قلبي . قال : فأُتيت بِطاست من ذهب مملوءة إيماناً وحكمة ففسل قلبي ، ثم حُسِّي ، ثم أُعيد ، ثم أُتيت بدابة ، دون البغل ، وفوق الحمار ، أبيض .

قال الجارود : أهو البراق يا أبا حمزة ؟

قال : نعم ، يضع خطاؤه عند أقصى طرفه .

قال : فحملت عليه . قال : فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا .

فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم .

قيل : مرحباً به ، ونعم الحجيء جاء .

قال : ففتح ، فلما خلُصت ، إذا فيها آدم .

قال : هذا أبوك آدم ، فسلم عليه .

فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالابن الصالح ، والنبى الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الثانية ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل : أو قد أرسل إليه ؟ [قال : نعم] .

قيل : مرحباً به ، ونعم الحجيء جاء : قال : ففتح .

فلما خلصت إذا ييحيى وعيسى ، وهما ابنا الحالة .

قال : هذا ييحيى وعيسى ، فسلمَّ عليهما .

فسلمَّت فردًا السلام ، ثم قالاً : مرحباً بالأخ الصالح ، والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل : أو قد أرسل إليهِ ؟ قال : نعم .

قيل : مرحباً به ، ونعم المحيى جاء . قال : ففتح .

فلما خلصت إذا يوسف ، قال : هذا يوسف فسلمَّ عليه .

قال : فسلمت عليه ، فردَّ السلام ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح ،

والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل (١) : أو قد أرسل إليهِ ؟ قال : نعم .

قيل : مرحباً به ، ونعم المحيى جاء . قال : ففتح .

فلما خلصت ، إذا إدريس عليه السلام ، قال : هذا إدريس ، فسلمَّ عليه .

قال : فسلمَّت عليه ، فردَّ السلام ، ثم قال : مرحباً بالنبي الصالح ،

والأخ الصالح .

قال : ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟

قال : جبريل .

(١) الاصل : « قال » وهو خطأ وما أثبتته من البخارى .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم .

قيل : مرحباً به ، ونعم المجيء جاء . قال : ففتح .

فلما خلصت ، فإذا هارون . قال : هذا هارون ، فسلم عليه .

فسلمت عليه ، فرد السلام وقال : مرحباً بالنبي الصالح ، والأخ الصالح .

قال : ثم صعد حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟

قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم .

قيل : مرحباً به ، ونعم المجيء جاء .

فلما خلصت ، إذا موسى عليه السلام .

قيل : هذا موسى ، فسلم عليه .

فسلمت عليه ، فقال : مرحباً بالنبي الصالح ، والأخ الصالح .

فلما تجاوزت بكى .

فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : غلام بُعثَ بعدى ، يدخل الجنة من أمته ،

أكثر مما يدخل من أمتي !

قال : ثم صعد حتى أتى السماء السابعة ، فاستفتح :

فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قيل : محمد .

قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم :

قيل : مرحباً به ، ونعم المجيء جاء . قال : ففتح .

فلما خلصت إذا إبراهيم ، فقال : هذا إبراهيم ، فسلم عليه .
فسلمت عليه ، فرد السلام ثم قال : مرحباً بالابن الصالح ، والنبي الصالح .
قال : ثم رفعت لى سِدْرَةَ المنتهى ، فإذا نَبَقَهَا مثل قِلَالٍ هَجَرٍ ، وإذا
ورقها مثل آذان الفيلة .

قال : وإذا أربعة أنهار ، نهران باطنان ، ونهران ظاهران .

[فقلت : ما هذان يا جبريل ؟ قال : (١)] .

أما الباطنان ، فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران ، فالنيل والفرات .

قال : ثم رفع لى البيت المعمور .

قال قتادة : وحدثنا الحسن ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه
وسلم أنه رأى البيت المعمور ، يدخله كل يوم ، سبعون ألف ملك ، ثم
لا يعودون فيه .

ثم رجع إلى حديث أنس . قال :

ثم أتيتُ بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، وإناء من عسل .

قال : فأخذتُ اللبن ، قال : هذه الفطرة ، أنت عليها وأمتك .

قال : ثم فرضت على خمسون صلاة كل يوم .

قال : فرجعت ، فررت على موسى فقال : بما أمرت ؟

قلت : أمرتُ بخمسين صلاة كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة ، وإنى قد خبرت (٢) الناس

قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل ، أشدَّ المعالجة ، فارجع إلى ربك ، فسئله
التخفيف لأمتك .

(١) من صحيح البخارى . (٢) البخارى : وإنى والله قد جربت الناس قبلك .

قال : فرجعت ، فوضع عنى عشرأ .

فرجعت إلى موسى قال : بم أمرت ؟

قلت : بأربعين صلاة كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم ، وإني قد خبرت
الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله
التخفيف لأمتك .

قال : فرجعت ، فوضع عنى عشرأ آخر .

فرجعت إلى موسى فقال : بم أمرت ؟

قلت : أمرت بثلاثين صلاة كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم .

وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة .

فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك .

قال : فرجعت فوضع عنى عشرأ آخر .

فرجعت إلى موسى ، قال : بم أمرت ؟

قلت : أمرت بعشرين صلاة كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع لعشرين صلاة كل يوم :

وإني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ،

فارجع إلى ربك فسله التخفيف .

قال : فرجعت ، فأمرتُ بعشر صلوات كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع لعشر صلوات كل يوم ، وإني قد خبرت

الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة .

فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك .

قال : فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال :
بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم .
قال : إن أمتك لا تستطيع لخمس صلوات كل يوم ، وإني قد خبرت
الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة .
فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك .

قال : قلت : قد سألت ربي حتى استحييت ، وإنكني أرضى وأسلم .
فلما نفذت (١) نادى مناد : قد أمضيت فريضتي ، وخففت عن عبادي .

• عن جابر قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لما
كذبتني قريش حين أسرى بي [قت في الحجر فخلا الله لي بيت المقدس (٢) .
فلففت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » .
أخرجها .

• عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لما كان ليلة أسرى بي ، فأصبحت بمكة ، فلففت بأمرى (٣) ، وعرفت
أن الناس مكذبني .

قال : فعمدت معتزلاً حزيناً .
فرَّ به أبو جهل ، فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمستهزىء : هل كان
من شيء ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . قال : وما هو ؟
قال : إني أسرى بي الليلة .

(١) البخاري : فلما جاوزت .

(٢) سقطت من الأصل وأثبتها من البخاري . (٣) مسند أحمد : أمرى .

قال : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس .

قال : ثم أصبحت بين ظهرائنا ؟ قال : نعم .

قال : فلم يرَ أنه مكذِّبٌ به مخافة أن ينجده الحديث إن دعا قومه إليه .

قال : أرايتَ إن دعوتُ قومك ، آتوهم ما حدثني ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم .

قال : هيا معشر بني كعب بن لؤي .

حتى انتفضت إليه المجالس ، وجاءوا حتى جلسوا إليهما .

فقال : حدث قومك بما حدثني .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أُسرى في الليلة .

قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس .

قالوا : ثم أصبحت بين ظهرائنا ؟ قال : نعم .

قال : فبينَ يَينِ مصفّق ، ومن بين واطئ يده على رأسه متعجباً ، للكذب ،

ثم قالوا : أو تستطيع أن تنعت لنا المسجد ؟

وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فما زلت أنعت حتى التبتس على (١) بعضُ النعت . قال :

فجئء بالمسجد ، وأنا أنظر حتى وضع دون دار عُمَيل أو عقال .

فنعته وأنا أنظر إليه .

فقال القوم : أمّا النعت ، فقد والله ، أصاب .

وقد رَوَى حديثَ المعراج والإسراء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) الأصل : إني . وما أثبتته من السند .

جماعة ، منهم : ابن مسعود ، وعلى ، وأبو ذر ، وأبي ، وحذيفة ، وأبو سعيد ، وجابر ، وأبو هريرة ، وابن عباس ، وأم هاني .

وقد ذكرنا في حديث أنس بن مالك ، من رواية شريك عنه ، وفي رواية حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس أنه قال : « رجعت إلى ربي فخطأ عني خمسا ولم أزل أراجع بين ربي وبين موسى ، ويمحط عني خمسا خمسا » . وهذا من أفراد مسلم .

والأول أصح ، لأنه قد اتفق البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك . ومن حديث أنس عن نفسه ، أنه خط عشرأ . فهذه الرواية التي فيها « فخطأ خمسا خمسا » غلط من الراوي .

• عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليلة أُسرى بي أتاني جبريل بالبراق مُسْرَجاً ملجئاً ، فذهبت لأركبه ، فاستصعب علي . فقال جبريل : أبحمد تفعل هذا ؟ والله ما ركبك نبي أكرم منه على الله تعالى . فارفض البراق عرقاً .

الباب الرابع والثلاثون

في ذكر لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار
في العقبة الثانية في سنة ثلاث عشرة من النبوة

• عن كعب بن مالك قال : خرجنا في حجاج قومنا حتى قدمنا مكة ، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أواسط أيام التشريق .

وكان معنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر ، وكنا نسكن من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقلنا :

يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا ، وشریف من أشرافنا ، وإنا نرغب بك عما أنت فيه ، أن تكون خطيباً للنار غداً . ثم دعونا^(١) إلى الإسلام وأخبرناه^(١) بجميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وشهد معنا العقبة ، وكان نقيبا

فبينما تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميصاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل^١ مستخفين تسلل^٢ القطا .

حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن سبعون رجلا ، ومعهم

(١) الاصل : دعوته وأخبرته . وهو تحريف .

امراتان ، نُسَيْبَةُ (١) بنت كعب ، أم عُمارة ، وأسماء بنت عمرو بن عدي .
فاجتمعنا في الشعب ، ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فجاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس ، وهو على دين
قومه يومئذ ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له .

فلما جلس [قال : يا معشر الخزرج ، قال : وكانت العرب إنما
يُسَمَّونَ] (٢) ، هذا الحى من الأنصار الخزرج ، أوسها وخزرجها : إن محمداً
منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ،
وهو في عزٍّ من قومه ومنعة في بلده ، وقد أبى إلا الانقطاع إليكم .

فإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتوه إليه ومانعوه ممن خالفه ،
فإنم وما تحمّلتم من ذلك .

وإن كنتم ترون أنكم مُسَامَوه وخاذلوه ، فمن الآن فدعوه في عزٍّ
ومنعة من قومه .

فقلنا : قد سمعنا ما قلت .

فبِكَلِّمُ يارسول الله ، وخُذْ لِنَفْسِكَ وَرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ .

فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعا إلى الإسلام . ثم قال :

(١) نسيبة هي امرأة زيد بن عاصم من النساء الثلاث التي ضربت الرقم
القباسي الأعلى في البطولة ، فقد كان لها الموقف الشرف في الدفاع عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد .

شهدت بيعة العقبة الثانية وبيعة الرضوان كما شهدت يوم البجامة وباشرت القتال
بنفسها وشاركت ابنها عبد الله في قتل مسيلة الكذاب فقطعت يدها وجرح
اثنى عشر جرحاً ثم عاشت بعد ذلك دهراً .

(٢) سقطت من الأصل ، وأثبتتها من ابن هشلم .

أبايعكم على أن تمنعوني ، مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم .
فأخذ البراء بن مَعْرُور بيده ثم قال : والذي بعثك بالحق نبياً ، لنمنعك
مما تمنع منه أَرْزَنَا (١) .
فَبَايَعَنَا يا رسول الله ، فنحن أهل الحرب وأهل الحلقة (٢) ورثناها كابراً
عن كابر .

فاعترض القوم أبو الهيثم بن التَّيَّهَان فقال :
يا رسول الله ، إن بيننا وبين الناس حبالا وإنا قاطموها ، يعني العهود .
فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى
قومك ، وتدعنا .

فقبس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : بل الدمّ والهدم الهدم .
أنتم مني وأنا منكم ، أحارب من حاربتم ، وأسلم من سلمتم .
وقال : أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم (٣) .
فأخرجوا اثني عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس .
قال ابن إسحاق : فحدثني مَعْبُد في حديثه عن أبيه كعب قال :
كان أول من ضَرَب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم : البراء
ابن مَعْرُور ، ثم تتابع الناس (٤) :

(١) أَرْزَنَا : نساءنا . والمرب تسكنى عن المرأة بالإزار ، وتسكنى أيضاً
بالإزار عن النفس :

(٢) الحلقة : السلاح .

(٣) ابن هشام : ليكنوا على قومهم بما فيهم .

(٤) ابن هشام : ثم بايع بعد القوم .

فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج الشيطان من رأس العقبة بأبعد^(١) صوت سمعته قط : يا أهل الجَبَّاب . والجَبَّاب : المنازل .

هل لكم في مُذَمَّم والصُّبَاة^(٢) معه ، قد أجمعوا على حربكم :

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أَرْبُ العقبة ، أى عدو الله ، أما والله لأفُرَّغَنَّ لك .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارجعوا إلى رحالكم .

فقال له العباس بن عبادَة : والذى بعثك بالحق ، إن شئتَ لنمِلَنَّ غداً على أهل منى بأسيا فئنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لم أؤمرْ بذلك .

فرجعنا فتمننا حتى أصبحنا .

فلما أصبحنا غَدَتْ علينا جِلَّةٌ قريش ، حتى جاءونا في منازلنا ، فقالوا :

يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا ، تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا ، والله إنه ما من العرب أحدٌ أبغض إلينا ، أن تَنَشَبَ الحربُ بيننا وبينهم منكم .

قال : فانبعث مَنْ هنالك من مشركى قومنا ، يحلفون بالله ، ما كان من هذا شيء وما علمنا .

وقد صدقوا ، لم يطلوا ما كان منا . قال : فبعضنا ينظر إلى بعض .

• عن جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الموسم :

(١) ابن هشام : بأنفذ .

(٢) الصبابة : جمع صباية . وقموى : والصبيبة .

من يؤويني ؟ .

حتى بعثنا الله من يثرب ، فأويناه وصدقناه ، ثم قلنا :
حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطارد في جبال مكة ويخاف ؟ !
فرحل منا سبعون ، حتى قدموا عليه في الموسم ، فواعدنا شعب العتبية ،
فاجتمعنا عنده فقلنا : يا رسول الله علام نبأك ؟
فقال : تباعون على السمع والطاعة ، في النشاط والكسل ، والنفقة في
العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وأن تقولوا في
الله ، لا تخافون لومة لائم ، وعلى أن تنصروني ، فتمنعوني إذا قدمتُ
عليكم ، مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم ، ولكم الجنة .
فقمنا إليه فبايعناه .

وأخذ بيده أسعد بن زُرارة ، وهو من أصغرهم وقال :
رويداً يا أهل يثرب ، إنا لم نضرب أكبادَ الإبل ، إلا ونحن نعلم أنه
رسولُ الله ، وأن إخراجَه اليوم ، مفارقةُ العرب كافةً ، وقتلُ خياركم ،
وأن تَعْضَّكم السيوفُ . فإما أتم قوم تصبرون على ذلك ، وأجرُكم على الله .
وإما أتم قوم ، تخافون من أنفسكم جنةً (١) فثبَّتوا (٢) فهو أعذرُ
لكم عند الله .

فقالوا : أمِطْ عنا يا أسعد ، فوالله لا ندعُ هذه البيعة أبداً ولا نَسْلُبها
أبداً . فقمنا فبايعناه ، فأخذ علينا وشرط ، ويعطينا على ذلك الجنة (٣) .

(١) جنة : جيناً .

(٢) المسند : فبينوا . أى : كونوا على بصيرة وروية من أمركم .

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، باختلاف يسير ، قال الحاكم :
هذا حديث صحيح الإسناد جامع لبيعة العقبة . ولم يخرجاه .

وقال الحافظ ابن كثير في سيرته : هذا إسناد جيد على شرط مسلم .

الباب الخامس والثمانون

في علم قريش ما جرى للأنصار ، وما تشاوروا
أن يفعلوا في ذلك

قال كعب بن مالك : لما تفرَّق الناس من منى وتنطس^(١) القوم
الخبر ، وجدوه قد كان .

فخرجوا في طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عباد في أذخر ، والمذمر
ابن عمرو .

فأما المذمر ، فأعجز القوم .

وأخذوا سعدا ، فربطوا يديه إلى عنقه ، ثم أقبلوا به إلى مكة .

فجاء جبير بن مطعم والحارث بن أمية . فقالا :

قد كان يُحِبُّ تجارتنا . فخلصاه .

قال ابن إسحاق : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالخروج
إلى المدينة ، فخرجوا أرسالا^(٢) ، وأقام ينتظر أن يُؤذَنَ له ، ولم يتخلف عنه
أحد من المهاجرين إلا [من] أخذ وقتن^(٣) سوى أبي بكر وعلى .
وكان أبو بكر يستأذنه في الخروج فيقول : لا تعجل .

(١) تنطس القوم الخبر : أكثروا اليمعث عنه .

(٢) أرسالا . أي : جماعات جماعات .

(٣) ابن إسحاق : إلا من حبس أو قتل .

فلما علم المشركون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلوا داراً
تمنع ، علموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيخرج إليهم .
فاجتمعوا في دار الندوة ، يتشاورون في أمره .
ودار الندوة ، هي دار قُصَى بن كلاب ، وكانت قريش لا تتقضى
أمراً إلا فيها .

فدخلوا يتشاورون ما يصنعون .

قال ابن إسحاق : وحدثني [من لا أتهم من أصحابنا ، عن عبد الله] (١)
ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال :
لما اجتمعوا لذلك ، اعترضهم إبليس ، في هيئة شيخ جليل ، فوقف
على باب الدار .

فقالوا : من الشيخ ؟

قال : شيخ من أهل نجد ، سمع بالذي اتَّعَدْتُمْ له ، فحضر معكم ، وعسى
أن لا يعْذَمَكُم منه رأيي ونصح .

فقالوا : ادخل . فدخل معهم وقد اجتمع أشراف قريش من كل قبيلة .
فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما كان .
وإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن اتبعه ، فأجمعوا فيه رأياً .

فقال قائل منهم : اجسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه باباً ، ثم تربصوا
به ما أصاب أشباهه من الشعراء .

فقال الشيخ النجدي : لا والله ، ما هذا برأي ، والله لو حبستموه ،
نخرج أمره من وراء الباب إلى أصحابه ، فوثبوا ، فانزعوه من أيديكم .

(١) سقطت من الأصل وأثبتها من ابن هشام .

فقال قائل : نخرجه من بين أظهرنا .

فقال النجدي : والله ما هذا برأي . ألم تروا حُسنَ حديثه ، وحلاوة منطقته ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ؟

ولو فعلتم ذلك ما أمنت (١) أن يحل على حيٍّ من العرب فيتغلب عليهم بقوله حتى يبايعوه ثم يسير بهم إليكم .

فقال أبو جهل : والله ، إن لي فيه لرأياً ، ما أراكم وقعتم عليه بعدُ .

قالوا : ما هو ؟

قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جلدًا نسيباً وسيطاً (٢) .

ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدون ، فيضربونه ضربة رجل واحد ، فيقتلونه ، فنستريح .

فإنهم إذا فعلوا ذلك ، تفرَّق دمه في القبائل كلها ، فلم تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، ورضوا منا بالعقل (٣) فمقلناه لهم .

فقال الشيخ النجدي : القول ما قال هذا الرجل ، لا أرى لكم غيره . فتفرق القوم على ذلك .

فأتى جبريلُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال :

لا تَبِتْ هذه الليلة على فراشك ، الذي كنت تبيت عليه .

فلما كانت العتمة ، اجتمعوا على بابه ، ثم ترصّدوه متى ينام ، فَيَثْبُون عليه .

(٢) وسيطاً : شريفاً .

(١) ابن هشام : ما أمنت .

(٣) العقل : الدية .

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعلي بن أبي طالب :

نَمْ عَلَى فِرَاشِي ، وَتَسَجْ (١) بِيُزْدَى الْخَضِرَى الْأَخْضَرِ ، فَإِنَّهُ لَا يَخْلُصُ (٢) إِلَيْكَ شَيْءٌ تَسْكُرُهُ مِنْهُمْ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينام في برده ذلك .
• عن ابن عباس في قوله تعالى : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ (الأنفال ٣٠) » (٣) .

قال : تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم :

إِذَا أَصْبَحَ فَأَتْبِقُوهُ بِالوُثَاقِ .

وقال بعضهم : بَلِّ اقْتُلُوهُ .

وقال بعضهم بل : أَخْرِجُوهُ .

فأطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك .

فبات على (٤) عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة .

وخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار .

وبات المشركون ، يحرسون عليًا ، يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم .

فلما أصبحوا ، ناروا إليه ، فلما رأوه عليًا ، ردَّ الله مكرم فقالوا :

أَيْنَ صَاحِبِكَ ؟

(١) تسج : تغطى . (٢) لا يخلص : لا يصل .

(٣) ليثبتوك : أى ليجرحوك جراحة لا تقوم معها من المختار من الصعاح .

(٤) وبذلك كان على أول فدائي في الإسلام وأشجع الصحابة أجمع .

قال : لا أدرى .

فاقتصوا أثره ، فلما بلغوا الجبل ، اختلط عليهم ، فصعدوا فى الجبل .
فمروا بالغار ، فأروا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو دخل ههنا ،
لم يكن نسج العنكبوت .
فمكث فيه ثلاث ليال .

• وقال محمد بن كعب القرظى : اجتمعوا على بابه .

فخرج ، فأخذ حفنة من تراب ، فنثرها على رؤوسهم فلم يروه وقرأ :
« وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ
لَا يُبْصِرُونَ (سورة يس الآية ٩) » ثم انصرف حيث أراد .

فأتاهم آت ، ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمدا .
قال : والله قد خرج عليكم محمد .

فجعلوا يطلّمون ، فيرون عليّا عليه السلام ، عليه بُرد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيقولون : هذا محمد عليه بُرده . فأقام إلى الصباح .
قال على : فقممت عن الفراش فرأونى .

• قال الواقدي عن أشياخه : إن الذين كانوا ينتظرونه : أبو جهل ،
والحكم بن أبى العاص ، وعُتبة بن أبى مُعيط ، والنضر بن الحارث ، وأمّية
ابن خلف ، وابن الغنيطلة ، وزمعة بن الأسود ، وطعمة بن عدى ،
وأبو لهب ، وأبى بن خلف ، ونبيه ومنبه ، ابنا الحجاج .

أَبُو بَكْرٍ هَجْرَنَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِلَى الْمَدِينَةِ

الباب الأول

في ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار

- عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي حَرِّ الظَّهِيرَةِ قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ .
- هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَقَنَّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا .
- قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فِدَاؤُ لَهُ ، أَبِي وَأُمِّي ، مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ، إِلَّا أَمْرٌ .
- قَالَتْ : لَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاسْتَأْذَنَ ، فَأْذِنَ لَهُ .
- فَدَخَلَ فَقَالَ لِأَبِي بَكْرٍ : أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ .
- فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .
- قَالَ : فَإِنِّي قَدْ أْذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ .
- فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : الصُّحْبَةُ ، يَا أَبِي أَنْتَ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ .
- قَالَ : نَعَمْ .
- قَالَ : نَخُذْ إِحْدَى رَاكِلَتَيْ هَاتَيْنِ .
- فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بِالْتَّمَنِ .
- قَالَتْ عَائِشَةُ : فَجَهَزْنَاهُمَا أَحَبَّ الْجَهَازِ ، وَوَضَعْنَا لَهُمَا سَفْرَةَ فِي جِرَابٍ .
- فَقَطَّعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا ، فَرَبَطَتْ بِهِ فِى الْجِرَابِ ،
- فَبِذَلِكَ سَمِيَّتِ ذَاتُ النِّطَاقِينَ .

قالت : ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، بغارٍ في جبل
ثَوْرٍ فمكنا (١) فيه ثلاثَ ليالٍ .

بيت عندهما عبدُ الله بن أبي بكر ، وهو غلام شاب ثَقِفٌ (٢) لَقِنٌ (٣) .
فِيْدِلْج (٤) مِنْ عندهما بِسَحَرٍ ، فيصبح مع قريش كبائتٍ .

فلا يسمعُ أمراً يُكَادان به ، إلا وعاء ، حتى يأتيهما بخبر ذلك ، حين
يختلط الظلام .

ويرعى عليهما عامرُ بن فُهَيْرَةَ ، مَوْلى أبي بكر ، مِنْحَةً من غَنَمٍ ،
فَيُفْرِجُهما (٥) عليهما ، حتى تذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان في رِثْلٍ وهو

(١) البخارى : فمكنا .

(٢) ثَقِفٌ ، أى : حاذق ، خفيف فُطِن .

قال فى الصحاح : ثَقِفَ الرجل ثَقْفًا وثقافة ، أى صار حاذقًا خفيفًا فهو
ثَقِفٌ مثل ضَخٌّ فهو ضَخْمٌ ، ومنه : المثاقفة وثَقِفَ أيضًا ثَقْفًا مثل تَعِبَ
تَعَبًا لغة فى ثَقِفَ ، أى صار حاذقًا فُطِنًا فهو ثَقِفٌ وثَقِفَ مثال حَذِرَ وحَذِرَ
ومثله فى القاموس إلا أنه زاد ثَقْفًا بفتح الحروف كلها ويتمشى هذا الوزن
إذا كان الفعل (ثَقِفَ) من الباب الرابع كفرح ، والخلاصة أن ثَقِفَ إن كان
من الباب الخامس كضخم يضحّم فالوصف منه ثَقِفٌ مثل ضَخْمٌ وإن كان من
الباب الرابع مثل فرح يفرح فالوصف منه ثَقِفٌ مثل حَذِرَ وفرِحَ .

(٣) قال فى الصحاح : لَقِنٌ : سريع الفهم . والاسم : اللَّقَانَةُ ، وفى
القاموس : اللَّقْنُ وَاللَّقَانَةُ وَاللَّقَانِيَّةُ : سرعة الفهم . لَقِنَ كفرح فهو لَقِنٌ
وَالْقِنَ : حفظ بالمجلة . ١٥ .

(٤) فيدلج : أى يعود ليلا من عندهما وقت السحر .

(٥) أى : فيذهب إليهما بالغنم ليلا .

لبن منحتهما ، حتى ينشق بها عامر بن قهيرة بفلس (١) ، يفعل ذلك في كل ليلة من الليالي الثلاث .

واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر [رجلا] (٢) من بني الدَّيْل ، وهو على دين كفار قريش فأمناه ، ودفعنا إليهما راحتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحتيهما (٣) .

• وقد روينا عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى أبا بكر لما أراد أن يخرج ، فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ، ثم عمدا إلى جبل ثور .

• وروى الواقدي عن أشياخه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمنزل أبي بكر إلى الليل ، ثم خرجا إلى النار .
وكان خروجهما وقد بقي من صفر ثلاث ليال .

(١) أى : ظلام الليل .

(٢) سقطت من الأصل ، وأثبتها من صحيح البخاري .

(٣) الحديث جزء من رواية البخاري في صحيحه ١٩١ / ٢

الباب الثاني

في ذكر ما جرى في الغار

• عن أنس أن أبا بكر حدثه قال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا ، فقال : يا أبا بكر ما ظنك باثنين ، الله ثالثهما !
أخرجاه في الصحيحين .

• عن أنس قال : لما كانت ليلة الغار قال أبو بكر : يا رسول الله دعني أدخل قبلك ، فإن كان فيه [شيء] كان بي قبلك . قال : ادخل . فدخل أبو بكر فجعل يلمس يديه فكلما رأى جُحراً ، قال بثوبه ، فشَقَّهُ ، ثم ألقاه الحجر ، حتى فعل ذلك بثوبه أجمع . قال : فبقى جحر فوضع عَقِبَهُ عليه .

ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أصبح قال له النبي صلى الله عليه وسلم : أين ثوبك يا أبا بكر ؟

فأخبره بالذي صنع ، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه فقال :

اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة .

فأوحى الله تعالى إليه : قد استجيب لك .

• عن عمر بن الخطاب أنه قال : والله لليلة من أبي بكر ويوم ،

خير من آل عمر .

هل لك بأن أحدثك بليته ويومه ؟ قال : قلت : يا أمير المؤمنين حدثني .
قال : أمّا ليلته ، لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفياً من أهل
مكة خرج ليلاً ، فتبعه أبو بكر ، فجعل يمشى مرة أمامه ، ومرة خلفه ، ومرة
عن يمينه ، ومرة عن شماله .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا يا أبا بكر ؟ ما أعرف
هذا من فعلك .

فقال : يا رسول الله ، أذكر الرصد ، فأكون أمامك ، وأذكر الطلب ،
فأكون خلفك ، ومن عن يمينك ، وعن يسارك ، لا آمن عليك .

قال : فشئ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه حتى
حفيت رجلاه ، فلما رآها أبو بكر أنها قد حفيت حملة على كاهله (١) وجعل
يشدد به حتى أتى به الغار فأنزله .

ثم قال : والله بعثك بالحق ، لا تدخله حتى أدخله ، فإن كان فيه شيء ،
نزل بي قبلك ، ففعل ، ولم ير شيئاً ، فحملة وأدخله .

وكان في الغار خرق ، فيه حيات وأفاع : .

فخشى أبو بكر أن يخرج منهن شيء ، فيؤذي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فألقمه قدّمه .

فجعلن يضربنه ويلسعنه - الحيات والأفاعي - وجعلت دموعه تنحدر .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا أبا بكر ، لا تحزن إن الله معنا .

(١) كاهله . أى : ظهره ، قال في المصباح : الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما
يلي العنق وهو الثلث الأعلى ، وفيه ست فقرات . اهـ . المراد منه .

فأنزل الله سَكِينَتَهُ ، أى طمأنينته لأبى بكر :
فهذه ليلته .

• وقال الواقدى عن أشياخه : طلبت قریش رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ الطلب ، حتى انتهت إلى باب الغار .

قالت : إن عليه لعنكبوتاً قبل ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم . فانصرفوا .

وقالت أسماء بنت أبى بكر : لم نَدْرِ بالحال ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة ، مُغْنًى غنَاء العرب والناس يتبعونه ، يسمعون صوته ولا يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جَزَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقَيْنِ حَلًّا خِيَمَتِي أُمَّ مَعْبُدِ

وسياتى ذكر القصة إن شاء الله تعالى .

الباب الثالث

في ذكر ما جرى له في طريقه إلى المدينة

• قال أبو الحسن بن البراء : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغار ليلة الخميس لغرة شهر ربيع الأول .

• وذكر محمد بن سعد ، أنه خرج من الغار ليلة الاثنين ، لأربع خلون من ربيع الأول .

قلت : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثاً .

وخرج معه أبو بكر وعامر بن فهيرة ، ودليلهم عبد الله بن أريقط اللبي ، وكان على دين قومه ، فأخذ بهم طريق السواحل .

• عن البراء بن عازب قال : اشترى أبو بكر من عازب سرجاً^(١) ، فقال : مُرِ البراء ، فليحمله إلى منزلي .

قال : لا ، حتى تحدثنا كيف صنعت ، حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت معه ؟

قال أبو بكر : خرجنا فأدْلَجْنَا^(٢) فَأَخْشَنَّا^(٣) يَوْمَنَا وَلَيْلَتَنَا حَتَّى أَظْهَرْنَا^(٤) وَقَامَ قَائِمُ الظَّهيرة .

(١) البخاري ١٥٣/٢ رحلا . (٢) أى : سرنا الليل كله .

(٣) البخاري : ارتحلنا من مكة فأحيينا أو سرينا ليلتنا ويومنا . ومعنى

(أخشنا) أسرنا وجدينا في السير . (٤) أى : دخلنا في وقت الظهر .

فَضَرَبْتُ بِيَصْرِي، هَلْ أَرَى طَلًّا أَوْى إِلَيْهِ، فَإِذَا أَنَا بِصَخْرَةٍ، فَأَهْوَيْتُ إِلَيْهَا، فَإِذَا هُوَ بِتِيَّةٍ ظَلَّمَهَا.

فَسَوَّيْتُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفَرَشْتُ لَهُ فُرُوءًا وَقُلْتُ :
اضْطَجِعْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَاضْطَجِعْ .

ثُمَّ خَرَجْتُ أَنْظُرَ هَلْ أَرَى أَحَدًا مِنَ الطَّلَبِ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ .
قُلْتُ : لِمَنْ أَنْتِ يَا غَلَامُ ؟ فَقَالَ : لِرَجُلٍ مِنْ قَرِيشَ . فَمَسَاهُ فَعَرَفْتِهِ .
قُلْتُ : هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ .

قُلْتُ : هَلْ أَنْتِ حَالِبٌ لِي ؟ قَالَ : نَعَمْ .

فَأَمَرْتُهُ ، فَأَعْتَقَلْتُ شَاةً مِنْهَا ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ فَنَفَضَ ضَرْعَهَا مِنَ الْغُبَارِ .
ثُمَّ أَمَرْتُهُ فَنَفَضَ كَفَّهُ مِنَ الْغُبَارِ ، وَمَعِيَ إِدَاوَةٌ عَلَى فَمِهَا خُرْقَةٌ .
فَحَلَبْتُ لِي كُثْبَةً (١) مِنَ اللَّبَنِ فَصَبِيتُ عَلَى الْقَدَحِ (٢) حَتَّى يَرُدَّ أَسْفَلُهُ .
ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ .
فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ . ثُمَّ قُلْتُ : قَدْ آتَى الرَّحِيلَ .

فَارْتَحَلْنَا وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا ، فَلَمْ يَدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ ، إِلَّا سُرَّاقَةُ بْنُ مَالِكٍ
ابْنُ جُعْفَشٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ .

قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا الطَّلَبُ قَدْ حَلَقَنَا .

فَقَالَ : لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعُنَا (٣) .

حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَّا وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ قَيْدٌ (٤) رَمَحَ أَوْ رَمَحِينَ أَوْ ثَلَاثَةً .

(١) الكُثْبَةُ : مِلْءُ الْقَدَحِ . (٢) الْبَخَارِيُّ : فَصَبِيتُ عَلَى اللَّبَنِ .

(٣) إِلَى هُنَا رَوَايَةُ الْبَخَارِيِّ فِي صَحِيحِهِ فِي مَنَاقِبِ أَبِي بَكْرٍ ٢ / ١٥٣

مَعَ اخْتِلَافٍ . (٤) قَيْدٌ : أَيُّ مَقْدَارٍ طَوَّلَ رَمَحَ الْحِجَلِ .

قلت : يا رسول الله ، هذا الطلب قد لحقنا . وبكت .
 قال : لم تبكي ؟
 قلت : أما والله ، ما على نفسي أبكى ، ولكن أبكى عليك .
 فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم اكفناه بما شئت .
 فساخت (١) قوائم فرسه إلى بطنها ، في أرض صلد .
 فوثب عنها وقال : يا محمد ، قد علمتُ أن هذا عملك ، فادع الله عز وجل ،
 أن ينجينى مما أنا فيه ، فوالله لأعمن^{هـ} (٢) على مَنْ ورأى من الطلب .
 وهذه كثنانتى ، نخذ منها سهماً ، فإنك ستتمر بإبلى وغذى في موضع
 كذا وكذا ، نخذ منها حاجتك .
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حاجة لى فيها .
 ودعاه ، فانطلق ورجع إلى أصحابه .
 • عن عبد الرحمن بن مالك المدلجى [أن أباه أخبره أنه] (٣) سمع
 سُرَاقَةَ يقول : جاءنا رُمُلُ كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وأبى بكر ، دية كل واحد منهما لمن قتله (٤) أو أسره .
 فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي ، أقبل رجل منهم حتى قام
 علينا فقال :
 يا سراقَة ، إني رأيت آتفاً أسودَ (٥) بالساحل ، أراها محمداً وأصحابه .

-
- (١) ساخت . أى : دخلت في الأرض وغابت .
 (٢) أصل المعه : التحير والتردد . والمراد هنا : لأخفين طريقك وأمرك على من
 ورأى ممن يطلبك . (٣) من البخارى .
 (٤) البخارى : من قتله . وما هنا أوضح .
 (٥) الأسود : يكنى بها عن الشخص . أى : أتبهاحاً .

قال سراقه : فعرفت أنهم هم ، فقلت : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا [يبتغون ضالةً لهم] (١) ثم لبثتُ في المجلس ساعة .

ثم قُت ، فدخلت ، فأمرت جاريتي أن تخرج بفروسي وهي من وراء أكمة فتجسبها عليّ .

وأخذت رجلي ، فخرجت به من ظهر البيت ، فخططت برُجِّه (٢) الأرض ، وخفَّضْتُ عاليه ، حتى أتيت فرسي ، فركبتها ، فرفعتها تقربُ بي ، حتى دنوت منهم .

فعثرت بي فرسي ، فخرَّرتُ (٣) عنها ، فقفعت .

فأهويت يدي إلى كنانتي ، فاستخرجت منها الأزام فاستقسمتُ بها : أضرهم ، أم لا ؟

فخرج الذي أكره .

فركبتُ فرسي وعصيت الأزام .

حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات ، سأختُ يداً فرسي في الأرض ، حتى بلغتا الركبتين ، فخرَّرتُ عنها ، ثم زجرتها ، فنهضت ولم تسكد (٤) تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لآثر يديها غبارٌ (٥) ساطع في السماء مثل الدخان . فاستقسمت بالأزام ، فخرج الذي أكره فناديتهم الأمان (٦) .

(١) من صحيح البخاري . (٢) الزج : الحديدية في طرفي الرمح .

(٣) خرَّرت . أي : سقطت ووقعت . (٤) البخاري : فلم تسكد .

(٥) البخاري : عشان ساطع . و « العشان » كالدخان ، وزناً ومعنى .

(٦) البخاري بالأمان .

فوقفوا ، فركبت فرسى ، حتى جئتهم .
ووقع في نفسى حين لقيت ما لقيت من الخبىس عنهم ، أن سيظهر أمرُ
رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية .
وأخبرتهم أخباراً ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع ،
فلم يرزأنى ولم يسألانى [شيئاً ^(١)] إلا أن قال : أخفِ عنا .
فسألته أن يكتب لى كتاباً أمن .
فأمر ، عامر بن فهيرة ، فكتب فى رقعة من أدم .
ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) .
قال الزهرى : وأخبرنى عروة بن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، لقي الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسا
الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا بكر ثياب بياض .

(١) ليست فى البخارى وابن إسحاق .

(٢) هذا الحديث رواه أحمد فى مسنده والبخارى فى صحيحه فى باب الهجرة .

الباب الرابع

في ذكر حديث أم معبد

عن أبي معبد (١) الخَزَاعِي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
لما هاجر من مكة إلى المدينة ، هو ، وأبو بكر ، وعامر بن قُهَيْرَة ، ودليلهم ،
عبد الله بن أَرْيَظ ، فمَرُّوا بخَيْمَتِي أم معبد الخَزَاعِيَة .
وكانت امرأة جَلْدَة بَرْزَة (٢) تَحْتَبِي ، وتَقْعِدُ بفناء الخَيْمَة ، ثم تَسْقِي
وتَطْعَم .

فسألوها تَمَرًا وَلَحْمًا يَشْتَرُونَهُ ، فلم يَصِيبُوا عِنْدَهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، فإذا
الْقَوْمُ مُرْمَلُونَ (٣) مُسْتَنُونَ (٤) ، فقالت : والله لو كان عِنْدَنَا شَيْءٌ
مَا أَعْوَزَكُمُ (٥) الْقَرَى .

(١) في دلائل أبي نعيم : عن حبيش بن خالد . وفي شرح اللواهب : عن أخي
أم معبد حبيش صاحب رسول الله .

(٢) الجَلْدَة : القويَة . بَرْزَة . أَيْ : جَلِيلَة عَفِيفَة ، مَسْنَة تَبْرُزُ لِلرِّجَالِ وتَتَحَدَّثُ إِلَيْهِمْ

(٣) مَرْمَلُونَ . أَيْ : فَقَرَاءَ لَيْسَ عِنْدَهُمْ زَادٌ قَالَ فِي الصَّحَاحِ : يَقَالُ أَرْمَلُ
الْقَوْمَ : إِذَا نَقَدَ زَادَهُمْ ، وَعَامَ أَرْمَلُ ، أَيْ : قَلِيلَ الْمَطَرِ .

(٤) مُسْتَنُونَ . أَيْ : مُجْدِبُونَ عَيْشَتَهُمْ ضَيْقَةً ، قَالَ فِي الْخِتَارِ مِنَ الصَّحَاحِ :
أَسْنَتُ الْقَوْمَ : إِذَا أَجْدَبُوا . وَالسَّنْتُ كَكَيْفِ الْقَلِيلِ الْخَيْرِ . وَزَادَ فِي الْقَامُوسِ .
وَأَرْضٌ سَنَتَةٌ وَمُسْنَتَةٌ : لَمْ تَنْبِتْ وَعَامٌ سَنِيَتْ وَمُسْنَتٌ : جَدِبَ .

(٥) أَعْوَزَكُمُ الْقَرَى : أَيْ مَا احْتَجْتُمْ إِلَى طَلْبِهِ .

فَنظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى شَاةٍ فِي كِسْرِ الْخَلِيمَةِ ، فَقَالَ :
مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبُدٍ !

فَقَالَتْ : هَذِهِ شَاةٌ خَلَّفَهَا الْجَهْدُ (١) عَنِ الْغَنَمِ .

قَالَ : هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ ؟

قَالَتْ : هِيَ أَجْهَدُ (٢) مِنْ ذَلِكَ .

قَالَ : أَتَأْذِنِينَ لِي أَنْ أَحْلِبَهَا ؟

قَالَتْ : نَعَمْ يَا بَنِي أُمِّی ، إِنْ كَانَ رَأَيْتَ بِهَا حَلَبًا (٣) .

فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّاةَ ، فَسَحَّ ضَرْعَهَا (٤) وَذَكَرَ اسْمَ
اللَّهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهَا فِي شَاتِهَا .

قَالَتْ : فَتَفَاجَّتْ (٥) وَدَرَّتْ (٦) ، وَاجْتَرَّتْ (٧) .

فَدَعَا يَانَاءَ يُرْبِضُ الرَّهْطَ (٨) فَخَلَبَ فِيهِ ثَجًّا (٩) حَتَّى عَلَاهُ الثُّمَالُ (١٠) .

(١) خَلَّفَهَا الْجَهْدُ ، أَيْ : أَخْرَجَهَا عَنِ النَّهَابِ مَعَ الْغَنَمِ إِلَى الْمَرْعَى شِدَّةَ هَزَالِهَا
وَضَعْفِهَا مِنْ قِلَّةِ الْغِذَاءِ .

(٢) أَجْهَدُ . أَيْ : أَضْعَفُ .

(٣) حَلَبًا ، أَيْ لَبَنًا . (٤) ضَرْعَهَا ، أَيْ : ثَدْيِهَا .

(٥) تَفَاجَّتْ . أَيْ : فَرَجَتْ وَبَاعَدَتْ مَا بَيْنَ رَجْلَيْهَا لِتَحْلِبَ كَمَا يَسْتَفَادُ مِنَ
أَسَاسِ الْبِلَاغَةِ وَالصَّحَاحِ .

(٦) « دَرَّتْ » أَيْ : كَثُرَ لَبَنُهَا .

(٧) اجْتَرَّتْ : أَخْرَجَتْ مَا فِي مَعْدَتِهَا وَصَارَتْ قَائِمًا كَأَنَّهُ ثَلْنِيَا .

(٨) يُرْبِضُ الرَّهْطُ . أَيْ : يَسَعُ مَا يَكْفِي الْجَمَاعَةَ مِنَ اللَّبَنِ كَمَا يَسْتَفَادُ مِنَ الْقَامُوسِ

وَالصَّحَاحِ . (٩) ثَجًّا : كَثِيرَ السَّيْلَانِ وَالْإِنْصَابِ .

(١٠) قَالَ فِي الصَّحَاحِ : الثُّمَالُ الرِّغْوَةُ .

فسناها فشربت حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب
صلى الله عليه وسلم آخرهم ، وشربوا جميعاً عللاً^(١) بدينهم حتى أراضوا^(٢) .

ثم حلب فيه ثانية عوداً على بدء فغادره^(٣) عندها ثم ارتحلوا عنها .

فقل ما لبث أن جاء زوجها أبو مقعد يسوق أعتراً حَيْلاً عجافاً^(٤)
يتساوكن^(٥) هزلاً ، تحن قليل ، لا نقي^(٦) بهن .

فلما رأى اللبن عجب وقال : من أين لكم هذا ، والشاة عازبة^(٧)
ولا حلوبة في البيت ؟

قالت : لا والله ، إلا إنه مر بنا رجل مبارك ، كان من حديثه كيت
وكيت .

قال : والله إنى لأراه صاحب قريش الذي تطالب . صفيه لى يا أم معبد .

قالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضأة^(٨) متبلج^(٩) الوجه ، حسن الخلق ،

(١) عللاً بدينهم . أى : تكرر شربهم قال في المختار من الصحاح : الملل ،
الشرب الثاني ، والنهل الشرب الأول .

(٢) أراضوا . أى : ارتووا واتسموا وانبسطوا . كما يستفاد من القاموس .

(٣) غادره . أى : ترك الإناء .

(٤) اعتراً حَيْلاً عجافاً . أى شيئاً غير حوامل وضعافاً .

(٥) يتساوكن . أى : تضطرب أعناقهن من شدة الهزال والضعف .

(٦) لا نقي بهن . أى : لا منع في عظامهن . قال في الصحاح : النقي : منع المظم

وشحم العين من السمن .

(٧) عازبة . أى : بعيدة وغائبة .

(٨) الوضأة : الحسن .

(٩) متبلج . أى : مضيء مشرق .

لم تَعِينَهُ تُجْلَةٌ (١) ولم تُزِرْ به صُعْلَةٌ (٢) ، قَسِيمٌ وسِيمٌ (٣) ، في عَيْنِيهِ دَعَجٌ (٤) ،
وفي أَشْفَارِهِ ، وَطَفٌ (٥) ، وفي صَوْتِهِ صَحْلٌ (٦) ، أَحْوَرٌ (٧) أَكْحَلٌ (٨) أَزْجٌ
أَقْرَنٌ (٩) ، شَدِيدٌ سَوَادِ الشَّعْرِ ، في عُنُقِهِ سَطَعٌ (١٠) ، وفي لَحْيَتِهِ كَثَافَةٌ .

إذا صَمِتَ فَعَلِيهِ الْوَقَارُ ، وإذا تَكَلَّمَ سَمَا وَعَلَاهُ الْبِهَاءُ (١١) كَانَ مَنْطِقُهُ .
خِرَزَاتٌ تُظَنُّنُ يَتَحَدَّرُونَ ، حَلَوُ الْمَنْطِقِ فَصْلٌ لَا نَزْرٌ وَلَا هَذَرٌ (١٢) .
أَجْهَرُ النَّاسِ وَأَجْمَلُهُ مِنْ بَعِيدٍ ، وَأَحْلَاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ ، رُبْعَةٌ
لَا تَشْنُوهُ (١٣) عَيْنٌ مِنْ طُولٍ ، وَلَا تَقْتَحِمُهُ (١٤) عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ ، غُضَيْنٌ بَيْنَ

-
- (١) قَالَ فِي الصَّحَاحِ : التَّجْلَةُ بِالضَّمِّ : عَظْمُ الْبِطْنِ .
(٢) أَيْ : لَمْ يَعْصِهِ ضَمَرٌ فِي رَأْسِهِ قَالَ فِي الصَّحَاحِ : الصُّعْلَةُ : الصَّغِيرُ الرَّأْسِ مِنَ
الرِّجَالِ وَالنِّعَامِ . وَرَجُلٌ صَعَلَ وَامْرَأَةٌ صَعَلَاءُ .
(٣) قَسِيمٌ وَسِيمٌ . أَيْ حَسَنُ الْوَجْهِ وَجَمِيلٌ .
(٤) دَعَجٌ . أَيْ شَدِيدٌ سَوَادِ الْعَيْنِ مَعَ سَقَمَاتِهَا .
(٥) الْأَشْفَارُ : حُرُوفُ وَأَطْرَافُ الْأَجْفَانِ الَّتِي يَنْبَتُ عَلَيْهَا الشَّعْرُ .
وَالْوَطَفُ : كَثْرَةُ شَعْرِ الْعَيْنِ وَالْحَاجِبِينَ كَمَا فِي الصَّحَاحِ وَالْقَامُوسِ .
(٦) صَحْلٌ : يُقَالُ فِي صَوْتِهِ صَحْلٌ . أَيْ بِمَحْوَحَةٍ . اهـ صَحَاحٌ .
(٧) أَحْوَرٌ . أَيْ شَدِيدٌ بَيَاضِ الْعَيْنِ فِي شِدَّةِ سَوَادِهَا . اهـ . صَحَاحٌ .
(٨) أَكْحَلٌ . وَهُوَ الَّذِي يَمْلَأُ جَفُونِ عَيْنِهِ سَوَادَ خَلْقَةٍ . اهـ مَصْبَاحٌ .
(٩) الزَّجِجُ : دَقَّةٌ فِي الْحَاجِبِينَ وَطُولٌ . وَالْأَقْرَنُ : بَيْنَ الْقَرْنِ . وَهُوَ
الْمَقْرُونُ الْحَاجِبِينَ . (١٠) وَفِي عُنُقِهِ سَطَعٌ . أَيْ : طَوِيلٌ . اهـ صَحَاحٌ .
(١١) الْبِهَاءُ : الْحَسَنُ . اهـ . صَحَاحٌ .
(١٢) قَوْلُهُ : فَصْلٌ ، أَيْ : فَاصِلٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . وَقَوْلُهُ : لَا نَزْرٌ
وَلَا هَذَرٌ . قَالَ فِي الْقَامُوسِ : أَيْ : لَيْسَ بِقَلِيلٍ فَيَدُلُّ عَلَى عَمَى (عِزٍّ) وَلَا بِكَثِيرٍ فَاسِدٌ
اهـ . وَالْهَذَرُ : التَّكَلُّمُ بِمَا لَا يَنْبَغِي . اهـ مَصْبَاحٌ .
(١٣) تَشْنُوهُ : تَبْغِضُهُ مِنْ فَرَطِ طَوْلِهِ .
(١٤) لَا تَقْتَحِمُهُ . أَيْ : لَا تَحْتَقِرُهُ . اهـ . قَامُوسٌ .

غُضُنِينَ ، فهو أَيْ (١) الثلاثة منظراً وأحسنهم قدّاً (٢) ، له رفقاء يحفون به (٣) ، إذا قال استمعوا لقوله ، وإذا أمر تبادروا (٤) لأمره ، محفود محشود (٥) ، لا عابس ولا مفند (٦) .

قال : هذا والله صاحب قریش الذي ذكر له من أمره ما ذكر ، ولو كنت وافيته لالتست أن أضحبه ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً .

وأصبح صوتٌ بمكةً عاليًا بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون من يقوله وهو يقول :

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ	رَفِيعَتَيْنِ حَلًّا خَيْمَتِي أُمِّ مَعْبِدٍ
هُمَا نَزَلَا بِالْبَرِّ وَارْتَحَلَا بِهِ	فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ
فَيَا قُلُوبِي مَا رَأَى اللَّهُ عَنْكُمْ	بِهِ مِنْ فِعَالٍ لَا تُجَارَى وَسُودِدِ
سَلُوا اخْتِصَمُ عَنْ شَاتِيَا وَإِنَائِيَا	فَإِنَّكُمْ إِنْ تَسْأَلُوا الشَّاةَ تَشْهَدِ
دَعَا مَا يَشَاقِ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ	لَهُ بِصَرِيحٍ ضَرَّةُ الشَّاةِ مُزِيدِ
فَقَادَرَهُ رَهْنًا لَدَيْهَا لِحَالِبٍ	بِدَرْمَتِهَا فِي مَضَرٍّ ثُمَّ مَوْرِدِ

(١) أَيْ : أحسنهم .

(٢) قدّاً . أَيْ : قامه جسمه . اهـ صحاح .

(٣) يحفون به . أَيْ : أطافوا به واستداروا . اهـ . صحاح .

(٤) تبادروا . أَيْ : تسارعوا وتسابقوا إلى تنفيذ أوامره .

(٥) محفود . أَيْ : مخدوم . محشود . أَيْ : يخفون (يسرعون) لخدمته . اهـ . صحاح .

(٦) قوله : لا عابس . يعنى : ليس كالح الوجه . ولا مفند ، ليس فيه ضعف

الرأى من الحرم .

فأصبح القوم قد فقدوا نبيهم ، وأجدوا على خيمتي أم معبد .
فأجابه حسان بن ثابت فقال :

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ زَالَ عَنْهُمْ نَبِيُّهُمْ وَقُدَّسَ مَنْ يَسْرِي إِلَيْهِ وَيَقْتَدِي
تَرَحَّلَ عَنْ قَوْمٍ فَزَالَتْ^(١) عُيُولُهُمْ وَحَلَّ عَلَى قَوْمٍ بَنُورٌ مُجَدِّدٌ
وَهَلْ يَسْتَوِي ضَلَالُ قَوْمٍ تَسَفَّهُوا عَمَى وَهْدَاةٌ يَقْتَدُونَ^(٢) بِمُهْتَدِي
نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
وَإِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةٌ غَائِبٍ فَتَصُدُّ بِهَا فِي صَحْوَةِ الْيَوْمِ أَوْغَدٍ^(٣)
لَيْسَ أَبَا بَكْرٍ سَعَادَةٌ جَدَّةُ بِصُحْبَتِهِ ، مَنْ يُسْعِدِ اللَّهَ يُسْعِدِ
وَيَهِنُ بَنِي كَنْبٍ مَكَانُ فِتَاتِهِمْ وَمَقْعَدُهَا لِلْمُسْلِمِينَ بِمَرْصَدٍ

البرزة الكبيرة . والمُرملون : الذين نفد زادهم . والمُسنتون من السنة
وذي الجذب . وكسر الخيمة جانبها . والجهل : المشقة . وتفاجت : فتحت
ما بين رجليها لتجلب . ويرُيض الرحط : يثقلهم فيربضوا^(٤) . والثمال :
الرغوة . والعلل : مرة بعد أخرى . وأراضوا : أى رووا . والحليل :
اللاقي لسن بمحوامل . والعاذب : البعيد في الرعى . والتبليج : المشرق .
والنحلة : عظم البطن واسترخاء أسفله . والصُّعلة : صغر الرأس . والوسيم :
الحسن ، وكذلك القسم . والدعج : سواد العين . والوطف : الطول .
والصحل : كالبحة . والأحور : الشديد سواد أصول الأهداب خلقة .
والسطم : الطول .

(١) في شرح الواهب : فضلت عقولهم . (٢) شرح الواهب : يهتدون .

(٣) شرح الواهب : في اليوم أو في نحيى الند .

(٤) الواهب : حتى يربضوا .

وقولها : « إذا تكلم مما » أى علا برأسه ويده . وقولها : لا تقتحمه
عين : أى تحتقره . والمُقنَد : المَرَم . والصريح : الخالص . والضرة :
لحم الضرع .

• عن أم معبد قالت : طلع علينا أربعة على راحلتين ، فنزلوا بى .
فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة أريد أن أذبها له فإذا هى
ذات (١) دَرٍّ ، فأذنيتهما (٢) منه فلمس ضرعها ثم قال : لا تذبحيها . فأرسلتها .
وجئت بأخرى ، فذبعتها وطبختها لهم ، فأكل هو وأصحابه .
فتغدى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأصحابه ، وزودتهم منها ،
ما وسعت شُفرتهم ، وبقي عندنا لحها أو أكثره .
وبقيت الشاة التى لمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرعها ، حتى كان
عام الرمادة ، زمن عمر ، وهى سنة ثمانى عشرة من الهجرة .
قالت : وكنا نحلها صَبُوحًا وَعَبُوقًا ، وما فى الأرض قليل ولا كثير .

(٢) فأذنيتهما ، أى : قربيها .

(١) أى : ذات لبن .

الباب الخامس

في توريه أبي بكر

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقهم إلى المدينة

• عن أنس قال : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب وأبو بكر رديفه . وكان أبو بكر يُعرف في الطريق ، لاختلافه إلى الشام . وكان يمر بالقوم فيقولون : من هذا بين يديك يا أبا بكر ؟ فيقول : هادي يهديني إلى الطريق .

فلما دنوا من المدينة ، بحث إلى القوم الذين أسلموا من الأنصار ، إلى أبي أمامة أصحابه ، فخرجوا إليهما فقالوا : ادخلا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ . [فدخلتا] (١) .

قال أنس : فما رأيت يوماً قط ، أنورَ ولا أحسنَ ، من يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، المدينة . وشهدت وفاته ، فما رأيت يوماً قط ، أظلمَ ولا أقبحَ ، من اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الباب السادس

في لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق المدينة
بريدة الأسلمي ، وتفاؤله باسمه وخدمة بريدة إياه

• عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان لا يتطيّر ، وكان يتفأّل ، وكانت قریش جعلت مائة من الإبل ،
فيمن يأخذ نبيّ الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيرده عليهم ، حين توجه
إلى المدينة .

فركب بريدة في سبعين راكباً من أهل بيته من بني سهم ، فتلقى نبيّ
الله صلى الله عليه وسلم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أنت ؟ فقال : أنا بريدة :
فالتفت إلى أبي بكر الصديق فقال : يا أبا بكر برّد أمرنا وصالح .
ثم قال : ممن أنت ؟ قال : من أسلم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : سلّمنا .

قال : ممن ؟ قال : من بني سهم .

قال : خرج سهّمك [يا أبا بكر] (١) .

فقال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم : من أنت ؟

(١) من شرح المواهب ، نقلا عن البيهقي .

قال : أنا محمد بن عبد الله ، رسول الله .
فقال بريدة : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .
فأسلم بريدة ، وأسلم من كان معه جميعاً .
فلما أصبح ، قال للنبي صلى الله عليه وسلم : لا تدخل المدينة إلا
ومعك لواء .

فلما عمامته ، ثم شدّها في رمح ، ثم مشى بين يديه . فقال : يا نبي الله
تنزل عليّ .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن ناقتي هذه مأمورة .
فقال بريدة : الحمد لله الذي أسلمت بنو سهم ، طائعين غير مُكرهين .

الباب السابع

في ذكر تلقي أهل المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخوله إليها

• عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمع المسلمون بالمدينة يخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة :

وكانوا يقدون كل غداة إلى الحرّة (١) ينتظرونه حتى يردم حرّ الظهيرة .

فأقبلوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم .

فلما أَوْزَا إلى بيوتهم ، أَوْفَى رجلٌ من اليهود على أُطْمٍ (٢) من آطامهم
لأمر ينظر إليه .

فبَصُرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، مُبْيَضِينَ (٣) يزولُ
بهم السرابُ .

فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته :

يا معشر العرب ، هذا جدُّكم الذى تنتظرونه .

فثار المسلمون إلى السلاح ، فتلَقَّوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظَهْرِ
الحرّة ، فمدَّ كلُّهم ذات اليمين ، حتى تزل بهم في بنى عمرو بن عوف .

فقام أبو بكر للناس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتاً .

(١) أرض ذات حجارة سود ، كانت بها الوقعة المشهورة أيام يزيد .

(٢) الأطم : الحصن .

(٣) مبيضين : عليهم الثياب البيض التى كساهم إياها الزبير وطلحة .

وقال ابن التين : يحتمل أن معناه مستعجدين . قال ابن فارس : يقال بانص ، أى

مستعجل . شرح اللواهب ٣٥٠/١ .

الباب الثامن

في ذكر اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة

- قال الزُّهري : قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين . لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول .
- وروى حَنَش الصنعاني عن ابن عباس ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، ونَبِيُّ يوم الاثنين ، ورفَع الحجر يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، وقُبِض يوم الاثنين ، صلى الله عليه وسلم .

الباب التاسع

في ذكر المكان الذي نزل به حين دخل المدينة

• عن أبي بكر الصديق قال : مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه ، حتى قَدِمْنَا المدينة ، فتلقاه الناس ، فخرجوا في الطرق وعلى الأباغر . واشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ، جاء محمد .

قال : وتنازع القوم ، أيهم ينزل عليه .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزل الليلة على بني النجار ، أخوال عبد المطلب ، لأكرمهم بذلك .
فلما أصبح ، غدا حيث أمر .
قلت : بيان الخلوة ، أن هاشماً تزوج امرأة من بني عدى بن النجار ، فولدت له عبد المطلب .

وقد ذكرنا في حديث عائشة آنفاً ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل في بني عمرو بن عوف ، هم أهل قُباء (١) .
• قال ابن إسحاق : فنزل على كلثوم بن الهدم ، أخي بني عمرو بن عوف .

(١) قال في القاموس : قباء بضم القاف ويذكر ويقصر . موضع قرب المدينة المنورة ، وموضع بين مكة والبصرة وبالقصر اسم بلد بفرغانة .
وفي اللصباح : وقباء : موضع بقرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم من جهة الجنوب نحو ميلين وهو بضم القاف ، يقصر ويمد ، يصرف ولا يصرف .

وقيل : نزل على سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزّاباً ، لا أهل له .
فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ، في بني عمرو بن عوف ،
يوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، ويوم الخميس ، وأسّس مسجدهم ،
ثم خرج عنهم يوم الجمعة .

وقيل : مكث فيهم بضعة عشر يوماً :

ثم ركب ناقته وأرّخى لها الزمام ، فجعلت لا تمرّ بدار من دور الأنصار
إلا دعاه أهلها إلى النزول عندهم وقالوا :

هلم يا رسول الله ، إلى العدد والعدّة .

فيقول لهم : خلوا زمامها فإنها مأمورة .

حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم ، فبركت على باب المسجد ، وهو
يومئذ مرّيد ، فلم ينزل عنها .

فوثبت ، فسارت غير بعيد ، ثم رجعت إلى مَبْرَكِهَا الأول ، فبركت
فيه ووضعت جِزَانَهَا (١) .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبل أبو أيوب ، رَحَلَهُ .

فنزل على أبي أيوب ، فأقام عنده ، حتى بنى مسجده ومساكنه .

• وقال الواقدي عن أشياخه : لما قدّم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، أقام ببني عمرو بن عوف .

فلما كان يوم الجمعة ، ارتفَعَ النهار ، دعا براحلته ، وركب والناس معه
عن يمينه ويساره .

(١) أى : وضعت عنقها على الأرض .

فاعترضته الأنصار ، لا يترددار إلا قالوا : هلمَّ يا نبي الله ، إلى القوة والمنعة .
فيقول لهم خيراً ، ويقول : إنها مأمورة .

فبركت عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فجاء أبو أيوب ، فخطَّ رحله ، وأدخله منزله .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « المرة مع رحله » .

وجاء أسعدُ بن زُرارة ، فأخذ بزمام راحلته ، فكانت عنده .

وما كان من ليلة ، إلا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثلاثة

والأربعة ، يتناوون ، حتى تحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل
أبي أيوب .

وكان مقامه فيه سبعة أشهر .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زيدَ بن حارثة ، وأبا رافع ،

إلى مكة ، وأعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين .

فقدما بقاطمة ، وأم كلثوم ، ابنتيه ، وسودة ، زوجته ، وأسامة

ابن زيد (١) .

وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم ، بعيال أبي بكر ، فيهم عائشة .

فلما قدموا المدينة ، أنزلهم في بيت جارية بن النعمان .

• قال محمد بن حبيب الهاشمي : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

نزل قباء ، على كلثوم ، وكان يتحدث في منزل سعد بن خيثمة ، ومُني

منزل العزاب .

وركب من قباء يوم الجمعة ، يؤم المدينة فجَمَعَ (٢) في بني سالم .

وكانت أول جمعة ، جمعها في الإسلام .

(١) زاد في اللواهب : « وأم أيمن وولدها أيمن » كافي رواية الطبراني .

(٢) أي: صلى الجمعة .

الباب العاشر

في ذكر خروج أهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم

• عن أنس قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، لعبت الحبشة بجوابها ، فوجأ بذلك .

• عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بجوار من الأنصار ، ومن يتغنين بكُلن :

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ وَحَبِذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله يعلم أني أحبكن » .

• عن عائشة قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، جعل النساء والصبيان والولائد يقلن :

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ نِجَاتِ الْوَدَاعِ
وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا اللَّهُ دَاعِ

الباب الحادى عشر

فى ذكر لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن سلام حين دخل المدينة

• عن عبد الله بن سلام ، قال : لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم
المدينة انجفل^(١) الناس ، وكنت فيمن أتى .
فلما رأيت وجهه ، عرفت أنه غير وجه كذاب ، فسممته يقول :
أيها الناس ، أفشوا السلام ، وصلوا الأرحام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا
بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام .

(١) انجفل القوم : اتقلعوا (يعنى : أسرعوا) فمضوا .

الباب الثاني عشر

في فضل المدينة

- عن أنس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« اللهم اجعل بالمدينة ضِعْفَيَّ ما جعلت بمكة من البركة » . أخرجاه .
- وفي أفراد مسلم ، من حديث سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« لا يثبت أحدٌ على لأوائها وشدتها ، إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة » .
- عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من استطاع أن يموت بالمدينة ، فليُتِّم ، فإن مات بالمدينة ، شُفِعَتْ
له يوم القيامة » .
- عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« صيام شهر رمضان بالمدينة ، كصيام ألف شهر فيما سواها ، وصلاة
الجمعة بالمدينة كآلف صلاة بما سواها » .
- عن أبي ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« غبار المدينة ، شفاء من الجذام ^(١) » .
- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« المدينة قُبَّةُ الإسلام ، وقلب الإيمان ، وما بين الحلال والحرام » .

(١) أخرجه رزين ، وهو لا يوثق به .

الباب الثالث عشر

في ذكر بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم

• عن عائشة قالت : لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو ابن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى ، وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ركب راحلته وسار يمشي معه الناس ، حتى بركت عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو يصلي فيه رجال من المسلمين . وكان مربداً للتمر السهل وسهيل غلامين يتيمين ، في حجر أسعد ابن زرارة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به :

هذا ، المنزل إن شاء الله .

ثم دعا الغلامين ، فساومهما بالبريد ، ليتخذاه مسجداً ، فقالا : بل نهيه لك يا رسول الله .

ثم بناء مسجداً ، وطلق ينقل معهم اللين في بنائه ويقول :

هَذَا الْجَمَالُ لَا حِمْلَ خَيْرٍ هَذَا أَبْرُهُ رَبَّنَا وَأَطْمَرِ
اللَّهُمَّ إِنَّ الْخَيْرَ خَيْرُ الْآخِرَةِ فَارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

• عن أنس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم [المدينة^(١)] .

فَنَزَلَ فِي حَيٍّ يَقَالُ لَهُمْ : بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ .

فَأَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَارِ ، فَجَاءُوا بِالسَّيْفِ .

وَكُنَّا أَنْظَرَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، وَأَبُو بَكْرٍ رَدَفَهُ ، وَمَلَأُ^(١) بَنِي النَّجَارِ حَوْلَهُ ، حَتَّى أَلْقَى بِفَنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ .

وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتِهِ الصَّلَاةُ ، وَيَصَلِّيَ فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ ، وَأَنَّهُ أَمَرَ بِنَاءَ الْمَسْجِدِ .

فَأَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَارِ^(٢) فَقَالَ :

يَا بَنِي النَّجَارِ ، ثَامِنُونِي بِخَائِطِكُمْ هَذَا .

قَالُوا : لَا وَاللَّهِ ، لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ .

قَالَ أَنَسٌ : فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ ، كَانَ فِيهِ قُبُورُ الْمُشْرِكِينَ وَخِزْبُ^(٣) ، وَفِيهِ نَخْلٌ .

فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ ، فَنَبَشَتْ ، ثُمَّ بِالْخَرْبِ ، فَسَوَّيْتُ^(٤) وَبِالنَّخْلِ فَقَطَعُ .

فَضَمُّوا النَّخْلَ ، قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ ، وَجَعَلُوا أَعْضَادِيهِ حِجَارَةً .

وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ ، وَهُمْ يَرْجِزُونَ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُمْ وَهُوَ يَقُولُ :

(١) وَمَلَأُ . أَيْ : جَمَاعَةٌ : (٢) الْبُخَارِيُّ : إِلَى مَلَأُ بَنِي النَّجَارِ .

(٣) الْخَرْبُ بِفَتْحِ الْمَعْجَمَةِ وَكَسْرِ الرَّاءِ . جَمْعُ خَرْبَةٍ كَكَلِمَةِ وَكَلَمٍ ، وَجُوزُ الْخَطَائِي أَنَّهُ خَرْبٌ بِضَمِّ الْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَهِيَ الْخُرُوقُ الْمُسْتَدِيرَةُ فِي الْأَرْضِ .

(م ٢٦ - الرَّوَا)

اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرَ الْآخِرَةِ فَأَعِزِّ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ (١)

• عن ابن عمر قال : كان المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنياً باللبن ، وسقفه الجريد . وعمده الخشب من النخل . فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً .

وزاد فيه عمر ، وبناء على بنائه ، في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد ، وأعاد عمده خشباً .

ثم غيره عثمان ، وزاد فيه زيادة كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة (٢) ، وجعل عمده من حجارة منقوشة ، وسقفه بالساج .

انفراد بإخراجه البخاري .

(١) أخرجه البخاري في كتاب صلاة باب هل تبنى قبور مشركي

(٢) القصة : الحصة .

الباب الرابع عشر

في فضل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

- عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ؛ ومسجدي ؛
والمسجد الأقصى ، وصلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه ،
إلا المسجد الحرام .
- عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، إلا
المسجد الحرام » .
- قال ابن عقيل : قوله : « صلاة في مسجدي » إشارة إلى ما كان
مسجداً في زمانه ، لا إلى ما أدخل في المسجد من الزيادة .
- عن أبي سعيد قال : تمارى رجلان في المسجد ، الذي أسس على
التقوى من أول يوم .
- فقال رجل : هو مسجد قباء . وقال الآخر : هو مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم .
- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هو مسجدي » .
- أخرجه مسلم .

الباب الخامس عشر

في ذكر ما بين بيته ومنبره صلى الله عليه وسلم

• عن عبد الله بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » .
أخرجاه .

• عن أبي هريرة وأبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي .
أخرجاه .

• عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
ما بين حجرتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، وإن منبري على ترعة
من ترع الجنة .

وما بين المنبر ، وبيت عائشة ، روضة من رياض الجنة .

والترعة : الروضة على المكان المرتفع .

الباب السادس عشر

في ذكر بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنازل أزواجه

- عن محمد بن عمر قال : سألت مالك بن أبي الرعاء :
أين كانت منازل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ؟
فأخبرني عن أبيه عن أمه ، أنها كانت كلها ، في الشق الأيسر ، إذا
قمت إلى الصلاة ، إلى وجه الإمام في وجه المنبر ، هذا أبعدُهُ .
ولما توفيت زينب بنت خزيمة ، أدخل أم سلمة بيتها .
قال محمد بن عمر : كانت لحارثة بن النعمان منازل قريبة من المسجد وحوله .
فكلما أحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلاً تحوّل له حارثة عن
منزله ، حتى صارت منازلها كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه .
- قال ابن سعد : وأوصت سودة ببيتها لمعاشة .
وباع أولياء صفية بنت حيي بيتها من معاوية ، بمائة ألف وثمانين ألف درهم .
واشترى معاوية من عائشة منزلها ، بمائة ألف وثمانين ألف ، وقيل :
ثمانين ألف .
وشرط لها سكنها ، حياتها ، وحمل إليها المال ، فما قامت من مجلسها
حتى قسمتته .
وقيل : بل اشتراه ابن الزبير من عائشة ، بعث إليها خمسة أجمال ،
تحمل المال ، وشرط لها سكنها حياتها ، ففرقت المال .

فقيل لها : لو خبأت منه درهماً ؟ فقالت : لو ذكرتوني فعلت .
وتركت حفصة بيتها ، فورثه ابن عمر ، فلم يأخذله ثمنًا ، فأدخل في المسجد .

• قال ابن سعد ، قال عبد الله بن يزيد (١) الهذلي :

رأيت منازل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ؛ حين هدمها عمر بن
عبد العزيز ، وهو أمير المدينة ، في خلافة الوليد بن عبد الملك ، وزادها
في المسجد .

كانت بيوتًا مبنية باللبن ، ولها حُجَر من جريد ، عددتُ تسعة أليات
بِحُجَرها ، ورأيت بيت أم سلمة وحجرتها ، من لبن .

قال ابن شهاب : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل ؛
بذت أم سلمة حجرتها بلبن ، فلما قدم قال : ما هذا البناء .
فقالت : أردت أن أكف أبصار الناس .

فقال : إن شرَّ ما ذهب فيه مال المرء المسلم (٢) البنيان .

وقال عطاء الخراساني : أدركت حُجَر أزواج رسول الله صلى الله عليه
وسلم من جريد النخل ، على أبوابها المسوح ، من شعر أسود .

فحضرتُ كتاب الوليد يُقرأ ؛ بأمر بإدخال حُجَر أزواج رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأرأيت يومًا ، أكثر باكيًا من ذلك اليوم ؟

فسمعت سميد بن المسيب يقول يومئذ :

والله لو ددت أنهم تركوها على حالها ، حتى ينشأ أناس من أهل المدينة ،

ويقدم القادم ، فيكون ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر ! !

(١) الأصل : زيد . والتصويب من ابن سعد . (٢) ابن سعد : مال المسلمين .

الباب السابع عشر

في دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يحبب الله إلى أصحابه المدينة

عن عائشة قالت : قدِمَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم المدينةَ وهي ويثَّة ،
فرض أبو بكر ، فكان إذا أخذته الحصى يقول :
كلُّ امرئٍ مُصْبِحٌ في أَهله والموتُ أَذَى (١) مِنْ شِرَاكٍ (٢) نَفَلِه
وكان يلايل إذا أخذته الحصى يقول :
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَّا أَيْلَةً بَوَادٍ وَحَوَالِي إِذْخَرَ وَحَلِيل (٣)
وَهَلْ أَرَدْنَا يَوْمًا مِيَاهَ حَجَّةٍ وَهَلْ يَهْدُونَنَا لِي شَامَةٍ وَطَفِيل (٤)
اللهم العن عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف ، كما
أخرجونا من مكة .

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نفقوا قال :
اللهم حبِّبْ إلينا المدينة كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ ، اللهم صَحِّحْهَا ، وبارك
لنا في صاعها ومُدَّهَا ، وانقل حُمَاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ (٥) .

(١) أذى : أقرب .

(٢) قال في المصباح : وشراك النمل : سيرها الذي على ظهر القدم .

(٣) الإذخر : حشيش مكة ذو الرائحة الطيبة . والجليل : بنت ضعيف .

(٤) حجة : موضع على أميال من مكة ، كان به سوق في الجاهلية . وشامة

وطفيل : جيلان . (٥) الجحفة : قرية جامعة على اثنين وثمانين ميلا من مكة .

الباب الثامن عشر

في صلاته إلى بيت المقدس وتحويل القبة

• عن البراء قال : صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، ثم صُرفنا إلى الكعبة .

الباب التاسع عشر

في ذكر الوقت الذي حولت فيه

قال محمد بن حبيب الهاشمي : زار رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّ بشر بن البراء بن معرور في بني سَلَمَةَ ، وذلك في يوم الثلاثاء للنصف من شعبان ، فتعدى هو وأصحابه ، وجاءت الظهيرة فصلى بأصحابه ركعتين من الظهر إلى الشام .
ثم أمر أن يستقبل الكعبة ، ودارت الصفوف خلفه ، ثم أتم الصلاة فسُيِّمَ مسجد القبلتين .

قال الواقدي : كان هذا يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً .

وقال السُّدِّي : حولت على رأس ثمانية عشر شهراً .

الباب العشرون

في نزول فرض رمضان

• عن أبي سعيد الخدري قال : أنزل فرضُ رمضان بعدما صُرفت القبلية إلى الكعبة بشهر ، وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر قبل أن تُفرض الزكاة في الأموال .

الباب الحادي والعشرون

في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُحرس بالمدينة

• عن عائشة قالت أرق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ثم قال : اللهم آتني رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة . إذ سمعتُ صوتَ السلاح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا ؟ قال سعدُ بن أبي وقاص : أنا يا رسول ، أتيتُ أحرسك . قالت عائشة : فنام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعت غطيته . وفي رواية عن عائشة : فنزلت : « وَاللَّهُ بِمَعْصُمِكَ مِنَ النَّاسِ » (١) . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبةِ آدم وقال : « انصرفوا أيها الناس ، فقد عصمني الله تعالى » .

ابواب معجزاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كانت صورة نبينا صلى الله عليه وسلم وهيته وسمته تدلُّ العقلاء
على صدقه .

ولهذا قال عبد الله بن سلام : فلما رأيت وجهه عرفت أنه ليس
بوجه كذاب .

ومن سمع كلامه ورأى آدابه لم يدخله شك .

وكان في صغره يُعرف بالأمانة والصدق وجميل الأخلاق .

وقد قال قيصر في حديث أبي سفيان : لم يكن ليذر الكذب على
الناس ويكذب على الله تعالى .

وسندكر أمهات معجزاته أبواباً إن شاء الله تعالى .

الباب الأول

في ذكر معجزه الأكبر وهو القرآن العزيز

لَمَّا غَلَبَ السَّحَرُ فِي زَمَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَهُمْ بِحُجَّتِهِ فِي مَعْجَزَاتِهِ ،
فَفَلَقَ الْبَحْرَ ، وَأَلْقَى الْعَصَا .

وَلَمَّا غَلَبَ الطَّبُّ فِي زَمَنِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَهُمْ بِحُجَّتِهِ ، فَأَحْيَا الْمَوْتَى ،
وَأَبْرَأَ الْأَكْمَهَ .

وَلَمَّا غَلَبَتِ الْفَصَاحَةُ وَقَوْلُ الشُّعْرِ وَالنَّظْمِ وَالنَّثْرِ فِي زَمَنِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهُمُ بِالْقُرْآنِ .

وَهُوَ مُعْجَزٌ مِنْ أَوْجِهٍ :

أَحَدُهَا : مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ فِي الْإِيحَازِ وَالْإِطَالَةِ .
فِتَارَةً يَأْتِي بِالْقِصَّةِ بِاللَّفْظِ الطَّوِيلِ : ثُمَّ يَعِيدُهَا بِاللَّفْظِ الْوَجِيزِ ، فَلَا يُحْلَ
بِمَقْصُودِ الْأَوَّلَى .

وَالثَّانِي : مَفَارِقَتُهُ لِأَسَالِيبِ الْكَلَامِ وَأَوْزَانِ الْأَشْعَارِ .

وَبِهَذَيْنِ الْعَنَيْتَيْنِ تَحَدَّثَ الْعَرَبُ ، فَعَجَزُوا وَتَحَيَّرُوا وَأَقْرَأُوا بِفَضْلِهِ ، حَتَّى
قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ : وَاللَّهِ إِنْ لَمْ يَخْلُوهُ وَلَمْ يَنْصُرْهُ لَطَلَاوَةٌ (١) .

• عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمَغِيرَةَ ، اجْتَمَعَ لَهُ وَفَرٌّ مِنْ قُرَيْشٍ ،
وَكَانَ ذَا سَنٍّ فِيهِمْ ، وَقَدْ حَضَرَ الْمَوْسِمُ ، فَقَالَ :

(١) قَالَ فِي الصَّحَاحِ : الطَّلَاوَةُ : يَثْلِيثُ الطَّاءُ : الْحَسَنُ وَالْقَبُولُ .

إن وفود العرب ستقدم عليكم ، وقد سمعوا بصاحبكم هذا ، فاجتمعوا فيه رأياً ولا تختلفوا ، فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قول بعضكم بعضاً .

قالوا : أنت قتل ، وأقم لنا رأياً تقول به .

قال : بل أنتم فقولوا أسمع .

فقالوا : تقول : كاهن .

فقال : ما هو بكاهن ، لقد رأيت الكهان ، فما هو برمزمة الكاهن وسحره .

فقالوا : تقول مجنون .

فقال : ما هو بمجنون ، ولقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بتمتته ولا تخالجه ولا وسوسته .

فقالوا : تقول شاعر .

قال : ما هو بشاعر ، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه ، وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر .

قالوا : تقول ساحر .

قال : ما هو ساحر ، لقد رأينا السحار وسحرم ، فما هو بنفقه ولا عقده .

قالوا : فما تقول يا أبا عبد شمس ؟

قال : والله إن اتولته حلاوة ، وإن أصله لمفندق وإن فرعه لمثمر .

فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا أعرف أنه باطل ، وإن أقرب القول أن تقولوا ساحر .

فقولوا : هو ساحر يفرق بين المرء وزوجه وأحبه .

فتفرقوا عنه بذلك .

• وكان النضر بن الحارث بن كَلْدَة يقول : يا معشر قريش ، لقد نزل بكم أمرٌ ما ابتليتُم بمثله ، والله ما هو بساحر ، ولا كاهن ، ولا شاعر ، ولا محنون .

ولما حضر عتبة بن ربيعة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه : « حَمَّ تَنْزِيلٍ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » (١) إلى أن بلغ فقال : « أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً » فأمسك عتبة على فيه ، وناشده بالرحم أن يكفَّ .

وقال لأصحابه : خِفْتُ أَنْ يَنْزِلَ بكم العذابُ .

قال المصنف رحمه الله : فلما تحمَّروا عند سماع القرآن وأدهشهم وسكتوا ، نودى عليهم بالعجز عن مماثلته بقوله تعالى : « فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ » .

ثم قال : « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا » (٢) .

ومعلوم أن النفوس الأبيّة ، إذا قُرعت بمثل هذا ، استفرغت الوسع . فلما عَدَّوْا إلى الحاربة والقتال ، وورسوا بسبي الذراري وأخذ الأموال ، عُلِمَ عَجْزُهُمْ . وهم معدن البلاغة والفصاحة ، والقرآن من جنس كلامهم .

ولما أقدم مُقَدِّمُهُمْ على معارضة نظر إلى السور القصار فعارضها ، لأن تأليف الطوال ، يبين به الفصاحة الزائدة على الحد .

(١) سورة فصلت . الآيات من ١ إلى ١٣

(٢) سورة البقرة ٢٣ و ٢٤ .

فعارض سورة الفيل . فقال : الفيل وما أدراك ما الفيل ، له ذنب وبيل ،
وخرطوم طويل ، وإن ذلك من خلق ربنا لقليل .

وقال : يا ضفدع ، تأنيث ضفدعين ، نُتِّي كم تنقيين ، أعلاك في الماء ،
وأسفلك في الطين ، لا الماء تكسدرين ، ولا الشراب تمنعين .

قال : ومن العجائب شاة سوداء ، تحلب لبناً أبيض .

فظهرت فصائحهم بمثل هذا ، ولو سكتوا كان أصلاح لهم .

وعن طمس على قلبه ، أبو العلاء المعرّي ، فإنه جمع كلاماً سماه :
« الفصول والغايات » يعارض (١) بزعمه السور والآيات .

وقد رأيت ، فإرأيت أبرد من ذلك الكلام ولا أسمع !

وقد جعله على حروف المعجم في آخر كلماته ، فن حرف الألف :

« كان النعال على عصي الطلح ، يعارضون الركائب في الموادج ،
والظالماء تستغفر لهم ، فخبب القمر وضيء الشمس ، وهينئاً لتاركي الثوق
طلاليح في غيطان الفلاة ، يحوم عليها ابن داية ، ويطيف بها السرحان ،
وستان أوراك ، ترد الألبان لبنها أقعد من الغطاء » (١) .

وكله من هذا الجنس البارد .

(١) لا نوافق المؤلف رحمه الله على هذا الظن ، فإن كتاب « الفصول
والغايات » لأبي العلاء الذي يتحدث عنه مليء بشواهد الإيمان والتوحيد ، وليس
فيه أدنى شبهة بممارسة القرآن ، وقد نشره الأستاذ محمود حسن زناتي سنة ١٩٣٨
وأثبت في مقدمته براءته من هذه التهمة .

(٢) لم يرد هذا النص في « الفصول والغايات » المطبوع ، لأن أول حرف
الألف مفقود من هذا الكتاب ، وفي هذا النص تحريف .

قال ابن عقيل : وحكى لى أبو محمد بن مسلم النحوى قال : كنا نتذاكر
إعجاز القرآن ، وكان ثمَّ شيخ كبير الفضل ، فقال : ما فيه ما يعجز
الفضلاء عنه .

ثم ترقى إلى غرفة ومعه صحيفة ومحبرة ، ووعد أنه سيناديهم بعد ثلاثة
أيام بما يعلمه ، مما يضاهاى القرآن .

فلما انقضت الأيام الثلاثة ، صعد واحد ، فوجده مستندا يابسا ، وقد
جفت يده على القلم .

* * *

قلت : وقد كان المرتضى العلوى يقول بالصرفة ، وأن الله تعالى صرف
العرب عن الإتيان بمثله ، لا أنهم عجزوا .

قال ابن عقيل : الصَّرفُ عن الإتيان بمثله ، دالٌّ على أن القدرة لم
حاصلة ، فإن كان فى الصَّرف نوعُ إعجاز ، إلا أن كون القرآن فى نفسه
ممتنعا على الإتيان بمثله لسنى نعود إليه ، أكبر فى الدلالة وأعم لفضية
القرآن .

وما قول من قال بالصرفة ، إلا بمثابة من قال : إن عيون الناظرين
إلى عصى موسى ، تمخَّل لم أنها حية وثعبان ، لا أنها فى نفسها انقلبت .

قال : والتحدَّى للمصروف عن الشيء ، لا يحسن ، كما لا يتعدَّى
العجم بالعربية .

هذا قول ابن عقيل .

وأنا أقول : إنما يُصرفون عن الشيء ، بتفسير طباعهم عند نزوله
أن يقدروا على مثله .

فهل وُجد لأحد منهم قبل الصُّرْفَة ، منذ وجد العرب ، كلامٌ يقاربه
مع اعتمادهم الفصاحة ؟

والثالث في معجز القرآن : ما تضمن من أخبار الأمم السالفة وسير
الأنبياء التي عرفها أهل الكتاب ، مع كون الآتي بها أمثيلاً لا يكتب
ولا يقرأ ، ولا عُلِمَ بمجالسة الأخبار ولا الكهان .

ومن كان من العرب يكتب ويقرأ ويجالس علماء الأخبار ، لم يُذكر
ما أخبر به القرآن .

والرابع : إخباره عن الغيوب المستقبلية الدالة على صدقه قطعاً ، لوقوعها
على ما أخبر ، كقوله : « فتمنّوا الموت »^(١) ثم قال « ولن يتمنوه أبداً » .
وقوله : « فاتّوا بسورة من مثله »^(٢) [ثم قال] : « ولن تفعلوا »
ثم فعلوا .

وقوله : « قلّ للذين كفروا ستُغلبون »^(٣) .
وغلبوا .

وقوله : « لقد خُلِنَ المسجد الحرام إن شاء الله آمين »^(٤) ودخلوا .
وقوله في أبي لهب : « سيصلى ناراً ذات كلبٍ وامراته »^(٥) وهذا
دليل على أنهما يموتان على الكفر ، وكذلك كان .
والخامس : أنه محفوظ من الاختلاف والتناقض .

(١) سورة البقرة ٩٤

(٢) سورة البقرة ٢٣

(٣) سورة آل عمران ١٢

(٤) سورة الفتح ٢٧

(٥) سورة السد . الآية ٣ و ٤

وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا » (النساء ٨٢) .
وقال تعالى : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » (١) :

قال ابن عقيل : حفظ جميعه وآياته وسوره ، التي لا يدخل عليها تبديل ،
من حيث عجز الخلاق عن مثلها .

فكان القرآن حافظ نفسه ، من حيث عجز الخلاق عن مثله .

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطى من الآيات ، ما آمن عليه
البشر ، وإنما كان الذي أوتيتُ وحياً أوحى الله عز وجل إلي ، فأرجو أن
أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة .

قال أبو الوفا ، علي بن عقيل : إذا أردت أن تعلم أن القرآن ليس من
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما هو مُنْطَقِي إليه ، فانظر إلى كلامه ،
كيف يمتاز عن القرآن ، وتلخّص ما بين الكلامين والأسلوبين ، ومعلوم
أن كلام الإنسان ، يشابه وما للنبي صلى الله عليه وسلم ، كلمة تُشاكل
نمط القرآن .

قال ابن عقيل : ومن إعجاز القرآن أنه لا يمكن أحداً أن يستخرج
منه آية قد أخذ معناها من كلام قد سبق ، فإنه ما زال الناس يكشف
بعضهم عن بعض فيقال : اللغني أخذ من البُحْثَرِي .

قال : وقد سئل علي بن عيسى فقيل له : لو كان هذا الكتاب العزيز
يترجم (٢) ما الذي كان ينبغي [أن] يترجم به ؟

(١) سورة الحجر ٩

(٢) يترجم : يوضع له عنوان يميزه ويذل عليه .

قال : كان ينبغي أن يترجم بآية منه ، لا بشيء من كلامنا .

قالوا : وما هذه الآية التي يترجم بها ؟

قال : قوله تعالى : « هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّما هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيُنذِرَ كَرُّ أُولَئِكَ الْأَتِّابِ » (١) .

قال ابن عقيل : ما أصاب ابن عيسى عندي ، لأنه إنما يترجم الكتاب تعريفاً ، لئلا يختلط كتاب بكتاب .

فإذا كان هذا الكتاب ممتنع النظير ، سيوجد النظر في نفسه لا يختلط به غيره ، فلماذا يترجم ؟ !

ولو جاز أن يترجم كما تترجم الكتب - مع تمييزه بإعجازه ، وعدم اختلاطه بغيره ، وليعلم كلام من هو وتأليف من هو كمادة آيات الكتب - جاز أن يكتب على جبهة الحيوانات ، كالفرس والبعير ، وعلى جبهة الآدمي : « هذه صنعة الله » !

فلما لم يحسن ذلك ، للعلة التي بيّنتها ، بطل أن الترجمة سائغة .

وأنا لا أسوِّغ له ترجمة .

ولو وجدنا هذا المصحف العزيز ، ملقاً في برية ، ما جاء به أحد ، أخبرنا بما فيه من الدليل أنه من عند الله .

فكيف وقد جاء به المصنوم مؤيداً بالمعجزات ؟ !

* * *

قال المصنف رحمه الله : وقد استخرجت معنيين عجيبين :

أحدهما : أن معجزات الأنبياء ذهبت بموتهم ، فلو قال ملحد اليوم :
أى دليل على صدق محمد وموسى ؟ فقل له : محمد شقّ له القمر ، وموسى
شق له البحر ، لقال : هذا محال .

فجعل الله سبحانه هذا القرآن معجزاً لمحمد صلى الله عليه وسلم يَبْقَى
أبداً ، ليظهر دليل صدقه بعد وفاته ، وجعله دليلاً على صدق الأنبياء ، إذ هو
مصدق لهم ومخير عالم .

والثانى : أنه أخبر أهل الكتاب بأن صفة محمد صلى الله عليه وسلم
مكتوبة عندهم فى التوراة والإنجيل ، وشهد لحاطب بالإيمان ، ولعائشة
بالبراءة ، وهذه شهادات على غيب .

فلو لم يكن فى التوراة والإنجيل صفته ، كان ذلك منقراً لم عن الإيمان
به ، ولو علم حاطب وعائشة من أنفسهما ، خلاف ما شهد لهما به ، نفرا
عن الإيمان .

الباب الثاني

في معجزة انشق القمر

قال ابن عباس : اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فعلت تؤمنون ؟ قالوا : نعم . فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعطيه ما قالوا .

فانشق القمر فرقتين ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى : يا فلان يا فلان ، اشهدوا .

وذلك بمكة قبل الهجرة .

قال مجاهد : انشق القمر ، فوقعت فرقة فوق الجبل ، وذهبت فرقة من وراء الجبل .

وقال ابن زيد : لما انشق كان يرى نصفه على قُعَيْقَمَان^(١) ، والنصف الآخر على أبي قبيس .

• عن ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين حتى نظروا إليه .

(١) قُعَيْقَمَان : بصيغة التصغير . جبل مشرف على الحرم من جهة الغرب . سمي بذلك ، لأن جرهما كانت تجمل فيه سلاحها من الدرق والقصي والجماب ، فكانت تتمعق . أى : تفضت .

قال ابن فارس : التمعقة . حكاية أصوات الترسه وغيرها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا .
أخرجاه .

وفي لفظ انشق القمر شقة فوق الجبل ، وشقة يسترها الجبل .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا .

• عن أنس بن مالك : أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية ، فأراه القمر شقتين ، حتى رأوا حراء (١) بينهما .
قال البخاري : عن ابن عباس : انشق القمر في زمان النبي صلى الله عليه وسلم .
أخرجاهما .

• عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فقال قوم . هذا سحر ، سحرهم ابن أبي كبشة ، فاسألوا الذين يقدم عليكم ، فإن كان مثل ما رأيتم فقد صدق ، وإلا فهو سحر .
فقدم السفار فسألوهم فقالوا : نعم قد رأيناه ، قد انشق القمر .
• عن ابن عمر في قوله تعالى : « اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ » (٢) .
قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين .

(١) قال في الصباح : وحراء ، وزان ، كتاب : جبل بمكة ، يذكر ويؤنث
قاله الجوهري . واقصر في الجمهرة على التأنيث وهو أى : (حراء) مقابل ثبير .
(٢) سورة القمر - الآية ١

الباب الثالث

في إظهار معجراته في تكثير الطعام^(١)

• عن جابر بن عبد الله قال : عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق .

وكانت عندى شوية عنز جذعة شمينة قتلت :

لو صنعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأمرتُ امرأتى ، فطحننت لنا شيئاً من شعير ، وصنعت لنا منه خبزاً ، وذبحت تلك الشاة ، فشويناه لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فلما أمسينا ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق ، قال : وكنا نعمل فيه نهراً ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهلنا ، قال :

قلت : يا رسول الله ، إني قد صنعت لك شوية كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئاً من خبز الشعير ، فأحبُّ أن ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزلي .

ولأنما أريد أن ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده .

فلما قلت له ذلك قال : نعم . ثم أمر صارخاً فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر .

(١) كان تكثير الطعام واللاء ، بمعنى البركة فيهما أو الإمداد من عند الله ، إكراماً من الله لرسوله وللمؤمنين معه ، وكانت الضرورة تقتضى ذلك .

قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون .

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل الناس معه ، فجلس فأخرجناها إليه .

قال : فبارك ، وسَمِي ، ثم أكل . وتواردها الناس ، كلما فرغ قوم قاموا ، وجاء ناس حتى صَدَرَ (١) أهلُ الخندق عنها .
أخرجاه .

• عن جابر بن عبد الله قال : توفي عبد الله بن عمرو بن حرام ، يعني أباه ، أو استشهد ، وعليه دين فاستعنت برسول الله صلى الله عليه وسلم على غرمائه ، أن يَضَعُوا مِنْ دَيْنِهِ شَيْئًا . فطلب إليهم ، فأبوا .

فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب فصَنَّفْ تَمْرَكَ أَصْنافًا ، المعجوة على حِدة ، وعَذَقْ [ابن] زيد على حِدة وأصنافه (٢) ثم ابِثْ إلى . ففعلت .

فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس في أعلاه أو في وسطه ثم قال : كُلْ لَلْقَوْمِ . قال : فَكَلْتُ لَهُمْ حَتَّى أَوْفَيْتَهُمْ (٣) . وبقي تمرى ، كأن لم ينقص منه شيء .

انفرد بإخراجه البخارى (٤) .

(١) صدر أهل الخندق : يريد : أنهم تركوا الطعام كما هو وقد شبعوا جميعاً .

(٢) البخارى : فقال صنف تمر ك كل شيء منه على حدة ، عَذَقَ ابن زيد على حدة والذين على حدة والمعجوة على حدة ، ثم أحضرهم حتى آتيك .

(٣) أوفيتهم : أى أعطيت كل واحد حقه كاملاً .

(٤) الحديث ذكره البخارى فى كتاب الاستقراض وأداء الديون ، مخالفاً لهذه الرواية ، ويظهر أن المؤلف رواها باللعن ، وللمحدث بقية فى البخارى ١/٣٣٦

• عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبيه قال :
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة ، فأصاب الناس
نَحْمَصَةٌ .

فاستأذن الناسُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في نَحْرَ بعضِ ظَهْرهم ،
وقالوا : يبلِّغنا الله به .

فلما رأى عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد همَّ أن
يأذن لهم في نحر بعض ظهْرهم ، قال :

يا رسول الله . كيف بنا إذا نحن لقينا القوم غدًا جِئاءَ رجالاً ؟ !
ولكن إن رأيت - يا رسول الله - أن ندعو الناسَ ببقايا أزوادهم ،
نجمعها لهم ، ثم تدعو الله فيها بالبركة ، فإن الله تعالى سيبلِّغنا بدعوتك .
أو قال : سيبارك لنا في دعوتك .

فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ببقايا أزوادهم ، فجعل الناسَ يَحْتُونُ
بالخثوة من الطعام وفوق ذلك ، وكان أعلامهم ، من جاء بصاع من تمر .
فجمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ، فدعا ما شاء الله أن
يدعو ، ثم دعا الجيشَ بأوعيتهم ، وأمرهم أن يَحْتُوا .
فأبقى في الجيشَ وعاءً ، إلا مملوءة ، وبقي مثله .

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال :
أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله . لا يلقى الله عبد مؤمن بهما
إلا حُبَّتْ عنه النار يوم القيامة .

• عن عمر بن الخطاب قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك ، قلت : يا رسول الله خرج إلينا الروم ، وهم شباع ، ونحن
جِئاء ، وأرادت الأنصار أن ينحروا نواضحهم .

فنادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس :

مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلٌ زَادٍ فَلْيَأْتِنَا .

فَفَزَرْنَا جَمِيعَ مَا جَاءُوا بِهِ ، فَوَجَدُوهُ سَبْعاً وَعِشْرِينَ صَاعاً .

فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَنْبِهِ فَقَدَعَا فِيهِ ثُمَّ قَالَ :
أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا وَلَا تَتَّبِعُوا .

فَأَخَذُوهُ فِي الْجُرْبِ وَالْفَرَاثِرِ ، حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَقْدُ قَمِيصَهُ فَيَأْخُذُ فِيهِ ،
حَتَّى صَدَرُوا ، وَإِنَّمَا نَحْنُ مَا كَانُوا يَحْزِرُونَ .

• عَنْ أَبِي إِيَّاسٍ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي غَزَاةٍ فَأَصَابَنَا جَهْدٌ حَتَّى هَمَمْنَا أَنْ نَنْحَرَ بَعْضُ ظَهْرِنَا .

فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَمَعْنَا مَزَاوِدَنَا ، فَبَسَطَ لَهُ نَطْعًا
فَاجْتَمَعَ زَادُ الْقَوْمِ عَلَى النَّطْعِ .

فَقَطَّاهُ لَتُ الْأَحْزَرَةِ ، فَإِذَا هُوَ كَرَبِضَةِ الْعَنْزِ (١) وَنَحْنُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ مِائَةً .
قَالَ : فَأَكَلْنَا حَتَّى شَبِعْنَا جَمِيعًا ، ثُمَّ حَشَوْنَا جُرْبَنَا .
انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ مُسْلِمٌ .

• عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سَلِيمٍ : لَقَدْ سَمِعْتُ
صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَعِيفًا ، أَعْرَفَ فِيهِ الْجُوعَ ، فَهَلْ عِنْدَكَ
مِنْ شَيْءٍ [قَالَتْ : نَعَمْ] (٢) .

فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خَمَارًا لَهَا ، فَلَقَّتِ الْخَبِيزَ
بِبَعْضِهِ ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ ثَوْبِي ، وَرَدَّتْنِي (٣) بَعْضَهُ ، ثُمَّ أُرْسَلْتَنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) كَرَبِضَةُ الْعَنْزِ . أَيْ : مَقْدَارُ مَسَاحَةٍ مَا تَأْوِي إِلَيْهِ مِنَ الْأَرْضِ .

(٢) مِنَ الْبُخَارِيِّ ، بَابُ عَلَامَاتِ النَّبُوَّةِ . (٣) الْبُخَارِيُّ : وَلَا تَقْنِي بَعْضَهُ .

قال : فذهبت به ، فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد
ومعه الناس ، فقامت عليهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلك أبو طلحة ؟

فقلت : نعم . قال : بطعام ؟ فقلت : نعم .

فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن معه : قوموا :

فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته .

فقال أبو طلحة : يا أم سليم ، قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالناس ، وليس عندنا من الطعام ما يطعمهم .

فقلت : الله ورسوله أعلم .

قال : فانطلق أبو طلحة ، حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأقبل أبو طلحة ورسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخلا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هلمّي (١) يا أم سليم ، ما عندك .
فأتيت بذلك الخبز .

فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففُتّ ، وعصرت أم سليم عكّة
لها فادّمتّه .

ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله أن يقول :

ثم قال : ائذن لبعثته . فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا .

فأكل القوم ، وشبعوا ، والقوم ثمانون رجلا .

(١) هلمّي . أى : لأحضري .

أخرجاه (١).

• عن أنس بن مالك قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بأهله .

قال فصنعت أُمي ، أم سليم حنيساً (٢) ، فجعلته في ثَوْر (٣) فقالت :

يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقل : بعثت بهذا إليك أُمي ، وهي تقرئك السلام وتقول لك : إن هذا لك منا قليل .

قال فذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

إن أُمي تقرئك السلام ، وتقول لك : إن هذا لك منا قليل . فقال : ضعه .

ثم قال : اذهب فادعُ فلاناً وفلاناً ، أو من لقيت . وسمي رجالاً .

قال : فدعوت من سمى ومن لقيت .

قال : قلت لأنس : كم كانوا ؟ قال : زهاء ثلاثمائة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أنس ، هاتِ الثَّور .

فدخلوا حتى امتلأت الصُفَّة والحجرة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) في باب الاطعمة من الصحيحين من رواية إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس .

(٢) قال في الصباح : (الحيس) تمر ينزع نواه ويدق مع أقط ويسجنان بالسن ثم يدلك باليد حتى يبق كالثريد وربما جعل معه سويق اهـ . ومنه في الصباح والقاموس .

(٣) الثور : إناء من صفر أو حجارة : ورواية البخاري : « في برمة » .

ايتخلف عشرة عشرة ، لياً كل كل إنسان مما يليه .
قال : فأكلوا حتى شبعوا ، وخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى
أكلوا كلهم .

ثم قال : يا أنس ارفع .

فما أدرى حين وُضعت [كان (١)] أكثر أم حين رُفعت ؟ !

• عن عبد الرحمن بن أبي بكر أنه قال : كنا مع النبي صلى الله
عليه وسلم ثلاثين ومائة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هل مع أحد
منكم طعام ؟

فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه ، فُتِحَ .

ثم جاء رجل مشرك مُشْعَانٌ (٢) طويل ، بغنم يسوقها .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أبيعاً أم عطية ؟ أو قال : هبة ؟
قال : بل بيع .

فاشترى منه شاةً فصُنعت .

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بسواد البطن أن يُشَوَّى .

قال : وأيم الله ما من الثلاثين والمائة ، إلا قد حَزَّ رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم حَزَّةً من سواد بطنها ، إن كان شاهداً أعطاه [إياه] (٣) وإن
كان غائباً خبأ له . قال : وجعل منها قصعتين .

(١) من اللواهب .

(٢) اللعنان : التائر الرأس .

(٣) من اللواهب .

قال : فأكلنا أجمعون ، وشبعنا ، وفضل في القصةين (١) ، فحملناه على بعير . أو كما قال .

أخرجاه .

• عن علي رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بني عبد المطلب ، ثم دعا بُعس (٢) فشربوا حتى رووا ، وبقي الشراب كأنه لم يُمسَّ أوله بشرب ، فقال :

يا بني عبد المطلب ، إني بُعثت إليكم خاصة ، وإلى الناس عامة ، وقد رأيتم مني هذه الآية ، فأبكم بيا يعني على أن يكون أخى وصاحبي ؟

قال : فلم يقم إليه أحد . قال : فقامت إليه ، وكنت أصغر القوم .

قال : فقال : اجلس . ثم قال : ثلاث مرات ، كل ذلك أقوم إليه ، فيقول لي : اجلس .

حتى إذا كانت الثالثة ، ضرب بيده على يدي .

• عن سمرة بن جندب قال : بينما نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم أتيت بقصعة فيها ثريد . قال : فأكل ، وأكل القوم ، فلم يزالوا يتداولونها إلى قريب من الظهر ، يأكل كل قوم ، ثم يحیی قوم فيتعاقبونه .

قال : قال له رجل : هل كانت تُمَدُّ بطعام ؟

قال : أمّا من الأرض فلا [إلا] أن تكون كانت تُمدُّ من السماء .

• عن أبي أيوب الأنصاري قال : صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر طعاما ، قدر ما يكفيهما ، فأتيتهما به .

(١) رواية للمواهب : ففاضت القصعتان .

(٢) قال في الصحاح : (العس) القدح العظيم والرفد ، أكبر منه ، وجمعه عساساه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب ، فادع لي ثلاثين من
أشراف الأنصار .

قال : فشق ذلك عليّ ، ما عندي ما أزيده .

قال : وكأني تناقلت .

فقال : اذهب فادع لي ثلاثين من أشراف الأنصار .

فدعوتهم فجاءوا فقال : اطعموا .

فأكلوا حتى صدّروا ، ثم شهدوا أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ثم بايعوه قبل أن يخرجوا .

ثم قال : اذهب فادع لي تسعين من الأنصار .

قال : فأنا أخوف بالتسعين والستين مني بالثلاثين .

قال : فدعوتهم ، فأكلوا حتى صدّروا ، ثم شهدوا أنه رسول الله
وبايعوه قبل أن يخرجوا .

قال : فأكل من طعامي ذلك مائة وثمانون رجلاً ، كلهم من الأنصار .

• عن أبي هريرة قال : نزل بالنبي صلى الله عليه وسلم ضيف ، فالتمس
له شيئاً يطعمه ، فلم يجد له شيئاً ، ثم وجد لقمة ، فجزأها أجزاء ، ثم أتاه بها
فقال : سمّ وكل .

فأكل وفضلت فضلة .

فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم : إنك لرجل صالح .

الباب الرابع

في ذكر معجزة في تكثير السمن

عن أم أنس بن مالك قالت : كانت لي شاة فجعلت من سمنها ما ملأت به عُكَّةً^(١) ، فقالت : يا زبيبة ، امضي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه العكة يأتدّم بها .

ففضت بها إليه فقالت : يا رسول الله ، إن أم سليم ، أرسلت إليك بهذه العكة لتأتدّم بها . فقال : خذوها فقرعوها وردوها عليها .

فانصرفت بها ، وأم سليم غائبة عن المنزل ، فعلقها على وتد . فلما رجعت أم سليم ، رأت العكة مملوءة سمنًا تقطر .

فقالت : يا زبيبة ، ألم أتقدم إليك بمحمل العكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقالت : لقد حملتها ، وإن لم تصدقني فاسأليه .

ففضت فقالت : يا رسول الله ، كنت وجهت إليك بعكة سمن لتأتدّم بها . قال : قد وصلت .

(١) قال في الصحاح (العكة) بالضم : آنية السمن . قال ابن السكيت : يعال مثل الشكوة مما يكون فيه السمن عكة . والجمع المكك والمكاك . ٨١ . قلت : والشكوة وعاء من آدم للماء واللبن . والجمع شكوات وشكاه . ٨١ . من هامش الصحاح .

قالت : والذي بعثك بالهدى ودين الحق ، لقد وجدتُها مملوءة سمناً تقطر .

قال : أفتعجبين ، أن أطمعك الله كما أطمعت نبيّه ؟ اذهبي فكلّي واطعمي .

فانصرفت ففرغت منها في عكة لنا ، وأبقيت ما تأدّنا به شهراً أو شهرين .

• عن جابر أن أم مالك الفهرية ، كانت تهدي في عكة لها سمناً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فبينما بنوها يسألونها الإدام وليس عندها شيء ، عدت إلى عكّتها التي كانت تهدي فيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدت فيها سمناً ، فما زال يأدم لها أدامَ يتيها حتى عصرته .

فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : أعصرتيه ؟ قالت : نعم .

قال : لو تركتيه ما زال ذلك لك مقياً .

انفرد بإخراجه مسلم .

الباب الخامس

في معجزة في تكثير التمر

• عن أبي هريرة قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بتمرات ، فقلت : ادع الله لي فيهن بالبركة .

قال : فصفن بين يديه ، ثم دعا وقال لي : اجملهن في مزودك ، وأدخل يدك ولا تنثره .

قال : فحملتُ منه كذا وكذا وسقاً في سبيل الله ، وآكل وأطعم ، وكان لا يفارق حقوى^(١) ، فلما قتل عثمان ، انقطع حقوى فسقط .

• عن أبي هريرة قال : أصبتُ بثلاث : موت النبي صلى الله عليه وسلم وكنت صويحبه وخويدمه ، ومقتل عثمان ، والمزود . قالوا : وما المزود ؟

قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابنا للناس تخمصة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة هل من شيء ؟

قلت : نعم شيء من تمر في مزود . قال : فأتني به .

فأتيته به ، فأدخل يده ، فأخرج قبضة فبسطها ثم قال : ادع لي عشرة . فدعوت له عشرة ، فأكلوا حتى شبعوا .

ثم أدخل يده ، فأخرج قبضة فبسطها ، ثم قال : ادع لي عشرة .

(١) الحقو : موضع شد الإزار .

فدعوت له عشرة ، فأكلوا حتى شبعوا .
فما زال يصنع ذلك ، حتى أطعم الجيش كله وشبعوا .
ثم قال لي : خذ ما جئت به ، وأدخل يدك ، واقتصر ولا تسكنه .
قال أبو هريرة : فقبضت على أكثر ما جئت به .
أكلت منه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأطعمت .
وحياة أبي بكر ، وأطعمت .
وحياة عمر ، وأطعمت .
وحياة عثمان ، وأطعمت .
فلما قتل عثمان ، انتهب يتي ، فذهب المزود .
• عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة
وأصحابهم عَوَزٌ (١) من الطعام ، فقال : يا أبا هريرة ، عندك شيء ؟
قلت : نعم شيء من تمر في مزود لي . قال جئ به .
فجئت به على النطع فبسطته ، فأدخل يده ، فقبض على التمر ، فإذا هو
واحد وعشرون تمرة ، ثم قال : بسم الله .
فجعل يضع كل تمرة وبسّى ، حتى أتى على التمر ، فقال به هكذا ، فجعله .
فقال : ادع فلاناً وأصحابه .
فدعوت فلاناً وأصحابه ، فأكلوا وشبعوا وخرجوا .
ثم قال : ادع فلاناً وأصحابه . فأكلوا وشبعوا وخرجوا .
وفضل تمر ، فقال لي : اقعد . فقعدت ، فقال : كل . فأكلت وأكل .

(١) عوز . أى : احتياج وانقار .

وفضل تمر فأدخله في المزود فقال :

يا أبا هريرة ، إذا أردت شيئاً ، فأدخل يدك ، ولا تكفأ ، فيكفأ عليك .
قال : فما كنت أريد تمرأ إلا أدخلت يدي فأخذت ، ولقد جهزت
منه خمسين وسقاً في سبيل الله ، وكان معلقاً خلف رحلي ، فوقع زمن
عثمان ، فذهب .

• عن ابنة بشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت : بعثني أمي
عمرّة بنت رواحة ، فأعطتني تمرأ في ثوبي فقالت : أي بنية ، اذهبي إلى أبيك
وخالك ، عبد الله بن رواحة بغدائهما .

فانطلقت بذلك ، فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس
أبي وخالى .

فقال : تعالى يا بنية ، ما هذا معك ؟

قلت : يا رسول الله ، هذا تمر بعثت به أمي إلى أبي بشير بن سعد ،
وخالى عبد الله بن رواحة ، يتفديان به .

قال : هاتيه . قالت : فصبيته في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فاملاهما .

وأمر بشوب ، فبسط ، ثم دحى التمر عليه ، ثم قال للإنسان :

اصرخ في أهل الخندق : هلموا إلى الغداء .

فاجتمع أهل الخندق فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد ، حتى صدر عنه
أهل الخندق ، وإنه ليستقط من أطراف الثوب .

الباب السَّادِسُ

في معجزته في تكثير الماء

• عن عِزْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ : كُنَّا فِي سَفَرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنَّا أَسْرَيْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا فِي آخِرِ اللَّيْلِ ، وَقَفْنَا وَقْعَةً ، وَلَا وَقْعَةً أَحَلَى عِنْدَ الْمَسَافِرِ مِنْهَا ، فَمَا أَبْقَطْنَا إِلَّا حَرُّ الشَّمْسِ .

فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ اسْتَيْقِظَ فَلَانَ ثُمَّ فَلَانَ ، كَانَ يَسْمِيهِمْ أَبُو رَجَاءٍ ، وَنَسِيهِمْ عَوْفٌ ، ثُمَّ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ الرَّابِعُ .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَامَ لَمْ يُوقِظْ حَتَّى يَكُونَ هُوَ يَسْتَيْقِظُ ، لِأَنَّا لَا نَدْرِي مَا يَحْدُثُ لَهُ فِي نَوْمِهِ .

فَلَمَّا اسْتَيْقِظَ عَمْرٌ ، وَرَأَى مَا أَصَابَ النَّاسَ ، وَكَانَ رَجُلًا أَجُوفَ جَلِيدًا ، قَالَ : فَكَبَّرَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ ، حَتَّى اسْتَيْقِظَ بِصَوْتِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَلَمَّا اسْتَيْقِظَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَكُّوا إِلَيْهِ الَّذِي أَصَابَهُمْ ، فَقَالَ : لَا ضَيْرَ ، أَوْ لَا تَضِيرَ ، ارْتَحِلُوا .

فَارْتَحَلُوا فَسَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ ، ثُمَّ نَزَلَ فَدَعَا بِالْوُضُوءِ (١) فَتَوَضَّأَ وَنَوَدَى بِالصَّلَاةِ فَصَلَّى بِالنَّاسِ .

فَلَمَّا انْتَبَلَ مِنْ صَلَاتِهِ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مَعْتَزِلٍ لَمْ يَصِلْ مَعَ الْقَوْمِ ، قَالَ : مَا مَعَكَ يَا فَلَانُ ، أَمْ أَنْ تَصَلِّيَ مَعَ الْقَوْمِ ؟

(١) أَيْ : بِالْمَاءِ .

فقال : يا رسول الله ، أصابتني جفابة ولا ماء .

قال : عليك بالصَّعِيد .

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشكا إليه الناسُ العطش .
فنزّل . فدعا فلاناً ، كان يسمّيه أبو رجاء ، ونسيه عوف ، ودعا عليّاً فقال :
اذهبوا فابغيا (١) لنا الماء .

قال : فانطلقا فلقيا امرأة بين مَرَادَتَيْن (٢) أو سَطِيحَتَيْن (٣) من ماء
على بغير ، فقالا لها : أين الماء ؟ فقالت : عهدي بالماء أمس هذه الساعة ،
ونفرنا خلف .

فقالا لها : انطلقي إخن . قالت : إلى أين ؟

قالا : إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت : هذا الذي يقال له الصابي ؟ قالا : هو الذي تغنين ، فانطلقي .

فجاءا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدماهما الحديث ، فاستنزلهما
عن بغيرها (٤) ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإناء ، فأفرغ منه من
أفواه المَرَادَتَيْن أو السَطِيحَتَيْن ، وأوكأ (٥) أفواههما ، وأطلق العزالي (٦) ،
ونودي في الناس :

أن اسقوا ، واستقوا .

(١) فابغيا . أى : اطلبوا . (٢) المَرَادَةُ : القرية للتخذة للماء .

(٣) السَطِيحَةُ : تشبه للزادة ، أو وعاء من جلدين سطح أحدهما على الآخر .

(٤) أى اطلبوا منها النزول ، وقد استجازوا أخذ ماؤها لأنها كانت حرية ،
أو لضرورة العطش .

(٥) أوكأ . أى : ربط أفواه القريتين برباطهما .

(٦) العزالي : جمع عزلى ، وهى مصب الماء من الراوية .

فَسَقَى مِنْ شَاءَ وَاسْتَقَى مِنْ شَاءَ ، وَكَانَ آخِرَ ذَلِكَ أَنْ أُعْطِيَ الَّذِي أَصَابَتْهُ
الْجَنَابَةُ إِنَاءً مِنْ مَاءٍ ، فَقَالَ : اذْهَبْ فَأَفْرِغْهُ عَلَيْكَ .

قَالَ : وَهِيَ قَائِمَةٌ تَنْظُرُ مَا يُفْعَلُ بِمَائِهَا .

قَالَ : وَإِيْمَ اللَّهِ ، لَقَدْ أَقْلَعْتُ عَنْهَا وَإِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْنَا ، أَنَّهَا أَشَدُّ مِثْلَةً مِنْهَا
حِينَ ابْتَدَأَ فِيهَا .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اجْمَعُوا لَهَا .

فَجَمَعُوا لَهَا مِنْ بَيْنِ عَجْوَةٍ وَدَقِيقَةٍ وَسَوِيقَةٍ ، حَتَّى جَمَعُوا لَهَا طَعَاماً كَثِيراً ،
وَجَعَلُوهُ فِي ثَوْبٍ ، وَحَمَلُوهَا عَلَى بَعِيرِهَا ، وَوَضَعُوا الثَّوْبَ بَيْنَ يَدَيْهَا .

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَعْلَمِينَ وَاللَّهِ مَا رَزَيْنَا^(١) »
مِنْ مَائِكَ شَيْئاً ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي سَقَانَا » .

قَالَ : فَاتَتْ أَهْلَهَا وَقَدْ احْتَبَسَتْ عَنْهُمْ ، فَقَالُوا : مَا حَبَسَكَ يَا فُلَانَةُ ؟

قَالَتْ : الْعَجَبُ ! لَقِيتُنِي رَجُلَانِ ، فَذَهَبَا بِي إِلَى هَذَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِيُّ ،
فَفَعَلَ بِمَائِي كَذَا وَكَذَا ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَسْحَرُ مَنْ بَيْنَ هَذِهِ وَهَذِهِ .

وَقَالَتْ بِأَصْبَعِهَا السَّبَابَةَ وَالْوَسْطَى فَرَفَعَتْهُمَا إِلَى السَّمَاءِ . تَعْنِي السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ .
أَوْ إِنَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ حَقًّا .

قَالَ : فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُغَيِّرُونَ عَلَى مِنْ حَوْلَهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا يَصِيبُونَ
الصَّرْمَ^(٢) الَّذِي هِيَ مِنْهُ ، فَقَالَتْ يَوْمًا لِقَوْمِهَا : مَا أَرَى أَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ
يَدْعُونَكُمْ عَمْدًا ، فَهَلْ لَكُمْ فِي الْإِسْلَامِ ؟

(١) رَزَيْنَا : نَقَصْنَا .

(٢) الصَّرْمُ : الْقِطْعَةُ مِنَ الْإِبِلِ مَا بَيْنَ الْعِشْرَةِ إِلَى الْآرِبِينَ . ١٠ هـ . لِلصَّبَاحِ .

فأطاعوها فدخلوا في الإسلام .
أخرجاه (١) .

• عن البراء قال : انتهينا إلى الحديبية وهي بئر قد نزلت ، ونحن أربع عشرة مائة . قال : فنزع منها دلواً ، فتمضمض النبي صلى الله عليه وسلم منه ، ثم مجّه فيه ودعا . قال : فروينا وأروينا .

• عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمان الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه .

حتى إذا كانوا بذى الحليفة ، قلد رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى وأشعره ، وأخرم بالعمرة ، فسار يعدل بهم ، حتى نزل بأقصى الحديبية على تمد (٢) قليل الماء ينبرضه الناس تبرّضاً (٣) فلم يلبثه الناس أن نزحوه .

فشكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه .

قال : فوالله ما زال يجيش لهم بالرّى ، حتى صدروا عنه .

• عن البراء قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير . فأتينا على ركيّ زمة ، يعنى قليلة الماء فنزل فيها ستة ، أنا سادسهم فأدليت إلينا دلو ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على شقة الركيّ ، فجعلنا فيها نصفها ، أو قريب ثلثها .

فرُفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغمس يده فيها وقال ما شاء الله أن يقول .

(١) البخارى في التيمم وعلامات النبوة . ومسلم في الصلاة من حديث عوف ، حدثنا أبو رجاء .
(٢) التمد : الماء القليل .

(٣) ينبرضه الناس : يأخذونه قليلاً قليلاً . والبرض : الشيء القليل .

فعادت إلينا الدلو بماء فيها .

قال : فلقد رأيت أحداً أخرج بثوب خشية الفرق .

قال : ثم ساحت ، حتى جرت نهراً .

• عن زياد بن الحارث الصُّدائي قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فبايعته على الإسلام ، ثم أتى وفدٌ من قومي بإسلامهم ، فقالوا : يا رسول الله ، إن لنا بئراً ، إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها فاجتبعنا إليه .

فإذا كان الصيف ، قلّ ماؤها ، ففترقنا على مياه حولنا .
وإننا لا نستطيع أن نتفرق اليوم ، كلٌّ من حولنا لنا عدو .
فادع الله أن يسعنا ماؤها .

فدعا بسبع حصيات ، ففرقهن في يده ، ودعاهم قال :
إذا أتيتموها ، فألقوها واحدة واحدة ، واذكروا اسم الله تعالى .
فاستطاعوا أن ينظروا إلى قعرها بعد .

• عن أبي إياس قال : جاء رجل يداوة فيها نقطة من ماء ، فأفرغها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قدح ، فتوضأنا كلنا نُدَغِغُهُ دَغَغَةً (١)
أربع عشرة مائة .

ثم جاء بعد ، ثمانية ، فقالوا . هل من طهور ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد فرغ الوضوء .
انفرد بإخراجه مسلم .

• عن أبي قتادة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
إنكم تسيرون عشيّكم وليتكم ، وتأتون الماء غداً ، إن شاء الله .

(١) دغغ الماء . إذا دغقه وصبه صباً كثيراً واسماً .

فانطلق الناس لا يَلْوِي أحد على أحد .

فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ حَتَّى ابْهَارَ اللَّيْلِ (١) وَأَنَا إِلَى جَنْبِهِ .

فَنَمَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عَنْ رَاحِلَتِهِ .

فَأْتَيْتُ فَدَعَمْتُهُ قَبْلَ أَنْ أَوْقُظَهُ (٢) حَتَّى اعْتَدَلَ عَلَى رَاحِلَتِهِ .

ثُمَّ سَارَ حَتَّى تَهَوَّرَ اللَّيْلُ ، فَقَالَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَدَعَمْتُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَوْقُظَهُ حَتَّى اعْتَدَلَ .

ثُمَّ سَارَ حَتَّى كَانَ مِنْ آخِرِ السَّحَرِ ، مَا مَيْلَةً أَشَدَّ مِنْ [الْمَيْلَتَيْنِ] (٣) الْأُولَيْنِ حَتَّى كَادَ يَنْجَفِلُ (٤) ، فَأْتَيْتُهُ فَدَعَمْتُهُ .

فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قُلْتُ : أَبُو قِيَادَةَ .

قَالَ : مَتَى كَانَ هَذَا مَسِيرُكَ مَعِيَ ؟

قُلْتُ : مَا زَالَ هَذَا مَسِيرِي مِنْذُ اللَّيْلَةِ .

قَالَ : حَفِظَكَ [اللَّهُ] بِمَا حَفِظْتَ بِهِ نَبِيَّهِ .

ثُمَّ قَالَ : هَلْ تَرَانَا نَخْفَى عَلَى النَّاسِ ؟ ثُمَّ قَالَ : هَلْ تَرَى مِنْ أَحَدٍ ؟

قُلْتُ : هَذَا رَاكِبٌ . ثُمَّ قُلْتُ : هَذَا رَاكِبٌ آخَرٌ ، حَتَّى اجْتَمَعْنَا ، فَكُنَّا سَبْعَةً رَاكِبِينَ .

(١) ابهار : بالوحدة وتشديد الراء : ايض . وقيل : اتصف أو ذهب معظله ، إذ بهرة كل شيء أكثره . وفي القاموس : ابهار الليل : اتصف ، أو تراكت ظلمته أو ذهب عامته وبقي نحو ثلثه .

(٢) الرواية كما في صحيح مسلم : من غير أن أوقظه .

(٣) من صحيح مسلم . (٤) ينجفل أى : يزول عن راحلته .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطريق فوضع رأسه [ثم] قال :
احفظ علينا صلاتنا (١) .

فكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس
في ظهره فقننا فزعين ، ثم قال : اركبوا .

فركبنا فسرنا حتى إذا ارتفعت الشمس نزل فدعا بميضأة كانت معي
فيها شيء من ماء ، فتوضأ منها (٢) وبقي فيها شيء من ماء .

ثم قال لأبي قتادة : احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نيا .

ثم أذن بلال بالصلاة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ،
ثم صلى الغداة ، فصنع كما [كان] يصنع كل يوم ، وركب وركبنا معه .

فجعل بعضنا يهمس إلى بعض : ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا ؟
فقال (٣) : أما الحكم في أسوة ؟ ثم قال :

أما إنه ليس التفريط في النوم ، إنما التفريط على من لم يصل الصلاة
حتى ينحى ، وقت الصلاة الأخرى ، فمن فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها .

فاتبيننا إلى الناس وهم يقولون : يا رسول الله ، هلكننا عطشاً .
فقال : لا هلك عليكم .

ثم قال : أطلقوا لي عَمْرَى (٤) . ودعا بالميضأة (٥) .

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب وأبو قتادة يستقيهم .

(١) صحيح مسلم . احفظوا . (٢) زاد في مسلم وضوءاً دون وضوء .

(٣) صحيح مسلم : ثم قال . (٤) النمر : القدح الصغير .

(٥) قال في الصباح : والميضأة : بكسر اللام مهموز ويمد ويقصر : للطهارة
يتوضأ منها (يعنى كالإبريق ونحوه) وزاد في القاموس : للوضوء فيه ومنه .

فلم يقد أن رأى الناس ماءً في الميضة ، فتكأبوا (١) عليها .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحسنوا أئلاً كلكم سبزو .
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب وأسقيهم ، حتى ما بقى غيرى
وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ثم صب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى : اشرب .
قلت . لا أشرب حتى يشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال : إن ساقى القوم آخرهم شرباً .
فشربت وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى الناس [الماء]
جامين رواء (٢) .

(١) مسلم : تكأبوا . قلت : أى : ازدحموا .

(٢) جامين : نشاطاً مستريحين . هذا والحديث أخرجه مسلم فى صحيحه ،
فى كتاب الصلاة فى قضاء الفاتة ، واستحباب تعجيله ، شرح النووى على مسلم ٨٣/٥

الباب السابع

في ذكر نبع الماء^(١)

من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم

• عن أنس بن مالك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان بالزَّوْرَاءِ
فَأَتَى بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ لَا يَفْغَرُ أَصَابِعَهُ ، فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَتَوَضَّأُوا .
فَوَضَعَ كَفَّهُ فِي الْمَاءِ ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، وَأَطْرَافِ
أَصَابِعِهِ ، حَتَّى تَوْضَأَ الْقَوْمُ .
فَقُلْتُ لِأَنْسَ . كَمْ كُنْتُمْ ؟ قَالَ : كُنَّا ثَلَاثُمِائَةٍ .
أَخْرَجَاهُ .

• عن عبد الله قال : يَنْبُتُ نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اطْلُبُوا مِنْ مَعِهِ
مَاءً ، فَفَعَلْنَا .

(١) قال القرطبي : قصة نبع الماء من بين أصابعه الكريمة قد تكررت منه
صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن ، في مشاهد عظيمة ، ورويت من طرق كثيرة
يفيد مجموعها ، العلم القطعي للاستفاد من التواتر المعنوي .
ولم يسمع بمثله هذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم ، حيث نبع الماء
من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه .
وذكر المزي صاحب الشافعي ، أن هذا أبلغ من نبع الماء من الحجر بضرب
موسى ، لأن الحجر مألوف منه خروج الماء ، ولا كذلك البدن .

فَأَتَى بِمَاءٍ ، فَصَبَهُ فِي إِثْنَاءِ ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ ، فَجَعَلَ الْمَاءَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ .

ثُمَّ قَالَ : حَتَّى عَلَى الطَّاهُورِ الْمُبَارَكِ وَالْبَرَكَةِ مِنَ اللَّهِ .
فَلَا تُبْطِئُ مِنْهُ ، وَاسْتَقَى النَّاسُ (١) .

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .

• عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ فِي الْعَسْكَرِ مَاءٌ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ . يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ فِي الْعَسْكَرِ مَاءٌ .

قَالَ : هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟

قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَتْنِي بِهِ .

قَالَ : فَأَتَاهُ بِإِثْنَاءٍ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ قَلِيلٍ .

قَالَ : فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَابِعَهُ فِي فَمِ الْإِثْنَاءِ ، وَفَتَحَ أَصَابِعَهُ ، فَانْفَجَرَتْ مِنْ أَصَابِعِهِ عَيُونَ ، وَأَمَرَ بِلَالٍ فَقَالَ : نَادِ فِي النَّاسِ الْوُضُوءَ الْمُبَارَكَ .

• عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ ، فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَأَتَى بِتَوْرٍ (١) مِنْ مَاءٍ .

فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ يَدَهُ ، وَفَرَّجَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ، قَالَ :

فَرَأَيْتَ الْمَاءَ يَتَفَجَّرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) اسْتَقَى النَّاسُ . أَيْ شَرَبُوا .

(٢) قَالَ فِي الْقَامُوسِ : التَّوْرُ : إِثْنَاءٌ يَشْرَبُ فِيهِ . زَادَ فِي الْمَصْبُوحِ (تَذَكَّرَهُ الْعَرَبُ) وَالْجَمْعُ أَتْوَارٌ .

فقال : حَيَّ عَلَى الْوُضُوءِ ، والبركة من الله تعالى .

قال الأعمش : فأخبرني سالم بن أبي الجعد قال : قلت لجابر بن عبد الله :
كم كان الناس يومئذ ؟ قال : كنا ألفاً وخمس مائة .
أخرجه البخارى .

عن جابر قال : عطش الناس يوم الحديبية ، ورسول الله صلى الله عليه
وسلم بين يديه ركوة (١) ، فتوضأ منها ، ثم أقبل على الناس نحوه فقال :
مالكم ؟

قالوا : يا رسول الله ، ليس عندنا ما يتوضأ به ، ولا نشرب إلا ما في
ركوتك .

فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة ، فجعل الماء يفور من بين
أصابعه ، كأمثال العين .
قال : فشربنا وتوضأنا .

قلت لجابر : كم كنتم يومئذ ؟
قال : لو كنا مائة [ألف] لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة .
أخرجاه .

عن جابر قال : أتينا المسكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر :
ناد ، توضأوا . فقال : ألا وضوء إلا وضوء .

قلت : يا رسول الله ما وجدت في الركب من قطرة .

(١) قال في الصباح : الركوة معروفة وهى دلو صغيرة والجمع ركاء . مثل كلاب
وكلاب اه . يعنى : السطل أو الجرذل الصغير على التعبير العامى .

وكان رجل من الأنصار يُبَرِّد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الماء في أشجَاب له ، فقال لى : انطلق إليه .

فانطلقت ، فلم أجد إلا قطرة في عزلاء شَجْبٍ (١) لو أنى أفرغه لشربه يابسه .

فقال : اذهب فأتنى به . فأخذه بيده .

فجعل يتكلم بشيء ما أدرى ما هو ، ويغمزه بيده ، ثم أعطانيه وقال : يا جابر ، ناد بِجَفْنَةٍ (٢) . فقلت : يا جفنة الرِّكَب . فَأَتَيْتُ بِهَا تُحْمَل . فوضعتها بين يديه ، فقال بيده في الجفنة ، فبسطها وفرَّق بين أصابعي ثم وضعها في قعر الجفنة وقال : يا جابر صُبَّ عَلَى ، وقل بسم الله . فصبيت عليه ، وقلت : بسم الله .

فرأيت الماء يفور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ، ثم فارق الجفنة ودارت حتى امتلأت فقال : يا جابر ، ناد : من كان له حاجة بماء . فَأَتَى النَّاسَ فَسَقَوْا ، حَتَّى رَوَوْا .

ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه من الجفنة (٣) .

(١) العزلاء : قم القرية الأسفل ، أو مصب الماء من الزاوية . والشجيب : عود يعلق عليه القرب والثياب والأواني بالماء .

(٢) قال في القاموس : الجفنة : القصعة . ومثله في الصعاح . والجمع : جفنان وجفنان بفتح الجيم والقاء والنون .

(٣) أخرجه مسلم في غزوة بواط مفصلاً مخالفاً لما هنا .

الباب الثامن

في معجزة في تكثير اللبن

عن أبي هريرة قال : والله إني كنت لأعتمد على كبدي بالأرض^(١) من الجوع ، ولقد قدمت على طريقهم الذي يخرجون منه .
فرَّ أبو بكر ، فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سأله ، إلا لِيَسْتَتْبِعَنِي^(٢) ، فلم يفعل .

فرَّ عمر ، فسألته فلم يفعل .

فرَّ أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فعرف ما بوجهي وما في نفسي ، فقال : يا أبا هريرة . قلت : لَّبَّيْكَ يا رسول الله . قال الحق . فاتبعته ، فاستأذنت فأذن لي ، فوجد لبنا في قدح فقال : من أين لكم هذا اللبن ؟ فقالوا : أهدها فلان ، أو آل فلان^(٣) .

قال : أبا هريرة . قلت لَّبَّيْكَ يا رسول الله . قال : انطلق إلى أهل الصُّفَّة .

قال : وأهل الصُّفَّة أضياف الإسلام ، لم يأووا إلى أهل ولا مال .

إذا جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية أصاب منها ، وبعث إليهم منها .

(١) دلائل النبوة للبيهقي « لأعتمد بكبدي على الأرض » وفي أبي نعيم : على

كبدى من الجوع .

(٢) أى ليطلب منى أن أذهب معه إلى بيته . (٣) أبو نعيم : فلان أو فلانة .

وإذا جاءته الصدقة ، أرسل بها إليهم ، ولم يُصِبْ منها .
قال : فأخزنتي (١) ذلك : وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربةً
أتقوى بها بقية يومى وليتى . فقلت : أنا الرسول (٢) إذا جاء القوم كنت
أنا الذى أعطيهم ، فما يبقى لى من هذا اللبن .

ولم يكن بدٌّ من طاعة الله وطاعة رسوله ، فانطلقت ، فدعوتهم ، فأقبلوا
فاستأذنوا ، فأذن لهم ، فأخذوا بحالهم من البيت ، ثم قال : أبا هريرة ،
خذ فأعطهم .

فأخذت القدح ، فجعلت أعطيهم .
فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى ، ثم يردُّ القدح .
وأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى ، ثم يرد القدح ، حتى أتيت
على آخرهم .

ودفعته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فأخذ القدح ، فوضعه فى يده وبقي فيه فضلة .
ثم رفع رأسه ، فنظر وتبسم وقال : أبا هريرة .
قلت : لبيك يا رسول الله .
قال : بقيتُ أنا وأنت . فقلت : صدقت يا رسول الله .
قال : اقمدا واشرب . قال : فقمعدت فشربت .
ثم قال لى : اشرب . فشربت .

(١) أبو نعيم : فساءنى ذلك .
(٢) أبو نعيم : أنا والرسول فإذا جاءوا أمرنى فكنت أنا أعطيهم . وفى
الخصائص . وإنى لرسول .

فما زال يقول اشرب واشرب حتى قلت :
لا والذي بعثك بالحق ، ما أجد لها في مسلكا .
قال : ناولني القدح . فرددت إليه القدح ، فشرب الفضلة .
• عن نافع - وكانت له صُحبة - قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، وكنا زُهَّاء أربع مائة رجل ، فنزلنا في موضع ليس فيه ماء ، فشق ذلك على أصحابه ، فقالوا : يا رسول الله ، العطش .
قال : فجاءت شويهة لها قرنان ، فقامت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلبها ، فشرب حتى روي وسقى أصحابه حتى رَوُوا .
ثم قال : يا نافع ، املكها الليلة وما أراك تملكها .
قال : فأخذتها فوثقت لها وتدًا ، ثم ربطتها بحبل .
ثم قت في بعض الليل فلم أر الشاة ، ورأيت الحبل مطروحا .
فجئت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته من قبل أن يسألني .
فقال لي : يا نافع ، ذهب بها الذي جاء بها .

الباب التاسع

في ظهور معجزته بمجىء الشجر إليه (١)

• عن يعلى بن مرة الثقفي قال : بيننا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا منزلاً فقام النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الأرض ، حتى غشيته ، ثم رجعت إلى مكانها .

فلما استيقظ ، ذكرت ذلك له فقال : هي شجرة استأذنت ربها عز وجل ، في أن تسلم عليّ ، فأذن لها (٢) .

• عن يعلى بن مرة قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إلى الجبانة (٣) حتى أبرزنا .

قال : ويحك ، انظر هل ترى من شيء يواريني ؟

قلت : ما أرى شيئاً يواريك ، إلا شجرة ، ما أراها تواريك .

(١) ليس هناك في رواية تلك الأخبار مصادمة للعقل أو جنوح إلى الخرافة ، فهي أمور ممكنة لقدرة الله عز وجل والقصد بها إكرام رسوله ، لكنها ليست ذات شأن بالنسبة لدعوة الإسلام وإثبات نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي ليست متواترة ، ولا يلزم الإيمان بها إلا بعد ثبوت صحة النقل .

(٢) رواه البغوي في شرح السنة . والطبراني وأحمد والبيهقي .

(٣) قال في الصباح : الجبانة : مشغل الباء وثبوت الهاء أكثر من حذفها ،

هي : للصلى (بقشديد اللام) في الصحراء .

وربما أطلقت على المقبرة لأن الصلى - غالباً - تكون في المقبرة .

قال : فما قُربها ؟ قلت : شجرة مثلها ، أو قريباً منها .

قال : فاذهب إليهما فقل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركما ، أن تجتمعا بإذن الله تعالى .

قال : فاجتمعتا . فبرز لحاجته ، ثم رجع فقال :

اذهب إليهما فقل لهما : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركما أن ترجع كل واحدة منكما إلى مكانها ، فرجعت .

• عن جابر بن عبد الله قال : سِرْنَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا وادياً أْفَيْحَ (١) ، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته ، فاتبعته بإداوة (٢) من ماء : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم ير شيئاً يستتر به :

وإذا شجرتان بشاطئ الوادي .

فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداها .

فأخذ بفصن من أغصانها فقال : اتقادي معي ياذن الله تعالى .

فاتقادت معه ، كالبعير المَخْشُوش (٣) الذي يصانع قائده .

حتى أتى الشجرة الأخرى ، فأخذ بفصن من أغصانها فقال :

اتقادي كَلَى ياذن الله تعالى . فاتقادت معه كذلك ، حتى إذا كان

بِالنصف (٤) مما بينهما ، لأم بينهما فقال : التثما ياذن الله تعالى على . فالتأمتا .

(١) أْفَيْح . أى : واسع .

(٢) قال في الصباح : الإداوة (بكسر الهمزة) المطهرة وجمعها : أداوى بفتح الواو . هـ . قلت : معناه في لثنتنا الدارجة : الإبريق ونحوه .

(٣) المَخْشُوش : الذي وضع له الخشاش وهو عود يجعل في فم البعير لينقاد بسهولة .

(٤) إذا كان بالنصف . يعنى : وسط الشجرتين .

قال جابر : نخرجت أحضر (١) مخافة أن يحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقربي فيبتعد ، فجلست فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً ، وإذا الشجرتان قد افترقا ، فقامت كل واحدة منهما على ساق (٢) .

• عن جابر قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحشنا حتى نزلنا موضعاً ليس فيه شجر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جابر اتبعني بماء . فاتبعته حتى اتبينا إلى موضع فيه شجر .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جابر ، إيت هاتين الشجرتين فقل لهما :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكما انضمّا .

فأقبلتا تخذّان الأرض خدّاً حتى انضمّتيا .

فتوضّأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال :

يا جابر إيتهما ، فقل لهما : يعودان إلى موضعهما .

• عن ابن بُرَيْدَةَ عن أبيه قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، قد أسلتُ فأرني شيئاً أزددُ به يقيناً .

قال : فما الذي تريد ؟ قال : ادع تلك الشجرة فلتأتك .

قال : اذهب فادعها .

فأتاها الأعرابي فقال : أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأتت على جانب من جوانبها فمطعت عروقها ، ثم مالت على الجانب (٣)

(٢) رواه مسلم .

(١) أحضر : أعدو وأجرى .

(٣) أبو نعيم : الجانب .

الآخر فقطعت عروقها ، حتى أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : السلام عليك يا رسول الله .

فقال الأعرابي : حسبي حسبي .

فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : ارجعي .

فرجعت ، فجلست على عروقها^(١) .

• عن ابن عمر قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ، فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين تريد ؟

قال : إلى أهلي . قال : فهل لك في خير ؟ قال : وما هو ؟

قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .

قال : ومن يشهد [على] ما تقول ؟ قال : هذه الشجرة .

فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي بشاطئ الوادي ، فأقبلت تحذو الأرض خذاً ، حتى قامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثاً أنه كما قال . ثم رجعت إلى منبتها .

ورجع الأعرابي إلى قومه وقال : إن اتبعوني أتيتكم بهم ، وإلا رجعت فكنت معك^(٢) .

• عن ابن عباس ، قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، بم أعرف أنك رسول الله ؟

(١) رواه البزار في مسنده وأبو نعيم في الدلائل ، ونقله في الشفاء .

(٢) رواه الحاكم في مستدركه بإسناد جيد .

قال : أرأيتَ إن دعوتُ هذا العَذْقَ من هذه النخلة فجاء ، تشهد أنى رسول الله ؟ قال : نعم .

فدعاه فجعل ينزل من النخلة حتى سقط في الأرض ثم جعل يَنْقَرُ (١) حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : عُدْ . فعاد إلى مكانه .
قال : أشهد أنك رسول الله . وآمن (٢) .

• عن أبي عبيدة بن عبد الله قال لى مسروق : أخبرنى أبوك أن شجرة أُنذرت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن .

* * *

فإن قال أهل الإلحاد : هذا سحر .

قلنا : السحر خيال وشعبذة لا حقيقة . قال الله تعالى :

« يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْمَى » (٣) .

قال ابن عقيل : لو كان السحر قَلْبًا للأعيان ، لساوى الإعجاز ، وتعذر علينا العلمُ بصدق الصادق ، لأن الله سبحانه لم يجعل لنا طريقاً إلى العلم إلا كون المعجز دالاً على الصدق بكونه معجزاً عنه .

فتى قلنا : إن الساحر يَقْلِبُ الأعيان ، كما نقول فى حق النبي صلى الله عليه وسلم ، لم تَبْقَ ميزة ، وانسدَّ الطريقُ إلى حصول التحقيق .

قال : فإن قال قائل : فأى ثقة تبقى لنا بالدرَكات مع قوله : « وما قتلوه »

(١) ينقر : يشب .

(٢) رواه الترمذى وصححه ، وكذا رواه البخارى فى التاريخ ، وأبو يعلى ، وابن حبان والبيهقى .

(٣) سورة طه ٦٦

وما صكّبوه ولكن شبه لهم» (١) . وقد أخبر عز وجل أن المقتول غيره ؟
فالجواب : أن القادر شكّب حينئذ المدارك ، حسب الأصلح ، على
ما اقتضت الحكمة صيانته ، وتعجيز الكفار عما عزموا عليه .
ولو عُدّت الثقة بالمدارك ، جاز عدم الثقة بحلاوة العسل ، لما يتطرق
من الغرض من المطاعم والأمزجة ، فيدرك في حالٍ مُرّاً .
فإن قال قائل : فما فائدة وقوع ما يحانس المعجزة من السّحر والكهانة
وغير ذلك ؟

فالجواب : أن المراد ، التكليف ، لتخليص المعجزة من الشعبة ،
ليحظى الفارق بثواب الاجتهاد .
وما يزال السحرة يطعن بعضهم في بعض ، والرسال متساعدون .

الباب العاشر

في تحريك الجبل لأجله
وسكونه لأمره

• عن سعيد بن زيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حراء ، فتحرك الجبل ، فضر به برجله ، ثم قال : اسكن حراء ، فإنه ليس عليك إلا نبي ، أو صديق ، أو شهيد . ومعه أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن ، ولو شئت أن أسمي التاسع .
اسْمِيتُ .

فأكثرُوا عليه : أخبرنا . فقال : أنا .

الباب الحادى عشر

فى ذكر شكوى البهائم إليه

وذلل المستصعب منها له

• عن [عبد الله بن (١)] جعفر قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حائطاً من حيطان الأنصار ، وإذا جل . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حنّ وذرفت عيناه ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم سرائه وذِفْرَاهُ (٢) ، فسكن ، فقال : من صاحب الجمل ؟

فجاء فتى من الأنصار فقال : هو لى يا رسول الله . قال : ألا تتقى الله فى هذه البهيمة التى مَلَكْتُك اللهُ عز وجل ، إنه شكَا إلىَّ أنك تجيعه وتدئبه (٣) . انفراد بإخراجه مسلم .

• عن يعقوب بن مرة قال : كنت جالساً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، إذ جاء جمل نفخت (٤) حتى ضرب بجرانه بين يديه .

(١) من اللواهب ، وفى الأصل : عن ابن جعفر .

(٢) ذِفْرَاه . مثى « ذفر » وهو الموضع الذى يعرق من قفا البعير عند أذنه .

(٣) تدئبه : تتمبه .

(٤) قوله : نفخت . هكذا فى الأصل ولعل الصواب (أخبت) أى : خضع وتواضع ولم تذكر للعاجم (خبت) ثلاثياً بالمعنى المراد هنا .

ثم ذرفت عيناه ، فقال : ويحك ، انظر لمن هذا الجمل ، إن له لشأنا .

فخرجت ألتبس صاحبه ، فوجدته لرجل من الأنصار فدعوته إليه .

فقال : ما شأن جملك هذا ؟

قال : لا أدري والله ما شأنه ، عملنا عليه حتى عجز عن السقاية .

فأثمرنا البارحة ، أن ننحره ، ونقسم لحمه .

قال : فلا تفعل ، هبّ لي أو يعنني . قال : بل هو لك يا رسول الله .

قال : فوسمه بميسم الصدقة ، ثم بعث [به] إليه .

• عن أنس قال : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسمّون (١)

عليه ، وإن الجمل استصعب عليهم ، فمنعهم ظهره ، فجاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوا إليه ، استصعابه ، وقالوا : قد عطش الزرع .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : قوموا .

فقاموا ، فدخلوا الخائط والجمل في ناحيته .

فشى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه .

فقال الأنصاري (٢) : إنه يا نبي الله ، قد صار مثل الكلب ، وإنا

نخاف عليك صولته .

فقال : ليس عليّ منه بأس .

فلما نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقبل نحوه حتى خرّ ساجداً بين يديه ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته ، أذلّ ما كان حتى أدخله في العمل .

(٢) اللواهب : الأنصار .

(١) يسنون : يسقون .

فقال له أصحابه : يا نبي الله ، هذا بهيمة لا يعقل ، يسجد لك ، ونحن
نعقل ، فنحن أحق أن نسجد لك .

قال : لا يصلح : لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صلح أن يسجد بشر
لبشر ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها^(١) .

• عن جابر بن عبد الله قال : أقبلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
من سفر .

حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان الأنصار ، وإذا فيه جبل لا يدخل
الحائط أحد إلا شدة عليه .

قال : فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء ، حتى أتى الحائط ،
فرغا البعير وجاء واضعاً شفره^(٢) إلى الأرض حتى برك بين يديه .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هاتوا خطاما » فخطمه . ودفعه
إلى صاحبه .

قال : ثم التفت إلى الناس فقال :

إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أنى رسول الله ، إلا عاصي
الجن والإنس .

• عن جابر قال : خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فإذا
جبل بار ، حتى إذا كان بين الساطين ، خرّ ساجداً .

فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للناس : من صاحب الجبل ؟

(١) رواه أحمد واللساني بإسناد جيد . ورواه ثقات مشهورون كما قاله النذري .

(٢) الأصل مشرفة . وهو تصحيف . وما أثبتته عن أحمد .

فإذا فتية من الأنصار قالوا : هذا لنا يا رسول الله .
قال : فما شأنه ؟ قالوا سئنا عليه منذ عشرين سنة ، وكانت به شحمة ،
فأردنا أن ننصره ، فنقسمه بين غلماننا فانفلت منا .
قال : تبيعونه ؟ قالوا : لا ، بل هو لك يا رسول الله .
قال : أما لا ، فأحسنوا إليه حتى يأتيه أجله .
فقال المسلمون عند ذلك : يا رسول الله ، نحن أحق بالسجود لك
من البهائم .
قال : لا ينبغي أن يُسجد لشيء ، ولو كان ذلك ، كان النساء
أحق أن يسجدن لأزواجهن .
وفي رواية أخرى أنه قال : إن بعيركم هذا يشكوكم ، يزعم أنكم
استعملتموه شاباً ، حتى إذا كبر أردتم نحره (١) .

(١) هذا الحديث ضعيف السند ، وكذلك أكثر أحاديث هذا الباب .

الباب الثاني عشر

في ذكر معجزته التي ظهرت في المركوب

• عن أنس قال : فزع أهل المدينة ليلة ، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الصوت على فرس عُرِّي لأبي طلحة ، ورجع وهو يقول : لن تراعوا (١) .

قال أنس : وكان الفرس يُبَطِّأ ، فما سبق بعد ذلك .

• عن جابر قال : كنت أسير على جبل فأعنيا ، فأردت أن أُسَيِّبَهُ .

فلحقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربه برجله ، ودعاه فصار سيرا لم يسير مثله (٢) .

أخرجاهما .

(١) أى : لا تخافوا . (٢) كان هذا في غزوة ذات الرقاع .

الباب الثالث عشر

في رميه في وجوه المشركين
بكفٍّ من تراب فلأُ أعينهم

• عن أنس قال انهزم المسلمون بِحُنَيْنٍ ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بقلته الشهباء وكان يسميها دُلْدُل .

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : دُلْدُل ، البَدِي . فألزقت بطنها بالأرض .

فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من تراب ، فرمى بها في وجوههم وقال : حَمَّ لَا يُنْصَرُّون .

فانهزم القوم ، وما رمينا بسهم ولا طعنا برمح .

وفي رواية : فما خلق الله منهم . إنساناً ، إلا ملأ عينه تراباً .

وسند ذكر طرق هذا الحديث في غزاة حنين ، إن شاء الله تعالى .

الباب الرابع عشر

في إشارته إلى الأصنام ف وقعت

• عن عبد الله بن مسعود قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم [مكة يوم الفتح] (١) وحول الكعبة ستون ، وثلاثمائة صنم ، فجعل يطعنهم بعود في يده ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً » (٢) .
أخرجه .

• عن ابن عباس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً ، وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيب ، فجعل يشير إليها ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل ، إنَّ الباطل كان زهوقاً » . جاء الحق ، وما يبدى الباطل وما يعيد . فجعلت تستلقى من غير أن يمسه .

الباب الخامس عشر

في إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغائبات

قال المصنف رحمه الله : قد سبق ذكر أشياء منها : أنه أخبر بأن الأرض^(١) أكلت ما في الصحيفة التي كتبها المشركون بالبراءة من بني هاشم من ظلم وجور .

• عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لَتَفْتَحَنَّ عَصَابَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَنْزَ آلِ كَسْرَى الَّذِي فِي الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ .

• عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« إِذَا هَلَكَ كَسْرَى ، فَلَا كَسْرَى بَعْدَهُ ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ ، فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ .

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَتُنْفِقَنَّ كَنْوزَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .

• عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إِذَا هَلَكَ كَسْرَى ، فَلَا كَسْرَى بَعْدَهُ ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ ، فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ .

وَأَيُّمُ اللَّهِ لَتُنْفِقَنَّ كَنْوزَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(٢) » .

أَخْرَجَاهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ .

(١) قال في الصباح : الأرض : دوية (دودة) تأكل الخشب ، يقال : أرضت الحشبة بالبناء للمفعول ، فهي مأروضة . وجمع (الأرضة) أرض . مثل : قصبة وقصب ، وقصبات .
(٢) سقط هذا الخبر من ت .

قال المصنف رحمه الله : وربما أشكل هذا الحديث وقال قائل :
فقد ملك بعد كسرى وقيصر جماعة ثمموا بهذا الاسم ، فإن كل ملك
كان لفارس ، يسمى كسرى ، وكل ملك كان للروم ، يسمى قيصر .
فالجواب : أنه ما ملك من كان لملكه طائل ولا ثبوت ، وما زال
ملكهم متزلزلاً حتى انمحق .

• عن أنس قال : كنا مع عمر بين مكة والمدينة ، فقرأنا الهلال ،
وكنت حديد البصر فرأيت ، فجعلت أقول لعمر : أما تراه ؟ قال : سأراه ،
وأنا مستلقي على فراشي .

ثم أخذ يحدثنا عن أهل بدر ، قال :
إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً مصارعهم بالأمس يقول :
هذا مَصْرَع فلان غداً ، إن شاء الله ، وهذا مَصْرَع فلان غداً ،
إن شاء الله .

قال : فجعلوا يُصرعون عليها .
قال : قلت : والذي بعثك بالحق ما أخطأوا تيك ، كانوا يصرعون عليها .
انفرد بإخراجه مسلم .

• عن أبي هريرة قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر .
فقال لرجل ممن يدعى الإسلام : هذا من أهل النار .

فلما حضرنا القتال ، قاتل الرجل قتلاً شديداً ، فأصابته جراحة .
فتميل : يا رسول الله ، الرجل الذي قلت إنه من أهل النار ، فإنه قاتل
اليوم قتلاً شديداً وقد مات .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إلى النار .

فكاد بعض القوم أن يرتاب .

فبينما هم على ذلك إذ قيل : إنه لم يمت ، ولكن به جراح شديد .

فلما كان من الليل ، لم يصبر على الجراح فقتل نفسه .

فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال :

الله أكبر ، أشهد أنى عبد الله ورسوله :

ثم أمر بلالا فنادى فى الناس : إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ،

فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .

أخرجاه ، من حديث سهل بن سعد .

• عن أبى حميد الساعدي قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه

وسلم عام تبوك فقال : إنها ستهب عليكم ريح شديدة ، فلا يقوم فيها رجل ،

ومن له بعير فليوثق عقاله (١) .

قال أبو حميد : فمقلناها (٢) ، فلما كان من الليل ، هبت علينا ريح

شديدة (٣) فقام فيها رجل ، فألقته فى جبل طوى (٤) .

أخرجاه .

• عن قوتبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) فليوثق عقاله . أى : ليربطها برباط قوى لا ينفك .

(٢) فمقلناها . أى : ربطناها .

(٣) قال فى الصباح : هبت الريح هبوباً . من باب قعد (الباب الأول) حاجت :

وهب من نومه هباً من باب قتل (الباب الأول) أى : استيقظ . وهب السيف يهب

من باب ضرب (الباب الثانى) هبّة : اهتز ومضى . ومنه قيل : أتى امرأته هبّة .

أى : وقعة .

إن الله عز وجل زَوَى^(١) لى الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن مُلْكُ أمتى سيبْلغ ما زَوَى لى منها ، وإنى أعطيت الكثرين ، الآخر والأبيض .

قال المصنف رحمه الله : هذا قاله وهو محسور^(٢) ولا سلطان له على بلد ، فكان كما قال ، وقد بلغ ملكُ أمته ، من أول المشرق ، من بلاد الترك ، إلى آخر بلاد المغرب ، من بلاد البربر ، وبحر الأندلس .

• عن أبى سعيد الخدرى قال : أخبرنى أبو قتادة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار : تقتلك الفئة الباغية .
انفرد بإخراجه مسلم .

• عن أبى ذر قال : جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا مضطجع فى المسجد ، فغمزنى برجله ، فاستويت جالساً فقال لى :
يا أبا ذر ، كيف تصنع إذا أُخرجت منها ؟
قلت : أرجع إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى بيتى .
قال : فكيف تصنع ، إذا أُخرجت منها ؟
قلت : إذن آخذ سيفى ، أضرب به من يخرجنى . فقال : حقراً ! بل تقاد معهم حيث قادوك ، وتُساق معهم حيث ساقوك ، ولو عبدُ أسود .

(٤) زوى : جمع . قال فى الصحاح : وزويت الشيء : جمعته وقبضته .
وفى الحديث « زَوَيْت لى الأرض ، فأريت مشارقها ومغاربها » .
فيكون المعنى هنا : إن الله جمع لى أطراف الأرض فأريت الخ .

(٢) محسور . أى : متعب حزين .

(٣) الباغية : الظالمة المعتدية على السلطان الحق ، لأنها عدلت وانحرفت عن الصراط السوى .

قال أبو ذر : فلما نُفِيت إلى الرُبذة (١) أقمت الصلاة ، فتقدم رجل أسود كان على نعم الصدقة ، فلما رآني أخذ يرجع ليدمّني ، فقلت : كما أنت ، بل أقاد لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم !!

• عن أبي هريرة قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال :

من يبسط ثوبه حتى أفرغ من حديثي ، ثم يقبضه إليه ؟ فإنه ليس ينسى شيئاً سمعه مني أبداً .

قال : فبسطت ثوبي ، أو قال : نمرّتي ، ثم حدثنا ، فقبضته إلى ، فوالله ما نسيت شيئاً سمعته منه .
أخرجاه .

• عن عبد الله بن رافع أنه سمع عالياً يقول : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا والزيبر ، والمقداد فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة فاخ ، فإن بها طعينة ، معها كتاب ، تغذوه منها .

فانطلقنا تعادى بنا خيلنا ، حتى أتينا الروضة ، فإذا نحن بالطعينة فقلنا : أخرجي الكتاب . قالت : ما معي من كتاب .

قلنا : لتخرجي الكتاب ، أو لتلقيني (٢) الثياب . فأخرجت الكتاب .

فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه :
من حاطب ابن بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) الأصل : البريدة . (٢) الرواية المشهورة (اتلقين) بالنون في أوله

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا حاطب ما هذا ؟
قال : لا تعجل علي يا رسول الله ، إني كنت امرأ مُلصَقاً في قريش ،
ولم أكن من أنسهم ، وكان من كان من المهاجرين ، لم قرابات يحمون
أهلهم مكة ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم ، أن أتخذ فيهم يداً
يحمون بها قرابتي ، وما فعلت ذلك كفراً ، ولا ارتداداً عن ديني ،
ولا أرضى بالكفر بعد الإسلام .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه قد صدّقكم .

فقال عمر : دَغْنِي أضرب عنق هذا المنافق .

فقال : « إنه قد شهد بدرًا ، وما يدريك أن الله أطلع على أهل بدر ،
فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .
أخرجاه .

• عن أبي بكر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ،
وكان الحسن بن عليٍّ يثبُّ على ظهره إذا سجد ، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم :

إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين .

• عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدِم من سَفَر ، فلما
كان قُرْب المدينة ، هاجت ريح تكاد تدفع الراكب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هبَّت هذه الريح ، لموت منافق
مات بالمدينة » .

فقدم المدينة ، فإذا منافق عظيم من المنافقين ، مات ذلك اليوم .

• عن عدِيٍّ بن حاتم قال : بَيَّنَّا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ،

إذ أتاه رجل ، فشكا إليه الفاقة (١) ثم أتاه آخر ، فشكا إليه قَطْعَ السبيل .
فقال : يا عدى هل رأيت الحيرة ؟ قلت : لم أرها ، وقد أنبتت عنها .
فقال : إن (٢) طالت بك حياة لترين الظمينة (٣) ترحل من الحيرة حتى
تطوف بالكعبة ، لا تخاف [أحدا] (٤) إلا الله .
قلت ، بيني وبين نفسي : فأين دُعَار طيء الذين قد سَمَّروا البلاد (٥) ؟
وإن طالت بك حياة ، لتُفتحن كنوز كسرى .
قلت : كسرى بن هُرمز ؟ ! .
قال : كسرى بن هُرمز .

وإن طالت بك حياة لترين الرجل يُخْرَج مِلء كفه ذهباً وفضة ،
يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه (٦) .
قال عدى : فرأيت الظمينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ،
لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هُرمز .

(١) الفاقة : الفقر . (٢) البخارى : « قال فإن » .

(٣) أى : المرأة ما دامت فى الهودج على الإبل . ومثله فى القاموس والصحاح .
وفى الصباح : الظمينة فى الأصل وصف للمرأة فى هودجها ، ثم سميت بهذا
الاسم ، وإن كانت فى بيتها ، لأنها تصير مظمونة . اهـ .
(٤) من البخارى .

(٥) دُعَار طيء : مفسدوهم الذين يقطعون الطريق . وسَمَّروا البلاد : ملأوها
شراً وفساداً ، وهو مستعار ، من استعار النار .

(٦) اختصر المؤلف الحديث فلم يذكر : وليلقين الله أحكم يوم يلقاه وليس
بينه وبينه ترجمان ... إلى نهايته .

ولما طالت بكم حياة كَثَرُونَ ما قال أبو القاسم ، صلى الله عليه وسلم ،
يُخْرِجُ مِلًّا كَفَّهُ ! . أخرجاه .

• عن أبي موسى أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط
من حيطان المدينة ، فجاء رجل يستنبح .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : افتح له وبشره بالجنة .

فإذا هو أبو بكر رضى الله عنه .

ثم استفتح رجل آخر فقال : افتح له وبشره بالجنة .

فإذا عمر ، ففتحت له وبشرته بالجنة .

ثم استفتح رجل آخر ، وكان متكئاً فجلس ، فقال :

افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه . فإذا عثمان .

ففتحت له وبشرته بالجنة ، فأخبرته بالذى قال : فقال : الله المستعان .

أخرجاه .

• عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لا تقوم الساعة ، حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر^(١) ، وحتى تقاتلوا الترك ،
صفار الأعين [حمر الوجوه]^(٢) ذُلف الأنوف^(٣) كان وجوههم المِجَانُ^(٤))
المُطَرِّقَةُ^(٥) .

(١) نعالهم الشعر : يجمعون نعالهم من حبال صُفرت من الشعر . أو المراد :
طول شعورهم حتى يصير أطرافها في أرجلهم .

(٢) من البخارى . (٣) ذلف الأنوف : صفارها .

(٤) المِجَان : جمع « مجن » وهو : الترس . و « المطرقة » : التى ألبست
الطراق ، وهى جلدة تلتصق على قدر الدركة .

(٥) انفرد به البخارى من هذا الوجه . ونحوه عن أحمد والجماعة ، إلا النسائى .

• عن أبي سعيد الخدري قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً ، إذ جاءه ذو الخوَّ بصره ، وهو رجل من بني تميم . فقال يا رسول الله ، اعدل .

قال : ويلك ، ومن يعدل إذا لم أعدل ! فقد خِبتُ وخسرت إن لم أكن أعدل .

فقال عمر : ائذن لي فيه ، فأضرب عنقه .

فقال : دَعْنِي ، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوزُ حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

يُنْظَرُ إلى نَصَلِهِ ، فلا يوجد فيه شيء ، ثم يُنْظَرُ إلى رِصافه ، فلا يوجد فيه شيء ، ثم يُنْظَرُ إلى نَضِيئِهِ ، وهو قدحه ، فلا يوجد فيه شيء ، ثم يُنْظَرُ إلى قُدْذِهِ ، فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفَرْثُ والدم .

آيَاتُهُمْ رجل أسود ، إحدى عَضُدَيْهِ مثل ثدى المرأة ، أو مثل البَضْعة تَدْرُدُ (١) يخرجون على حين فُرْقَةٍ من الناس .

قال أبو سعيد : وأشهد أنى سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أن على بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه .

وأمر بذلك الرجل فَالْتَمَسَ فَأَتَى به حتى نظرت إليه على نَعْتِ النبي صلى الله عليه وسلم الذى نَعْتُهُ (٢) .

(١) تدرد : تتحرك وتذهب وتجيء .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى عدة مواضع من صحيحه ، ومسلم أيضاً ، والنسائى ، وابن ماجه عن أبي سعيد .

والرضاف : جمع رصفة ، وهي عَقَبَةٌ تُلَوَّى على مَدْخَلِ النصل في السهم .

والتَّضَيُّ : القُدْح قبل أن يبيح . والقُدْذ : ريش السهم .

والمعنى : أنه مَرَق عاجلاً فلم يَعلَق به دم .

• عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتى بصفية يوم خيبر وأتى بزوجها وأخيها ، وكان قد أعطاهما الأمان على أن لا يكتما شيئاً ، فإن كتماه استحلّ دماءها .

فأما أحدهما ، فصدقه ولم يَكْتُمه .

وأما كنانة - وهو زوج صفية - فكتمه مسك الجمل ، وكان فيه حلي كثير ، فقال :

يا كنانة ، إنك قد أعطيتني أن لا تكتمني شيئاً ، فأين مسك الجمل ؟
فقال : ما كتمتك شيئاً .

فأتاه جبريل فأخبره بمكانه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : اذهبوا ، فإنه في مكان كذا وكذا .

فلما أتى به ، أمر بهما ، فضربت أعناقهما وقال لبلال : خذ بيد صفية .
فأخذ بيدها فربها بين القبيلتين ، فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى روى في وجهه .

فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخيرها بين أن يعتقها ،
فترجع إلى من بقى من أهلها ، أو تسلم ، فيتخذها لنفسه .

فقال : أختار الله ورسوله .

فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس : انصرفوا عن أمكم .

حتى إذا كان على ستة أميال من خير ، مال يريد أن يُعرس بها ،
فأبت ، فوجد عليها في نفسه .

فلما كان بالصهباء ، مال إلى دومة هناك ، فطاوعته .
فقال : ما حلك على إباتك ؟

قالت : خشيت عليك ، قرب يهود . فأعرُس بها .
وبات أبو أيوب ، يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدور
حول خبائه .

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوطاء ، قال : من هذا ؟
قال : خالد بن زيد . قال : مالك ؟

فقال : ما نمت هذه الليلة ، مخافة هذه الجارية عليك .
فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع .

● عن عبد الله بن عباس قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
أبا سفيان في الطواف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
يا أبا سفيان ، أما كان بينك وبين هند كذا وكذا ؟
فقال أبو سفيان في نفسه : أفشيت^(١) على هند سرِّي ، لأفعلن بها ،
ولأفعلن .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من طوافه ، لحق أبا سفيان فقال :
« يا أبا سفيان ، لا تظلم هنداً ، فإنها لم تُفَش إلى من سرك شيئاً » .
فقال أبو سفيان : أشهد أنك رسول الله ، فمن أنباك بما في نفسي ؟

(١) أفشيت أي : أذاعت وشررت .

• عن عاضم بن كليب قال : حدثني أبي قال : حدثني رجل من الأنصار قال :

خرجت مع أبي وأنا غلام ، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلقانا رجل فقال :

يا رسول الله ، فلانة تدعوك وأصحابك إلى طعام .

فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه ، فقعدنا مقاعد الفلمان من آباتهم فجىء بالطعام .

فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، وضعوا أيديهم .

فنظر القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يلوك أكلة فكفوا أيديهم .

قال : فلاك الأكلة ، ثم لفظها ، وقال : لحم شاة ، أخذت بغير إذن أهلها .

فقامت المرأة فقالت : يا رسول الله ، أردت أن أجمعك وأصحابك على طعام ، فبعثت إلى البقيع . فلم أجد شيئاً يباع ، فبعثت إلى أخي : أن ابعث إلى شاتك .

فلم يكن أخي ، ثم ، فرفع أهله إلى الشاة .

• عن أنس قال : نعى النبي صلى الله عليه وسلم أصحاب مؤنة على للنبر .

فبدأ يزيد ، ثم بجعفر ، ثم بابن رَوَاحَة . ثم قال :

وأخذ اللواء خالد بن الوليد ، وهو سيف من سيوف الله تعالى .

• عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم ، أرسل عائشة إلى امرأة

فقالت :

ما رأيت طائلا . قال : لقد رأيت خلا بحدّها ، اقصعرت منه ذؤابتك .

قالت : ما دونك سرّ ، ومن يستطيع أن يكثّمك !

• عن سليمان بن صُرَد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب : نفزوم ولا يفزونا .

قال أبو نعيم : لحق الله ذلك ، ففزاهم ولم يُفَزَ بعد ذلك .

• عن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يظهر هذا الدين ، حتى يجاوز البحار ، وحتى تُخاض البحار بالغيل في سبيل الله » .

• عن عثمان بن صهيب ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوماً له لى : مَنْ أَشَقَّى النَّاسَ ؟

قال : الذى عمّر الناقة ، يا رسول الله . قال : صدقت .

فمن أشقى الآخرين ؟ قال : لا علم لى يا رسول الله .

قال : « الذى يضرب على هذه » .

وأشار النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى يافوخه (١) .

فكان على رضى الله عنه يقول لأهل العراق :

أما والله ، لوددت أنه انبعث أشقاها نخضب هذه ، يعنى لحيته ، من هذه ، ووضع يده على مُقَدِّم رأسه .

(١) قال فى الصباح : اليافوخ : وسط الرأس ، ولا يقال (يافوخ) حتى يصلب ويشتد بعد الولادة . وفى القاموس : ضرب يافوخه . وهو حيث التقى عظم مقدم الرأس ومؤخره .

• عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه إلى الطائف ، فمررنا بقبر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا قبر أبي رغال ، وهو أبو ثقيف . وكان من ثمود ، وكان بهذا الحزم يُدْفَع عنه .

فلما خرج منه ، أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان ، فدفن فيه .

وآية ذلك ، أنه دفن معه غصن من ذهب ، إن أنتم نبشتم عنه . أصبتهوه معه .

فابتدره الناس ، فاستخرجوا منه الفصن .

• عن ابن عمر قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء في الليلة [التي] قتل فيها العنسي لبشرنا ، فقال :

قُتِلَ الْأَسْوَدُ الْبَارِحَةَ ، قَتَلَهُ رَجُلٌ مُبَارَكٌ .

قيل : من ؟ قال : فيروز بن فيروز^(١) .

• عن أم ذر قالت : لما حضرت أبا ذر الوفاة ، بكيت فقال :

لا تبكي ، وأبشري ، فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم :

ليموتنَّ رجل منكم بفلاة من الأرض ، يشهده عصابة من المؤمنين . وليس من أولئك النفر أحدٌ ، إلا وقد مات في قرية أو جماعة ، وأنا الذي أموت بالفلاة^(٢) ، والله ما كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ ، فأبصرى الطريق .

(١) عند ابن كثير : فيروز فيروز .

(٢) الفلاة : الأرض التي لا ماء فيها . والجمع (فلا) مثل (حصاة)

و (حصى) ٨١ . مصباح .

قالت : فقلت : إنه قد ذهب الحاج ، وفتطعت الطريق .
قالت : فكنت أشدد إلى الكتيب ، ثم أرجع إليه فأمرضه ، فإذا أنا
برجال على رءسهم ، فألتفت (١) بنوبى ، فأمرعوا ، وقالوا : مالك ؟
قلت : رجل من المسلمين يموت .
قالوا : ومن هو ؟ قلت : أبو ذر .
قالوا : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : نعم .
فقدّوه بأبائهم وأمهاتهم ، فكفنه أحدهم ، ودفنوه .
• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
صفان من أهل النار لم أرهما :

قوم معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس .
ونساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رءوسهن كأسنمة البخت
المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يخرجن ريحها ، وإن ريحها ، ليؤجد من مسيرة
كذا وكذا .

• عن أبى نوفل قال : لما قتل ابن الزبير ، أرسل الحاج إلى أمه
أسماء فقالت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ، أن فى قييف كذاباً
ومُبيراً (٢) ، فأما الكذاب فرأيناه ، وأما المبير ، فلا إخالك إلا إياه .
انفرد بإخراجه مسلم . والكذاب هو المختار بن عبيد .

(١) فألتفت بنوبى . أى : أشرت بنوبى إلى الرجال وهو تمبير مجازى كما فى
أساس البلاغة .

(٢) مبير . أى : ظالم سفال للدماء ، ومفسد فى الأرض .

• عن أبي هارون العبدى قال : كنا إذا دخلنا على أبي سعيد الخدرى قال : مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنه سيأتيكم رجال من أقطار الأرض ، ليتفقوا ، فإذا أتوكم ، فاستوصوا بهم خيراً .

• عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ ، وَيُسْمَعُ مَنْ يَسْمَعُ مِنْكُمْ .

• عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث ، أن نبى الله صلى الله عليه

وسلم كان يزورها كل جمعة ، ولأنها قالت يوم بدر :

أَتَأْذَن لِي ، فَأَخْرَجَ مَعَكَ ، أَمْرَضَ مَرْضَاكُمْ ، وَأَدَاوَى جِرْحَاكُمْ ،

لَعَلَّ اللَّهَ يُهْدِي لِي شَهَادَةً ؟

قال : قَرَّتْ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُهْدِي لَكَ شَهَادَةً .

وكانت أعتقت جارية لها وعلاماً عن دبر^(١) منها ، فطال عليهما ،

فماتتا في قطيفة حتى ماتت ، وهربا .

فأتى عمر فقيل له : إن ورقة قتلها غلامها ، وجاريتهما وهربا .

فقام عمر في الناس فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يزور

أُمَّ وَرَقَةَ ويقول : انطلقوا تزوروا الشهيذة ! وَأَتَى بِهِمَا ، فَصَلَبَهُمَا .

• عن ابن عباس قال : لما أسر العباس ، وَطِلِبَ منه الغداء قال :

ليس لى مال .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين المال الذى وضعته بمكة ،

(١) الدبر : الموت . يعنى ، قالت لها : أتتا — بعد موتى — حُرَّان

النوع من الصق يسمى الفقهاء بـ « التدبير » .

حين خرجت ، عند أم الفضل وليس معكم أحد ؟ وقلت : إن أصبت في سفرى هذا ، فلا فضل كذا ، وأتم كذا ، ولعبد الله كذا ؟

قال : والذي بثعك بالحق ، ما علم بهذا أحد من الناس ، غيرى وغيرها ، ^(١) وإني أعلم أنك رسول الله .

• وقد روى محمد بن إسحاق ، أن عمير بن وهب جلس مع صفوان ابن أمية بعد مصاب أهل بدر ييسر ، وهو في الحجر .
وكان عمير من شياطين قريش ، وكان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة .

وكان ابنه وهب بن عمير ، في أسارى بدر فذكر أصحاب القليب ومصابهم . فقال صفوان : والله ما في العيش بعدهم من خير .
فقال له عمير : صدقت ، والله ، أما والله لولا ديني على ، ليس له عندي قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى ، لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لى فيهم علة ، ابني أسير في أيديهم .
فقال صفوان : فقل دينك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى ، أسوتهم كأسوتهم .

قال عمير : فآتم على شأني وشأنك . قال : أفعل .
ثم إن عميراً أمر بسيفه فشحذ وسم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة .
فراه عمر قد أناخ بعيره على باب المسجد ، متوشحاً بالسيف ، فقال :
هذا عدو الله ، عمير قد جاء ، ما جاء إلا لشر ، وهو الذى حرّش بيننا ، وحرّزنا للقوم يوم بدر .

ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

(١) فى الأصل (وغيرك) وهو تحريف لمخالفته لسياق الكلام

يا رسول الله ، هذا عدو الله عمير ، قد جاء متوشحاً سيفه .
قال : فأدخله على :

فأقبل عمر حتى أخذ بجمالة سيفه في عنقه ، فلأبته بها .
وقال لرجال من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فاجلسوا عنده ، واحذروا هذا الخبيث عليه ، فإنه غير مأمون .
ثم دخل به عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فلما رآه ، وعمر أخذ بجمالة سيفه في عنقه قال : أرسله يا عمر ، ادنُ يا عمير .
فدنا ثم قال : أنتم صباحاً ، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أكرمنا الله بتحية خير من
تحيتك يا عمير ، السلام تحية أهل الجنة ، ما جاء بك يا عمير ؟
قال : جئتُ في فداء أسير لى في أيديكم ، فأحسنوا إليه .

قال : فما بال السيف في عنقك ؟
قال : قبضها الله من سيوف ! وهل أغنت شيئاً .
قال : اصدقنى فى الذى جئت له . قال : ما جئت إلا لذلك .
فقال : بل قمعت أنت وصفوان فى الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب
من قريش ، ثم قلت :
لولا دينٌ على ، ولى عيال ، لخرجت حتى أقتل محمداً .
فتحمّل لك صفوان بن أمية بدّينك وعيالك ، على أن تقتلنى ، والله
حائل بينى وبينك .

فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ! قد كنا نكذبك ، وهذا أمر لم
يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله
الذى هدانى للإسلام وساقنى هذا المساق . ثم تشهد شهادة الحق .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقَّهوا أخاكم في دينه ، وعلِّموا القرآن ، وأطلقوا له أسيره . ففعلوا .

ثم قال : يا رسول الله ، إني كنت جاهداً في إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وإني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله ، وإلى دين الإسلام ، لعل الله أن يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك .

فأذن له ، فلحق بمكة ، وكان صفوان حين خرج عمير يقول لقريش :
أبشروا بوقعة تأتيتكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر .

وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه .
خلف أن لا يكلمه أبداً ، ولا ينفعه بنفع أبداً .

فلما قدم مكة ، أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه ، فأسلم على يديه ناس .

* * *

قال المصنف : قال أبو الوفا بن عقيل : إقدام الرسول صلى الله عليه وسلم على الإعلام بالغائبات والمستقبالات ، فيه مخاطرة عظيمة ، لأن الأسود ومسيمة ، فضحهما تخييمهما فخرج الخبر على خلاف ما أخبرا به .

ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول : « سَيَصْلِي نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ » .

فلو أنه أسلم ، كان في هذا ما فيه ، وإنما طالع العواقب ، وذلك دليل على أنه كان شديد الثقة .

فالحمد لله الذي ثبتته على ذلك ، وأنه بان لا يخاف أن ينهدم بأمور توجب التهم ، وإنما هو صادر عن قادر على الإتمام .

الباب السادس عشر

في إلالة الصخر له صلى الله عليه وسلم

• عن جابر قال : مكث النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهم يحفرون الخندق ثلاثاً ، لم يذوقوا طعاماً .
فقالوا : يا رسول الله . إن ههنا كُدَيْةٌ ^(١) من الخيل .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رشوها بالماء .
ثم أخذ للمقول ^(٢) وقال : بسم الله . فضر بها ثلاثاً ، فصارت كشيياً ^(٣) تنهال ^(٤) .
قال جابر : فحانت منى التفاتة ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شدَّ على بطنه حجراً .
أخرجاه .

(١) الصخرة العظيمة . قال في القاموس : (الكدية) بالضم : شدة الدهر كالكدية . والارض الغليظة والصفاة (أى : الصخرة اللساء) العظيمة ، والشيء الصلب بين الحجارة والطين . ١ هـ . المراد منه .
وفي الصحاح والمصباح : الكدية : الأرض الصلبة ، والمعنى المراد المناسب هنا ما أثبتناه في صدر الكلام .

(٢) المول : الفأس .
(٣) كشيياً . أى : كسكومة الرمل . قال في القاموس : الكشيىب : التل من الرمل .
(٤) تنهال . أى : تمتمت وتمصب ، لأنها صارت كالرمل الناعم الذى لا يتاسك .

• عن البراء بن عازب قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق ، فمرضت لنا صخرة في مكان من الخندق ، لا تأخذ فيها المعاول . فشكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء فأخذ المعول وقال :
بسم الله .

وضرب ضربة ، فكسر ثلث الحجر ، وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الخمر من مكاني هذا .

ثم قال : بسم الله . وضرب ضربة أخرى ، فكسر ثلث الحجر وقال :
الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأنظر المدائن ، وأبصر قصورها البيض من مكاني هذا .

ثم قال : بسم الله ، وضرب ضربة أخرى ، فقطع بقية الحجر فقال :
الله أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأنظر إيوان صنعاء من مكاني هذا .

الباب السابع عشر

في ذكر حنين الجذع إليه صلى الله عليه وسلم

• عن جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع نخلة .

فقال امرأة من الأنصار ، كان لها غلام نجار : يا رسول الله ، إن لي غلاماً نجاراً ، أفلا أمره ، يتخذ لك منبراً تخطب عليه ؟ قال : بلى .

قال : فاتخذ له منبراً ، فلما كان يوم الجمعة ، خطب على المنبر قال : فَأَنَّ الجذع الذي كان يقوم عليه كما يَبْنِي الصبي .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن هذا بكى لِمَا قَعَدَ من الذِّكْرِ (١) .

• عن الطاقيل بن أبي بن كعب ، عن أبيه قال : قلت : يا رسول الله ، هل لك أن أعمل لك منبراً تقوم عليه يوم الجمعة ، حتى يراك الناس وُسْمِعَهُمْ خطبتك ؟ قال : نعم .

فصنع له ثلاث درجات .

فلما صنع المنبر ، ووضع في موضعه ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم على المنبر ، فرأى إليه ، حارَ الجذع حتى كاد أن ينشق .

فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمسحه بيده ، حتى سكن ، ثم رجع إلى المنبر .

- فلما هدم المسجد ، وغير ، أخذ ذلك الجذع أبي بن كعب .
فكان عنده في داره ، حتى بلى وأكلته الأرضة ، وعاد رُفَاتاً (١) .
- عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إلى جنب خشبة يُسند ظهره إليها .
فلما كثر الناس قال : ابنوا لي منبراً ، فبنوا له منبراً ، له عتبتان .
فلما قام على المنبر يخطب ، حَتَّت الخشبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- قال أنس : وأنا في المسجد ، فسمعت الخشبة تحن حنين الواله (٢) ،
فازالت تحن حتى نزل إليها فاحتضنها فسكنت (٣) .
فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى ، ثم قال :
يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً إليه ،
لمسكاته من الله عز وجل ، فأنتم أحق أن تشاققوا إلى لقاءه (٤) !
- عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع ، فلما اتخذ المنبر ، تحول إليه ، فحن الجذع ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فسحبه .
أخرجه البخاري .
- عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع ، فأتاه رجل رومي فقال : اصنع لي منبراً أخطب عليه .

(١) رواه أحمد ، ومثله عن الشافعي .

(٢) الواله : الذي ذهب عقله وتحيّر من شدة الفرح والحب والحزن . كما يستفاد من المصباح والصحيح .

(٣) رواه أحمد .
(٤) روى هذه الزيادة البغوي .

فصنع له مذبحه هذا الذي ترون .

فلما قام عليه يخطب ، حنَّ الجذع حنين الناقة إلى ولدها .

فنزل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضَّه إليه ، فسكت ، فأمر به أن يُدَقَّنَ ويحفر له .

• عن ابن بريدة عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان إذا خطب ، قام فأطال القيام ، فكان يشق عليه قيامه ، فأَتَى بِجَذَعٍ نَحْلَةٍ حَفَرَ لَهُ ، وَأَقِيمَ إِلَى جَنْبِهِ .

فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب وطال القيام عليه ، استند إليه فاتكأ عليه .

فبصر به رجل كان ورد المدينة ، فقال لمن يليه من الناس :

لو أعلم أن محمداً يَحْمَدُنِي فِي شَيْءٍ يَرْفُقُ بِهِ ، لصنعت له مجلساً يقوم عليه ، فإن شاء جلس ما شاء ، وإن شاء قام .

فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ايتوني به . فأَتَى بِهِ ، فأمره أن يصنع له هذه المراق ، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك راحةً .

فلما فارق النبي صلى الله عليه وسلم الجذع ، وعمد إلى الذي صنَّعَ لَهُ ، جَزَعَ الْجَذَعَ ، فحنَّ كما تحنُّ الناقة ، حين فارقه النبي صلى الله عليه وسلم .

فسمع بريدة عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع الجذع رجَّعَ إِلَيْهِ ، فوضع يده عليه وقال :

اختر أن أغرسك في المكان الذي كنت فيه ، فتكون كما كنت ، وإن شئت فأغرسك في الجنة ، فتشرب من أنهارها وعيونها ، فيَحْسُنَ نَبْتُكَ ، وتُثْمِرَ ، فَيَأْكُلَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مِنْ ثَمَرَتِكَ ، فعلتُ » .

فوزع أنه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : نعم قد فمات .
مربين .

فسئل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أحب أن أغرسه في الجنة .
• عن أبي بن كعب ، عن أبيه ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم
يصلى إلى جذع وكان عريشا ، وكان يخطب إلى ذلك الجذع .
فقال رجال من أصحابه : ألا نجعل لك شيئا تقوم عليه يوم الجمعة حتى
يراك الناس ، ويسمع الناس خطبتك ؟ قال : نعم .

فصنع له ثلاث درجات ، فقام عليها كما كان يقوم .
فأضفى إليه الجذع فقال له : اسكن . ثم التفت فقال :
إن تشاء أغرسك في الجنة ، فإيا كل منك الصالحون ، وإن تشاء أن
أعيدك رطبا كما كنت .

فاختار الآخرة على الدنيا .

فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم ، دُفع إلى أبي ، فلم يزل عنده إلى
أن أكلته الأرضة .

* * *

قال ابن عقيل : لا ينبغي أن يُتَعَجَّب من حنين الجذع ، ومحبة الأشجار
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن مَنْ جَمَلَ في المغناطيس خاصية تجذب
الحديد إليه ، يجوز أن يجعل في الرسول خاصية تجذب إليه .

الباب الثامن عشر

في تسبيح الحصى في يد، صلى الله عليه وسلم

• عن أبي ذر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس في مكان ، هو وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، فتناول النبي صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فسبَّحن ، حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن . ثم أخذهن فوضعهن في يد أبي بكر فسبَّحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل . ثم وضعهن فخرسن .

ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر حتى سمع لهن حنيناً كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن .

ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبَّحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن .

الباب التاسع عشر

في ستره عمن قصد أذاء من المشركين

- عن ابن عباس قال : لما نزلت « تَبَيَّنْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ » جاءت امرأة أبي لهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر . فلما رآها قال : يا رسول الله إنها امرأة بذيّة ، فلو قت لا تؤذيكَ . قال : إنها لن تراني . فجاءت فقالت : يا أبا بكر ، صاحبك هَجَانِي بِشِعْرِهِ . قال : لا ، ما يقول الشعر . قالت : أنت عندى مصدّق ، وانصرفت . فقال يا رسول الله ، إنها لم ترك ؟ قال : لا ، لم يزل ملكٌ يسترني منها بجناحه . امرأة أبي لهب ، هي أم جميل بنت حرب ، أخت أبي سفيان .

الباب العشرون

في دفع من أراد أذاه من الناس

- عن جابر بن عبد الله قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد ، فلما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قفلت معهم ، فأدركته القافلة في وادٍ كثير الغصاة (١) .
- فنزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجر ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة ، فعلق بها سيفه .
- قال جابر : فبينما نومة .
- ثم إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا ، فجئناه ، فإذا أعرابي عنده جالس .
- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا اختط بسيفي وأنا نائم ، فاستيقظت ، وهو في يده صلتاً (٢) .
- فقال لي : من يمنعك مني ؟ قلت : الله . هو ذا جالس .
- ثم لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- أخرجاه .
- عن جابر بن عبد الله قال (٣) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الغصاء : شجر عظيم له شوك .

(٢) صلتاً : مجرداً من غمده ، بمعنى مصلت .

(٣) كذا ولعلها : أن رسول الله الخ .

لما رجع من غزاة بنى محارب ، جاءه رجل يقال له غورث بن الحارث ،
حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

من يمنعك مني ؟ قال : الله . فسقط السيف من يده .

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : من يمنعك مني ؟
قال : كن خير آخذ .

قال : أشهد أن لا إله إلا الله ؟

قال : لا ، ولكن أعاهدك أن لا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك .
نحلي سبيله .

• عن أبي هريرة قال : قال أبو جهل : هل يعقر محمد وجهه فيكم بين
أظهركم ؟ قال : قليل نعم .

فقال : والللات والعزى ، إن رأيتهم يفعل ذاك ، لأطأن على رقبتهم ،
ولأعقرن وجههم في التراب .

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ، زعم ليطأ عنقه قال :
فما فجأهم منه ، إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقى بيديه .

فقالوا له : مالك ؟ قال : إن بيني وبينه تخندقاً من نار ، وهو لا وأجنحة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو دنا مني ، لاختطفته الملائكة
عضواً عضواً .

انفرد بإخراجه مسلم .

• حكى الواقدي عن أشياخه قال : جاءت الظهر يوم الفتح .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا أن يؤذن بالظهر فوق الكعبة ،
وقريش فوق الجبال ، وقد فرّ وجوههم وتغيّبوا .

فلما قال : أشهد أن محمداً رسول الله . قال عكرمة (١) بن أبي جهل :
لعمري لقد رفع لك ذِكرك ، أما الصلاة فنصلي ، والله ما نحب من قتل الأُحبة .
وقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يسمع بهذا اليوم .
وقال الحارث بن هشام : واثكلاه ! ليقنى مت قبل أن أسمع بلالا ينهق
فوق الكعبة !

وقال الحكم بن أبي العاص : هذا واللات ، الحادث الجلل (٢) ، يصيح
عبد بني جُحج ، ينهق على بَيْتَةِ أَبِي طَلحة .
وقال سهيل بن عمرو : إن كان هذا سخطاً لله فسيغيره .
وقال أبو سفيان بن حرب : أما أنا ، فلا أقول شيئاً ، ولو قلت شيئاً ،
لأخبرت هذه الحصة .

فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرهم ، فأقبل حتى وقف
عليهم فقال : أما أنت يا فلان ، فقلت كذا ، وأنت يا فلان ، فقلت كذا .
فقال أبو سفيان : أما أنا يا رسول الله فاقلت شيئاً .
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• عن عكرمة قال : قال شيبه بن عثمان : لما غزا النبي صلى الله عليه
وسلم حُنَيْنًا : فذكرت أبي وعى قتلهما على وحمزة ، فقلت : اليوم أدرك
ناري من محمد .

فجنته من خلفه ، فدنوت منه ودنوت حتى لم يَبْقَ إلا أن أسوره بالسيف
سورة ، رُفِعَ إلى شُؤاظ من نار كأنه البرق ، فنكصت القهقري .

(١) في الأصل « يقول » ، والصواب (قال عكرمة .. الخ) لأن للقرر في قواعد
النحو أن يكون جواب (لما) فعلاً ماضياً . (٢) في الأصل « الجليل » وهو تحريف

فالتفت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : تعال يا شيبه .
فوضع يده على صدرى ، واستخرج الله الشيطان من قلبى .
فرفعت إليه بصرى ، وهو أحبُّ إلىَّ من سمعى وبصرى .

• عن المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، أن رجلا من بنى مخزوم ، قام
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده فِهر^(١) يرمى به رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

فلما أتاها وهو ساجد ، رفع يده وفيها الفهر ، ليدفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

فبيست يده ، فرجع إلى أصحابه فقالوا : جُبِنتَ عن الرجل ؟
قال : لا ، ولكن هذا فى يدى لا أستطيع أرساله .

فتعجبوا من ذلك ، ووجدوا أصابعه قد بيست على الفهر .
فعالجوا أصابعه حتى خلصوها وقالوا : هذا شئ يراى .

وروى أبو بكر بن أبى الدنيا فى حديث الحنك قالوا له : ما رأينا أعجزَ
منك فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : لا تلومونا ، لقد تواعدنا له .

فلما دنونا منه ، سمعنا صوتاً خلفنا ، ظننا أنه ما بقى بتهامة جبال
إلا ألقيت .

ثم تواعدنا ليلة أخرى فرأيت الصفا والمروة ، التقتا فحالتا بيننا وبينه .

(١) الفهر : الحجر الصغير قدر ما يملأ الكف .

الباب الحادي والعشرون

في كيفية هلاك بعض من آذاه

عن أنس قال : كان رجل نصراني (١) فأسلم ، وكان يقرأ البقرة وآل عمران .

وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فعاد نصرانياً ، وكان يقول :
ما يدري محمد إلا ما كتبت له .

فأماته الله ، فدفنوه ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا :
هذا فعل محمد وأصحابه ، لما هرب منهم ، نبشوا عن صاحبنا . فآلقوه .

فخفروا له وأعمقوا ، فأصبح وقد لفظته الأرض . فقالوا :
هذا فعل محمد وأصحابه ، نبشوا على صاحبنا .

فخفروا له ، وأعمقوا ما استطاعوا ، فأصبحوا وقد لفظته الأرض .
فعلوا أنه ليس من الناس ، فآلقوه .

قال المفسرون قوله تعالى : « إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ » بين أنهم
قوم كانوا يستهزون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالقرآن ، فأتى جبريل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، والمستهزون يطوفون بالبيت فمر بهم
الوليد بن المغيرة .

(١) الاصل : كان رجلاً نصرانياً . وهو تحريف ، والحديث أخرجه
البخاري وأحمد .

فقال جبريل : كيف تجد هذا ؟ قال : بنس عبد الله . قال : قد كُفيت .
وأوماً إلى ساقه فرمى برجل يريش نبلاً ، فتعلقت شظية من نبله بإزاره ،
فمنعه الكبر أن يطأ من لينزعها ، فرض فمات .

ومرّ العاص بن وائل ، فقال جبريل : كيف تجد هذا ؟
قال : بنس عبد الله . فأشار إلى أخمص قدمه ، فمات .
ومر الأسود بن عبد يغوث فقال : كيف تجد هذا ؟ قال : بنس عبد الله .
فأشار إلى بطنه فمات حبناً (١) .

ومر الحارث بن قيس فقال : كيف تجد هذا ؟ قال : بنس عبد الله .
فأوماً إلى رأسه فانتفخ رأسه فمات .
قال عكرمة : هلك المستهزئون قبل ردر .
قال ابن السائب : هلكوا في يوم وليلة .

(١) الحبن : داء يصيب البطن .

الباب الثاني والعشرون

في دفع من قصد أذاه من الشياطين

• عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن عفريتاً من الجن تفلّت على البارحة ، فقطع علىّ صلاتي ، فأمكنني الله منه ففدّعته ، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا ، فتنظروا إليه كلّم أجمعون ، فذكرت دعوة أخى سليمان « رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي » . قال : فرددته خاسئاً .
ومعنى فدّعته : خنقته ..

عن أبي التّياح قال : قلت لعبد الرحمن بن حُيَيش : كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادّته الشياطين ؟
قال : تحدّرت عليه الشياطين تلك الليلة من الجبال والأودية ، يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيهم شيطان بيده شعلة من نار ، يريد أن يحرق بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فجاء جبريل فقال : يا محمد ، قل . فقال : ما أقول ؟ قال :
قل : أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق وذراً وبرا ،
ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يفرج فيها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق [إلا طارقاً] يطرق بخير يا رحمن .
قال فظننت نارهم وهزمهم الله تعالى .

الباب الثالث والعشرون

في بيان أنه كان له شيطان

• عن عائشة قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً ، فغرت عليه ، فجاء فعرف ما أصنع فقال : مالك يا عائشة أغرت ؟ قالت : ومالي لا يفار مثلي على مثلك .

قال : فأخذك شيطانك ؟ ! قلت : أومى شيطان ؟ قال : نعم . قلت : ومع كل إنسان ؟ قال : نعم . قلت : ومعك يا رسول الله ؟ ! قال : نعم ، ولكن ربى أعانتى عليه فأسلم . انفراد بإخراجه البخارى .

وأكثر الرواة يقولون : « أسلم » بفتح الميم ، إلا سفيان بن عُيينة قال : فأسلم بضمها ، وليس بصحيح ، لأنه في بعض الألفاظ قال : « فلا يأمرنى إلا بخير » .

• عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فُضِّلْتُ على آدم بمُحَصَّلَتَيْنِ : كان شيطانى كافراً فأعانتى الله عليه فأسلم ، وكن أزواجى عوناً لى .

وكان شيطان آدم كافراً ، وكانت زوجته عوناً عليه . .

الباب الرابع والعشرون

في دفع أذى الهوام عنه

• عن أبي أمامة قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخُفَّيه
يلبسهما ، فلبس إحداهما ، ثم جاء غراب فاحتمل الأخرى ، فرمى بها
فخرجت منه حيّة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ،
فلا يلبس خُفَّيه حتى ينفضهما .

البَابُ الحَادِسُ والعِشْرُونَ

في إعادته عين بعض أصحابه وقد خرجت فاستقامت

• عن المهيم بن عدي عن أبيه قال : أصيبت عين أبي قتادة بن النعمان الطُّفْرَى يوم أحد ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وهي في يده فقال :
ما هذا يا قتادة ؟ قال : هذا ما ترى يا رسول الله .

قال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت رددتها ودعوت الله لك ،
فلم تفقد منها شيئاً .

قال : يا رسول الله ، إن الجنة جزاء جليل ، وعطاء جليل ، ولكنني
رجل مُبْتَلَى بحب النساء ، إن يقلن أعور ، فلا يرُدَّنِي ، وإمكن تردها لي ،
وتسأل الله لي الجنة .

فقال : أفعل يا أبا قتادة . ثم أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده
فأعادها إلى موضعها ، فكانت أحسن عينيهِ إلى أن مات ، ودعا الله له بالجنة .

قال : فدخل ابنه على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر : من أنت يا فتى ؟
فقال :

أَنَا ابْنُ الَّذِي سَأَلَ عَلَى الْخُلْدِ عَيْنَهُ قُرِدَتْ بِكَفِّ الْمُعْطَفِي أَحْسَنَ الرَّدِّ
فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ لِأَحْسَنِ حَالِهَا وَيَا أَحْسَنَ مَا عَيْنٍ وَيَا طِيبَ مَا يَدِّ

فقال عمر : بمثل هذا ، فليتوسل إلينا المتوسلون .

ثم قال :

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَمْبَانَ مِنْ لَبَنِ شَيْبَا بِمَاءِ قَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا

الباب السادس والعشرون

في كلام الجدار بحضرته

• عن أبي أسيد [الساعدي] البدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب : يا أبا الفضل ، لا تَرِمَ (١) منزلك غداً أنت وبنوك ، فإن لى فيكم حاجة .

فانتظروه فجاء فقال : السلام عليكم .

قالوا : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

قال : كيف أصبحتم ؟ قالوا : بخير . قالوا : كيف أصبحت يا رسول الله ؟ قال : بخير ، أحمد الله .

فقال : تقاربوا ، ليزحف بعضكم إلى بعض . ثلاثاً .

فلما أمكنوه اشتمل عليهم بملاءته وقال : هذا العباس عني ، وصينو (٢) أبي ، وهؤلاء أهل بيتي ، اللهم استرهم من النار كسترى إياهم بملاءتي هذه . قال : فأمنت أسكفة (٣) الباب وحوائط البيت . آمين ثلاثاً (٤) .

(١) لا ترم . أى الزم منزلك ولا تفارقه .

(٢) الصو : المثل . (٣) أسكفة الباب : عتبة .

(٤) الحديث رواه البيهقي وابن ماجه في سننه ، عن عبدالله بن عثمان الوقاصي ،

قال عنه ابن معين : لا أعرفه وقال أبو حاتم : يروى أحاديث مشبهة .

الباب السابع والعشرون

في تكليم الظبية (٢) له

• عن أبي سعيد الخدري قال : مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بظبية مربوطة إلى خباء فقالت : يا رسول الله ، حُتِّي حتى أذهب فأرضع خِشْيَ (٢) ثم أرجع فتربطني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .
« صَيِّدُ قَوْمٍ وربطة قوم » فأخذ عليها ، فخلفت له ، فخلَّها .
فما مكثت إلا قليلا حتى جاءت ، وقد نفضت ما في ضرعها .
فربطها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم أتى خباء أصحابها . فاستوهبها منهم ، فوهبوها له ، فخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• عن ابن عباس قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم في بعض شأنه ، فإذا هو بظبية في رحل قوم ، فنادته : يا رسول الله . فوقف وقال : ما شأنك ؟

(١) روى حديث الظبية البيهقي من طرق من حديث أبي سعيد ، وضعفه جماعة من الأئمة . وذكره القاضي عياض في الشفاء بلا سند عن أم سلمة . ورواه أبو نعيم في الدلائل بإسناد فيه مجاهيل .

قال السخاوي : حديث الغزاة اشتهر على الألسنة وفي المدائح النبوية وليس له - كما قال ابن كثير - أصل ، ومن نُسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد كذب .
(٢) قال في المصباح : الحشف (بكسر الحاء) ولد الغزال . يطلق على الذكر والأنثى والجمع خشوف . مثل حمل وحمول .

قالت : إن لي خشفين وها جياع ، فأطلقني لأنتلق فأرويهما ، وأرجع إليك فتشدني .

قال : أتفعلين ؟ قالت : نعم ، وإلا يعذبنى الله عذاب العشار (١) .
فغلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس مكانه ، فما لبث أن جاءت وضرعها فارغ من اللبن .
فرق لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستوهبها من الرجل ، فوهبها له فأطلقها .

• عن أم سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحراء ، فإذا مناد ينادى : يا رسول الله . فالتفت فلم ير شيئاً . ثم التفت فإذا ظبية موثوقة فقالت : يا رسول الله ، أدن مني . فدنا منها فقال : هل لك من حاجة ؟ قالت : نعم ، إن لي خشفين في ذلك الجبل ، فحللتني حتى أذهب فأرضعهما ، ثم أرجع إليك قال : وتفعلين ؟ قالت : عذبنى الله عذاب العشار ، إن لم أفعل .

فأطلقها ، فذهبت فأرضعت خشفيهما ، ثم رجعت ، فأوقفها النبي صلى الله عليه وسلم .

وانتبه الأعرابي فقال : ألك حاجة يا رسول الله ؟ قال : نعم ، تطلق هذه . فأطلقها ، فذهبت تعدو وتقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنتك رسول الله .

(١) العشار : المكاس . يعنى [الذى يأخذ الضرائب على أموال الناس وعلى تجارتهم] .

الباب الثامن والعشرون

في كلام الضب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

• عن ابن عمر أن أعرابياً صاد ضَبًّا ، فجعله في كُمِّه ، يريد أن يحمي
إلى أهله فيذبحه ويشويه ، ويأكله ، فإذا هو بجماعة فقال : ما هذه الجماعة ؟
قالوا : على رجل يذكر أنه نبي ، وهو محمد بن عبد الله .
فجاء حتى شقَّ الناس ، ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
واللات والعزى ، ما سلَّمْتُ على ذى مُهْجَةٍ أبغض إلىَّ منك (١) ، ولولا
أن يُسمَّيني قومي العَجُول ، لعجَلْتُ عليك فقتلتك فسَرَرْتُ بقتلك الأسود
والأبيض ، وأرحْتُ بنى هاشم وغيرهم ، إذ تسبُّ آلَ هتنا .
فعرَفه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أخا بنى سليم : ما حملك على
الذى قلتَ ، ولم تكرمنى في مجلسى ؟
قال : وفكَلْتَنى أيضاً اللات والعزى (٢) ، لا آمَنت بك ، حتى يؤمن
بك هذا الضب . فطرح الضب بين يديه .
فقال عمر : ائذن لى أضرب عنقه .
فقال : أما علمت أن الحليم كاد يكون نبيا !

(١) في شرح المواهب عند الدارقطنى : فاتاه فقال : يا محمد ما اشتملت النساء
على ذى لهجة أ كذب منك .

(٢) كذا بالأصل . والرواية عند ابن كثير البداية ١٩٤/٦ : وتكلمنى أيضاً
— استخفاها بالرسول — واللات والعزى الخ . ولعلها أصوب مما هنا .

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الضب فقال له : يا ضب .

قال : لبيك وسعديك . بلسان عربي مبين يفهم القوم جميعاً .

فقال له : يا ضب من تعبد ؟

قال : الذى فى السماء عرشه ، وفى الأرض سلطانه ، وفى البحر سبيله ،

وفى الجنة رحمته ، وفى النار عقابه .

قال : فمن أنا ؟ قال : رسول رب العالمين ، وخاتم النبيين ، قد أفلح من

صدقك ، وخاب من كذبتك .

قال الأعرابي : لا أبتغى أثراً بعد عين ! أشهد أن لا إله إلا الله وحده

لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، بشعري وبشري ، وسري وعلايتي .

والله لقد أتيتك ، وما على وجه الأرض أحد هو أبغضُ إلىَّ منك ،

ولأنتَ الآن ، أحب إلى من سمعي وبصري ، ووالدي ، وولدي .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى هدانا لهذا .

• عن ابن عباس قال : خرج أعرابي من بني سليم يتبدى فى البرية ،

فإذا هو بضب ، فاصطاده ، ثم جعله فى كفه ، ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فناده :

يا محمد ، أنت الساحر ، ولولا أنى أخاف أن قومى يسمونى العجول

لضربتك بسيفي هذا .

فوثب له عمر ليطش به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

اجلس أبا حفص ، فقد كاد الخليم يكون نبيا .

ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأعرابي ، فقال له :

أَسْلَمَ تَسْلَمَ مِنَ النَّارِ .

فَقَالَ : وَاللَّاتِ وَالْعِزَّى ، لَا أَوْ مِنْ حَتَّى يُؤْمِنَ بِكَ هَذَا الضُّبُّ .

ثُمَّ رَمَى الضُّبَّ مِنْ كُمِهِ . فَوَلَّى الضُّبُّ هَارِباً .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّهَا الضُّبُّ أَقْبِلْ . فَأَقْبَلَ .

فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنَا ؟ قَالَ : أَنْتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .

ثُمَّ أُنْشَأَ الضُّبُّ يَقُولُ :

أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ صَادِقٌ فَبُورِكَتَ مَهْدِيًّا وَبُورِكَتَ هَادِيًّا
شَهَرْتَ لَنَا دِينَ الْخَنِيفَةِ بَعْدَ مَا عَبَدْنَا كَأَمْثَالِ الْحَمِيرِ الطَّوَاعِيَا
فَيَا خَيْرَ مَدْعُوٍّ وَيَا خَيْرَ مُرْسَلٍ إِلَى الْجِنِّ ثُمَّ الْإِنْسِ لَتَبْنِكَ دَاعِيَا
أَتَيْتَ بِيُرْهَانَ مِنَ اللَّهِ وَاضِحٍ فَأَصْبَحْتَ فِينَا صَادِقَ الْقَوْلِ وَاعِيَا
فَبُورِكَتَ فِي الْأَحْوَالِ حَيًّا وَمَيِّتًا وَبُورِكَتَ مَوْلُودًا وَبُورِكَتَ نَاشِيَا

ثُمَّ سَكَتَ الضُّبُّ ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ . وَاعْجِبًا ! ضُبٌّ اصْطَدَتْهُ مِنَ الْبَرِّيَّةِ ،
ثُمَّ أَتَيْتَ بِهِ فِي كَتَمِي ، يَكْلِمُ مُحَمَّدًا بِهَذَا الْكَلَامِ ، وَيَشْهَدُ لَهُ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ ! !

أَنَا لَا أَطْلُبُ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَأَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ .

ثُمَّ انْتَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ . فَقَالَ : عَلِمُوا الْأَعْرَابِي سَوْرًا مِنَ الْقُرْآنِ (١) .

(١) حَدِيثُ الضُّبِّ هَذَا مَشْهُورٌ عَلَى الْأَلْسِنَةِ وَلَكِنَّهُ غَرِيبٌ ضَعِيفٌ . قَالَ الْمَرْزِيُّ :
لَا يَصِحُّ إِسْنَادُهُ وَلَا مَتْنُهُ . وَهُوَ مَطْمُونٌ فِيهِ وَقِيلَ إِنَّهُ مَوْضُوعٌ .
انْظُرْ شَرْحَ اللُّوَاهِبِ ٤/١٤٨ — ١٤٩ .

فصل

فإن قال قائل : ما رويتم من المعجزات لم يُنقل نقل التواتر .
قلنا : مجموع الوقائع يورث علماً ضرورياً ، كشجاعة عليّ ، وجُود حاتم .
ثم عندنا ، القرآن الذي لا يُرتاب فيه ، فمعجزه قائم أبداً ، ينادي على
منار التحدى : « فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ » .
ثم إذعان الملوك لنبينا صلى الله عليه وسلم مع فقره وضعفه ، وإقرار أهل
الكتاب بصفته ، من أكبر الأدلة .

الباب التاسع والعشرون

في إجابته اليهود على مسائل لا يعلمها إلا نبي

• عن أنس أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقدمه المدينة ، فقال : يا رسول الله ، إني سألك ثلاث خصال ، لا يعلمهن
إلا نبي .

قال : سَلْ . قال : ما أول أشرط الساعة ؟ وما أول ما يأكل منه
أهل الجنة ؟ ومن أين يُشبه الولدُ أباه وأمه ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبرني بهن جبريل آتفاً .

قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة .

قال : أمّا أول أشرط الساعة : فنار تحترق إلى المشرق تخرج
من المغرب .

وأمّا أول ما يأكل منه أهل الجنة ، فزيادة كبد الحوت .

وأمّا شبه الولد أباه وأمه : فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نَزَعَ إليه
الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إليها .

فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله .

ثم قال : يا رسول الله ، إن اليهود قومٌ بَهْتٌ ، وإنهم إن يعلموا بإسلامي
يَهْتَفُونِ عندك ، فأرسل إليهم فاسألم عن أيِّ رجل ، ابنُ سلام فيكم ؟

فأرسل إليهم فقال : أيُّ رجل ابنُ سلام فيكم ؟

قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وعللنا وابن عللنا ، وأفقهنا وابن أفقهنا .

قال : أرأيتم إن أسلم عبد الله ؟ قالوا : أعاذه الله من ذلك !

قال : فخرج ابنُ سلام فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

فقالوا : شرُّنا وابن شرِّنا ، وجاهلنا وابن جاهلنا .

فقال : هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله .

انفرد بإخراجه البخارى .

• عن ابن عباس قال : أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا أبا القاسم ، نحن نسألك عن خمسة أشياء ، فإن أنت أنبأتنا بها ، عرفنا أنك نبي واتبعناك .

قال : فأخذ عليهن ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قالوا : والله على ما نقول وكيل .

قالوا : حدثنا عن علامة النبي .

قال : تنام عيناه ولا ينام قلبه .

قالوا : أخبرنا كيف تؤنث المرأة ، وكيف تُذكر ؟

قال : يلتقي الماءان ، فإن علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت ، وإن علا ماء الرجل ماء المرأة أذكّرت .

قالوا : صدقت .

قالوا : ما حرّم إسرائيل على نفسه ؟

قال : كان يشتهي عرق النساء فلم يجد شيئاً يلائمه ، إلا ألبان الأبل ، فحرم لحومها . قالوا : صدقت .

قالوا : أخبرنا ما هو الرعد ؟

قال : ملك من الملائكة ، موكل بالسحاب ، بيده أو في يده ، مخراق من نار ، يزجر به السحاب ويصرفه حيث أمره الله تعالى .

قالوا : فما هذا الصوت الذى يُسمع ؟ قال : صوته .

قالوا : صدقت .

إنما بقيت واحدة ، وهى التى إن أخبرتها بها ، اتبعناك ، أنه ليس من نبي إلا يأتيه ملك بالخبر من السماء ، فمن يأتيك بالخبر من صاحبك ؟

قال : جبريل .

قالوا : جبريل ! ذاك الذى ينزل بالحرب والقتال ، ذاك عدونا من

الملائكة ، لو قلت ميكائيل ، الذى ينزل بالرحمة والنبات والقطر !

فأنزل الله تعالى : « مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ -

الآية » (البقرة ٩٧) .

• عن عبد الله قال : مر يهودى برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

يحدث أصحابه . فقالت قریش : يا يهودى : إن هذا يزعم أنه نبي .

قال : لأسأله عن شيء لا يعلمه إلا نبي .

قال : فجاء حتى جلس ثم قال : يا محمد ، مم يخلق الإنسان ؟

قال : يا يهودى من كلِّ يُخلق ، من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة .

فأما نطفة الرجل ، فنطفة غليظة ، منها العظم والعصب .

وأما نطفة المرأة ، فنطفة رقيقة ، منها الدم واللحم .

فقام اليهودى فقال : هكذا كان يقول من قبلك .

• عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء خبر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد .

فدفعته دفعة كاد يُضرع منها ، فقال : لم تدفعني ؟

فقلت : ألا تقول يا رسول الله !

فقال اليهودي : إنما أدعوه باسمه الذي سماه به أهله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي .

فقال اليهودي : جئت أسألك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل ينفعك شيء ، إن حدثتك ؟

قال : أسمع بأذني .

فنفك رسول الله صلى الله عليه وسلم بعودٍ معه . فقال : سل .

فقال اليهودي : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض

والسموات ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : في الظلمة دون الجسر .

قال : فمن أول الناس إجازة ؟ قال : فقراء المهاجرين .

قال اليهودي : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟

قال : زيادة كبد النون .

قال : فما غذاؤهم في أثرها .

قال : يُنجر لهم ثور الجنة ، الذي كان يأكل من أطرافها .

قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : من عين فيها تسى سلسبلا .

قال : صدقت .

قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من الأرض ، إلا نبي
أورجل أو رجلان .

قال : ينفعك إن حدثتك ؟ قال : أسمع بأذني ، جئت أسألك عن الولد .

قال : ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا ، فعلا مَنِيَّ
الرجل مَنِيَّ المرأة ، أذكرا ياذن الله ، وإذا علا مَنِيَّ المرأة مَنِيَّ الرجل ،
أنثا ياذن الله .

فقال اليهودي : لقد صدقت ، وإنك لنبي . ثم انصرف .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد سألتني هذا عن الذي سألتني عنه
ومالي علم بشيء منه ، ثم أتاني الله به .

انفرد بإخراجه مسلم .

الباب الثلاثون

في رؤيته الأشياء من وراء ظهره

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبل علينا بوجهه قبل أن يكبر ، فيقول : تراصوا واعتدلوا ، فإني أراكم من وراء ظهري .

• عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل ترون قبلي ها هنا ، فوالله ما يخفى عليّ خشوعكم ولا ركوعكم ، إني لأراكم من وراء ظهري .

الحديثان في الصحيحين .

• عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقبلوا الصفوف ، فإني أراكم من خلف ظهري .

الباب الحادي والثلاثون

في أنه كان يرى في الظلمة كما يرى في الضوء .

• عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة ، كما يرى في الضوء .

الباب الثاني والثلاثون

في إجابة دعائه

- عن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر :
أين على ابن أبي طالب ؟
فقيل : هو يشتكى عينيه .
قال : فأرسلوا إليه ، فأتي به ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عينيه ، ودعاه ، فبرئ ، كأن لم يكن به وجع .
أخرجه .
- عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : كان أبي يَسْمُرُ مع عليٍّ ،
وكان عليٌّ يلبس ثياب الصيف في الشتاء ، و ثياب الشتاء في الصيف .
فقيل : لو سألتَه ، فسأله ، فقال :
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليَّ ، وأنا أرمدُ العين يومَ خيبر .
فقلت : يا رسول الله ، إني أرمدُ العين . ففعل في عيني وقال :
اللهم أذهب عنه الحرَّ والبردَ . فما وجدتُ حرًّا ولا بردًا ، منذ يومئذ .
- عن يعلى بن مُرَّة قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر ، حتى إذا كنا ببعض الطريق ، مررنا بامرأة جالسة معها صبي
لها ، فقالت :
يا رسول الله ، هذا أصابه داء يؤخذ في النوم ، ما أدرى كم مرة .

قال : ناوليني . فدفعته إليه . فجعله بينه وبين واسطة الرجل ، ثم
فرفاه (١) فتغل فيه ثلاثاً ، وقال : « بسم الله ياعبد الله ، احسأ ياعدو الله »
ثم ناولها إياه .

وقال : « القينا في الرجعة في هذا المكان ، فأخبرينا ما فعل .

قال : فذهبنا ورجعنا ، فوجدناها في ذلك المكان معها شياه ثلاث .

فقال : « ما فعل صبيك ؟ » قالت : والذي بعثك بالحق ، ما حسسنا
منه شيئاً حتى الساعة ، فاجترر هذا الغنم .

قال : انزل نخذ منها واحدة ، ورُدَّ البقية (٢) .

• عن ابن عباس ، أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم . فقالت : يا رسول الله ، إن به كمأً وإمناً يأخذه عند طعامنا .

قال : فسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ودعا ، فتع ثمة (٣)
نفرج من فيه ، مثل الجرو الأسود . فسمى (٤) .

• عن أنس بن مالك قال : أصابت الناس سنة على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة ، إذ قام
أعرابي فقال : يا رسول الله ، هلك المال ، وجاع العيال ، فادع الله أن يسقينا .
فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وما في السماء قرعة (٥) .

(١) فرفاه . أى : فتحه . (٢) أخرجه الإمام أحمد .

(٣) ثغ : قاء . وقيل : سعل .

(٤) تفرد به أحمد . وفيه فرقد السنجي وهو سبيء الحفظ .

(٥) القرعة : القطة من السحاب .

فتار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأينا المطر يتحادر على لحيته .

قال : فمطرنا يومنا ومن الغد وبعد الغد ، والذي يليه ، إلى الجمعة الأخرى .

فقام ذلك الأعرابي ، أو رجل غيره فقال :

يا رسول الله ، تهدم البناء ، وغرق المال ، فادع الله لنا .

فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وقال : اللهم حوالينا ولا علينا .

قال : فما جعل يشير بيديه إلى ناحية من السماء إلا انفرجت ، حتى صارت المدينة في مثل الجوبة^(١) حتى سال الوادي قناة شهراً .

قال : ولم يحمي أحد ، إلا حدث بالجود . أخرجاه^(٢) .

• عن أنس بن مالك أنه سئل : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضع يديه في الدعاء ؟

قال : نعم ، بينما هو في جمعة يخطب الناس ، فقيل له : يا رسول الله قحط المطر ، وأجذبت الأرض ، فادع الله عز وجل .

فرفع يديه ، حتى رأينا بياض إبطيه ، فاستسقى وما في السماء سحابة .

فما قضينا الصلاة ، حتى إن الشاب القريب الدار ليئمه الرجوع إلى أهله ، فدامت جمعة . فلما كانت الجمعة الأخرى ، قالوا :

يا رسول الله ، تهدمت البيوت ، واحتبس الركبان ، وهلك المال .

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال بيده هكذا ، ففرق

بين يديه : « اللهم حوالينا ولا علينا » . قال : فتكشطت عن المدينة .

(١) قال في الصحاح : الجوبة : الفرجة في السحاب وفي الجبال . وانجابت

السحابة : انكشفت . والجوبة أيضاً : الحفرة المستديرة الواسعة ، أى : صار الغيم والسحاب محيطاً بآفاق المدينة . (٢) في مواضع من كتاب الصلاة .

• عن عائشة بنت سعد أن أباهما حدثها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل وادياً دَسَّاً لا ماء به ، وسبقه المشركون إلى القلب ، فنزلوا عليها ، وأصاب المسلمين العطش ، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونجم النفاق^(١) .

وقال : بعض المنافقين : لو كان نبياً كما يزعم ، لاستسقى لقومه كما استسقى موسى .

فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أو قالوها ! عسى أن يسقيكم .
ثم بسط كفيه وقال :

« اللهم جَلِّنا سحاباً كثيفاً مُقَدَّوداً ، تضحك منه الأرجاء ، تُمَطِّرنا منه رذاذاً قد قطع ، سَجَلاً نعاقاً^(٢) ، يا ذا الجلال والإكرام . »

فما ردَّ يديه من ردائه ، حتى أظلمت سحابة تتلون في كل صفة وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفات السحاب .

قال : ثم أمطرتنا الغروب التي قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقم السيل الوادي ، فشرب الناس وارتووا .

• عن أنس قال : لما كان يوم الحديبية ، دبط إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثمانون رجلاً من أهل مكة في السلاح ، من قبل جبل التنعيم ، يريدون غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدعا عليهم ، وأخذوا ملأ عنان فعفا عنهم ، ونزلت هذه الآية : « وَهُوَ الَّذِي كَفَّ

(١) نجم النفاق . معناه : ظهر واستعلن واضحا .

(٢) الرِّدَّاد : المطر الضعيف ، والسَّجَل المطر الغزير . والنعاق المرتفع الصوت .

يَدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيِّدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ
أَعْلَيْنَهُمْ» (١).

- عن عمرو بن أخطب قال : استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماءً ، فأتيته بقدر فيه ماء ، وكانت فيه شعرة فأخذتها ، فقال : اللهم بجله . قال : فرأيتُه وهو ابن أربع وتسعين سنة ، ليس في لحيته شعرة بيضاء .
- عن أنس قال : دعا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم أكثر ماله وولده ، وأطول حياته .
- فأكثر الله مالي ، حتى إن كنز مالي يُحْمَلُ في السنة مرتين ، وولدي لصلبي ، مائة وستة .

- عن نوفل ، عن أبيه قال : كان ابن أبي لهب يسبُّ النبي صلى الله عليه وسلم واسمه عتبة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم سلط عليه كلباً من كلابك » .

فخرج يريد الشام في قافلة مع أصحابه ، فنزلوا منزلاً فقال : والله إني لأخاف دعوة محمد . قال : فقالوا له : كلاً .

قال : فخطوا المتاع وقعدوا حوله يحرسونه . قال : فجاء السبع ، فانتزعه فذهب به .

- عن جابر ، عن بلال قال : أذَّنتُ بالصبح في ليلة باردة ، فلم يأت أحد ، ثم أذَّنتُ فلم يأت أحد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما شأنهم يا بلال ؟

قلت : كبدم (٢) البرد . فقال : « اللهم اكسر عنهم البرد » .

(١) سورة الفتح آية ٢٤

(٢) كبدم : شق عليهم وضيق ، من الكبد وهو الشدة والضييق . أو أصاب أكبداً ، وهو أشد البرد . النهاية ٢/٤ .

قال بلال : فلقد رأيتم يتروحون :

• عن أنس ، أن أبا طالب مرض ، فعاده النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : يا بن أخي ، ادعُ ربك الذي تعبد به أن يعافيني .

قال : « اللهم اشفِ عمي » فقام أبو طالب ، كأنما أنشط من عقال .

قال : يا بن أخي ، إن ربك الذي تعبد به كيطيعك .

قال : وأنت يا عماء ، لو أطعت الله لأطاعك .

* * *

فصل

ولما ظهرت معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تبعه المؤمنون عملاً بالدليل ، لا تقليداً .

ولهذا كانوا يتعرضون ليعرفوا السبب ، فيقولون : واصلت ونهيتنا ، وفعلت كذا . فيبين لهم سبب ذلك :

فلما أذعن له القلوب وشاع الإسلام ، صليت قلوب مكذبيه وحاسديه .

فرضى اليهود بالخلود في النار ، اتباعاً لمقتضى الحسد ، مع علمهم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخذ قوم يقولون ، بزعمهم ، مثل القرآن ، كسيلة فإنه قال : يا خفدع نقي كم تنقين .

وسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على رأس صبي فبنت شعره ، فمسح على رأس صبي فقرع .

وبلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم بصق في بئر فحاشت بالرى ، فبصق
هو في بئر فيست .

* * *

فلما فشا الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتحت البلدان ،
اجتمع جماعة من الملحدين فقالوا : لا طاقة لنا بالمسلمين ، فهلوا حتى نظهر
الإسلام وتدخل فيه الآفات .

وهم الباطنية ، يظهرون الإسلام والتعبد ، ومقصودهم الجهال
واصطيادهم .

فإذا تملكوا منهم ، كاشفوا بالإلحاد .

قال ابن عقيل : لو اجتمعت برئيس الباطنية ، سلكت معه طريق
الإزراء على عقله وعقول أتباعه .

فكنت أقول : الآمال طرق ووجوه ، ووضع الأمل في جهة الإياس
مُحَقَّق .

وقد طبقت شريعة الإسلام الأرض وتمكنت .

فلها تجمع كل سنة بعرفة ، وكل أسبوع في الجمعة ، ومجامع في المساجد .
فتى تحدّثون أنفسكم بتكدير هذا البحر الزاخر وتمحيق هذا الأمر
الظاهر في الآفاق ، وكل يوم يؤذّن على مائتي ألف منار باسم هذا الرسول .
وغاية ما أنتم عليه حديث في خلوة ، لو ظهر لم يؤمن هلاك قائله .

فلا أعرف أحقّ منكم !

هذا إلى أن يحىء باب المناظرة !

* * *

قال المصنف : وقد اندس جماعة من الملحدين في المسلمين ، كأبي العلاء
المعري وابن الراوندي قبله ، فأتانا على أقبح صفة .
واندس منهم جماعة في المحدثين ، فوضعوا أحاديث يقصدون بها شين
الشريعة وتناقضها .

فأظهر الله علماء يكشفون فضائحهم ويبينون الصواب من الخطأ .
وأظهر قوم التكهن ، فأقبلوا يخبرون عن الغيوب ، وأخذ قوم
يتكلمون على ما في القلوب ، والمنجم عما يكون غداً .
كل ذلك ليظهروا أن دين الإسلام لم يأت بمعجزة .
ويأبى الله إلا أن يتم نوره .

* * *

قال ابن عقيل : ومن أكبر الدلائل على صدق نبينا صلى الله عليه وسلم
أن الباري سبحانه ، إنما يمهّل الكذاب يسيراً ، ثم يستأصله بالعذاب :
فيجوز أن يمهّل من يكذب عليه سنين ، ثم يثبت شريعته بعده ؟ !
وقد أقدم على نسخ شريعتين قبله ، وحلّل السبت ، ثم ينصر أتباعه
على الأمم ويؤيد حكمته بالإعجاز ؟ !
حاشاه أن يفعل ذلك ، إذ لو فعله لم يتبين الصدق من الحال .
ألم تسمعه تعالى يقول : « وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلَ لَأَخَذْنَا
مِنْهُ بِالْيَمِينِ » (الحاقة ٤٤ و ٤٥) .
فمن طعن في صدقه ، طعن في عدل الباري وحكمته ، لأن الطعن يتوجه
على المعين .

قال : ولقد فاضت أشعة معجزاته على أصحابه .
فكتب عمر إلى نيل مصر ، ونادى سارية ، فأسمعه .
وجيء بكنوز كسرى ، قسمت في مسجده صلى الله عليه وسلم .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
كلمة الناشر	٣	يهودى يعترف بذكر محمد	٨٨
مقدمة للمصحح	٥	في التوراة	٨٩
مقدمة للمؤلف	٢١	أخبار اليهود يخبرون تبعاً	٩٠
تراجم الأبواب	٢٣	بظهور محمد وصفته	٩٠
أبواب بداية نبينا	٦٥	الزبير بن باطا يعرف محمداً ثم	٩٢
ذكر التنويه بذكر نبينا	٦٧	ينسكروه	٩٤
ذكر الطينة التي خلق منها	٧٠	اليهود ينكرون نبوة محمد حسداً	٩٨
دعاء إبراهيم الخليل بإيجاد محمد	٧٢	عمر بن الخطاب يسأل أخبار	٩٩
بيان ذكره في التوراة والإنجيل	٧٣	اليهود	١٠٠
« يجدونه مكتوباً عندهم »	٧٤	حديث أبي سفيان عن أمية	١٠٢
ميثاق الله على النبيين	٧٤	ابن أبي الصلت	١٠٣
صفة رسول الله في التوراة	٧٥	حديث عاصم بن عمر بن قتادة	١٠٤
روايات عن كعب الأحبار	٨١	عن اليهود	١٠٥
خبر عن مالك بن سنان	٨٢	قصة سلمان الفارسي	١٠٦
معرفة أبي عامر الراهب بالرسول	٨٣	حديث جبير بن مطعم عن	١٠٧
استفتاح اليهود على الأوس	٨٤	نضاري بصري	١٠٨
والخزرج بمحمد	٨٤	حديث صفية بنت حي عن	١٠٩
للنيرة بن شعبة يحكي عن المقوقس	٨٦	أبيها وأُمها	١١٠
الراهب يخبر ورقة بن نوفل	٨٦	حديث غيريق اليهودي وإسلامه	١١١
عن محمد	٨٧	للمشركون يسألون أخبار اليهود	١١٢
كيف سماك أبوك محمداً ؟	٨٧	عن محمد	١١٣
خبر عن سلة بن وقش	٨٧	إسلام عمرو بن عبسة	١١٤

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
ذكر طريق مكة في شعيا .	١٢٢	خبر أساقفة نجران	١٠٦
ذكر الحرم في كتاب شعيا	١٢٣	«خبر الذين اسودت وجوههم»	١٠٦
تعليق لابن قتيبة على هذه الاخبار	١٢٣	خبر سهل مولى عثيمة النصراني	١٠٦
رتميق لمؤلف فيها	١٢٥	خبر عن عمر بن شمس	١٠٧
إعلام كعب بن غالب بخته	١٢٦	بما أوحى الله إلى عيسى	١٠٧
صلى الله عليه وسلم	١٢٦	حديث لوهب بن منبه عن شعيا	١٠٨
ذكر منام رآه نصر بن ربيعة		رجل من أهل الشام يبشر نساء	
يدل على وجوده صلى الله		قريش بمحمد	١٠٨
عليه وسلم	١٢٨	من أعلام نبينا الموجودة في التوراة	١٠٩
ذكر نسب محمد صلى الله عليه وسلم	١٣١	تعليق لابن قتيبة على هذا الخبر	١٠٩
ذكر طهارة آباءه وشرفهم	١٣٢	ومن أعلامه في التوراة «جاء الله	
بيان أن جميع العرب ولدوا		من سيناء . . .»	١١٠
رسول الله	١٣٤	«إني أقيم لبي إسرائيل نبياً من	
قوله: «ولدت من نكاح»	١٣٥	إخوتهم . . .»	١١١
ذكر منام رآه عبد المطلب يدل		من أقوال حقبو النبي	١١٢
على وجوده	١٣٦	من ذكر شعيا لمحمد صلى الله	
ذكر منام رآه خالد بن سعيد		عليه وسلم	١١٤
ابن العاص	١٣٨	من قول كعب عن الرسول	١١٤
ذكر منام رآه عمرو بن مرة		من ذكر شعيا لمحمد	١١٤
الجهني	١٣٩	من ذكر داود له	١١٤
ذكر تزويج عبد المطلب وابنة		من ذكر شعيا له يصفه بركوب	
عبد الله إلى بني زهرة	١٤٥	الجل	١١٦
ذكر عبد الله أبي نبينا	١٤٦	ذكر النبي في الإنجيل	١١٧
تزوج عبد الله أمة بنت وهب	١٤٨	ذكر مكة والحرم في الكتب	
ذكر ماجرى لأمة في حملها		للتقدمة	١١٩
بالرسول	١٥٢		

الترتيب	الموضوع	الترتيب	الموضوع
٢١٦	كفالة أبي طالب رسول الله	١٥٣	ذكر وفاة عبد الله بن عبد المطلب
	خروج الرسول إلى الشام مع	١٥٤	مولد نبينا صلى الله عليه وسلم
٢١٨	عمه أبي طالب ولقائه بحيرى	١٥٦	قصة الفيل
٢٢٣	حضور الرسول حزن الفجار		ذكر ما جرى عند وضع آمنة
٢٢٥	حضوره حلف الفضول	١٦٠	رسول الله
	ذكر ما كان رسول الله يتعبد به	١٦٤	ولادته مسروراً مختوناً
٢٢٨	قبل النبوة		ذكر الحوادث التي كانت ليلة
	ذكر حالة جرت لرسول الله مع	١٦٥	ولادته
٢٣١	اللائكة وهو ابن عشرين سنة		ذكر أمهات الحوادث في سنيه
٢٣٣	ذكر رعيه الغنم	١٦٩	صلى الله عليه وسلم
٢٣٤	« اشتغاله بالتجارة قبل النبوة	١٧٣	ذكر أسماء نبينا محمد
	« خروجه إلى الشام في تجارة	١٧٦	« كنيته
٢٣٥	خديجة	١٧٨	« أول من أرضعه
٢٣٧	تزوج به بخديجة	١٨٠	« حليمة التي أرضعته بعد ثوية
	شهود رسول الله بنيان الكعبة	١٨٥	« شرح صدره في صفه
٢٣٩	ووضعه الحجر بيديه		« ما جرى لرسول الله بعد
٢٤١	أبواب نبوته صلى الله عليه وسلم :	١٩٣	تمام خمس سنين
٢٤٤	ذكر المواقف بنبوة نبينا	١٩٥	ذكر وفاة أمه آمنة
٢٥٣	إعلام الوحش بنبوته		« كفالة عبد المطلب
	ذكر أمارات النبوة التي رآها	١٩٩	لرسول الله
٢٥٥	رسول الله قبل بعثه		ذكر خروج عبد المطلب
	ذكر تسليم الأحجار والأشجار	٢٠١	برسول الله يستسقون به
٢٥٧	عليه		خروج عبد المطلب لتهنئة سيف
٢٥٨	ذكر بدء الوحي	٢٠٤	ابن ديزن، وبشارة سيفه
	« تعليم جبريل رسول الله	٢١٣	ذكر موت عبد المطلب
٢٦٦	الوضوء والصلاة		

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
ذكر ما كتبه المشركون من		ذكر صلاة رسول الله في بداية	
التبري من بني هاشم وبني المطلب	٣١٤	النبوة بخديجة وعلى	٢٦٨
ذكر ما جرى لرسول الله مع		صفة نزول الوحي عليه	٢٧٠
ضداد الأزدى	٣١٩	ذكر الخلاف فيمن قرن برسول	
ذكر ما جرى لرسول الله مع		الله من اللائكة في نبوته	٢٧٦
عتبة بن ربيعة	٣٢١	سؤال رسول الله ربه أن يريه	
ذكر ما أشار به الوليد على		آية تقوى ما عنده	٢٧٧
قرش في أمر رسول الله	٣٢٣	رمى الشياطين بالشهب حين	
ذكر ما جرى لرسول الله مع		بعث ، وتنكيس الأصنام	٢٧٨
الطفيل بن عمرو	٣٢٦	ذكر ما وقع من التغير في أحوال	
ذكر ما جرى لرسول الله مع		كسرى أبريز عند مبعثه	
أبي طالب عند موته	٣٣٠	صلى الله عليه وسلم	٢٨٢
ذكر ما جرى لرسول الله بعد		ذكر دعاية رسول الله الناس	
موت أبو طالب وخديجة	٣٣٥	إلى الإسلام	٢٨٩
ذكر ما جرى لرسول الله في		ذكر إنذار رسول الله في المواسم	٢٩١
خروجه إلى الطائف	٣٣٧	» إنذاره عشيرته	٢٩٢
دخول رسول الله مكة لما رجع		» عموم رسالته	٢٩٦
من الطائف	٣٤٣	» إرساله إلى الجن	٢٩٧
عرض رسول الله نفسه على القبائل		» كونه خاتم النبيين	٢٩٨
في المواسم	٣٤٤	» ما لاقى رسول الله من	
تعليق لابن الجوزي على دخول		أذى الكفار وهو صابر	٢٩٩
الرسول في خفارة كافر وعرض		ذكر ما روى عن إيمان أكمهم	
نفسه على القبائل	٣٤٥	ابن صيفي برسول الله	٣٠٧
ذكر ما جرى لرسول الله مع		أمر رسول الله أصحابه بالخرع	
الأنصار سنة إحدى عشرة		إلى أرض الحبشة	٣٠٩
من النبوة	٣٤٦		

الموضوع	الترتيب	الموضوع	الترتيب
ذكر لقاء رسول الله	٣٤٩	ذكر معراج رسول الله	
ابن سلام حين دخل المدينة	٣٩٨	« لقاء رسول الله الأنصار	
فضل المدينة	٣٩٩	في العقبة الثانية في سنة ثلاث	
ذكر بناء مسجد الرسول	٤٠٠	عشرة من النبوة	
فضل مسجد رسول الله صلى الله		علم قریش ما جرى للأنصار	
عليه وسلم	٤٠٣	وما تشاوروا أن يفعلوا في ذلك	
ذكر ما بين بيته ومنبره	٤٠٤	أبواب هجرته إلى المدينة :	
ذكر بيوت رسول الله ومنازل		ذكر خروج رسول الله إلى الفار	
أزواجه	٤٠٥	« ذكر ما جرى في الفار	
دعاء رسول الله أن يحبب الله		« ما جرى له في طريقه إلى	
إلى أصحابه المدينة	٤٠٧	المدينة	
صلاته إلى بيت المقدس وتحويل القبلة	٤٠٨	ذكر حديث أم معبد	
ذكر الوقت الذي حولت فيه	٤٠٨	تورية أبي بكر عن رسول الله	
نزول فرض رمضان	٤٠٩	في طريقهم إلى المدينة	
ذكر أن رسول الله كان يحرس		لقاء رسول الله في طريق المدينة	
بالمدينة	٤٠٩	بريدة الأسلمي وتفاؤله باسمه	
أبواب معجزاته :	٤١١	وخدمة بريدة إياه	
كانت صورة نبينا وهيئته وسمته		ذكر تلقى أهل المدينة رسول الله	
تدل المقلاد على صدقه	٤١٢	ودخوله إليها	
ذكر معجزه الأكبر وهو		ذكر اليوم الذي قدم فيه رسول الله	
القرآن العزيز	٤١٣	إلى المدينة	
أوجه إعجاز القرآن	٤١٣	ذكر المكان الذي نزل به حين	
عجز العرب عن معارضته	٤١٥	دخل المدينة	
رد ابن عقيل على من قال إن		ذكر فرح أهل المدينة بقدمه	
إعجاز القرآن بالعرفه	٤١٧	صلى الله عليه وسلم	

الصفحة	الموضوع	الرقم	الموضوع
	رأى المؤلف في ذلك	٤١٧	رميه في وجوه المشركين بكف
٤٦٥	معنى حفظ الله للقرآن	٤١٨	من تراب قملاً أعينهم
٤٦٦	الدليل على أن القرآن ليس من		إشارته إلى الأصنام فوقت
٤٦٧	قول الرسول	٤١٩	إخبار رسول الله بالغائبات
	هل يوضع للقرآن ترجمة ؟	٤١٩	معنى : « إذا هلك كسرى فلا
٤٦٧	رأى ابن عقيل في ذلك	٤٢٠	كسرى بعده »
	معيان عييان للمؤلف في إعجاز		تعليق لابن عقيل على دلالة إخبار
٤٨٥	القرآن	٤٢٠	للرسول بالغائبات
٤٨٦	معجزه بشق القمر	٤٢٢	إلانة الصخر له
٤٨٨	إظهار معجزاته في تكثير الطعام	٤٢٤	ذكر حنين الجذع إليه
٤٩٢	ذكر معجزه في تكثير السمن	٤٣٣	تسبيح الحصى في يده
٤٩٣	معجزه في تكثير التمر	٤٣٥	ستره عن قصد أذاه من المشركين
٤٩٤	معجزته في تكثير الماء	٤٣٨	دفع من أراد أذاه من الإنس
٤٩٨	ذكر نبع الماء من بين أصابعه	٤٤٦	كيفية هلاك بعض من أذاه
٥٠٠	معجزه في تكثير اللبن	٤٥٠	دفع من قصد أذاه من الشياطين
٥٠١	ظهور معجزته بمجيء الشجر إليه	٤٥٣	بيان أنه كان له شيطان
٥٠٢	الفرق بين المعجزة والسحر	٤٥٧	دفع أذى الطوام عنه
٥٠٣	تحريك الجبل لأجله وسكونه بأمره	٤٥٩	إعادته عين بعض أصحابه وقد
٥٠٤	ذكر شكوى البهائم إليه وذل		خرجت فاستقامت
٥٠٥	المتصعب منها له	٤٦٠	كلام الجدار بحضرته
٥٠٧	ذكر معجزته التي ظهرت في		تكليم الظبية له
	الركوب	٤٦٤	كلام الضب لرسول الله

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
دلالة المعجزات في مجموعها ، وإن لم تنقل نقل التواتر	٥١٠	موقف الناس بعد ظهور ومعجزات الرسول	٥٢٢
إجابته اليهود على مسائل لا يعلمها إلا نبي	٥١١	موقف الملاحدة من الإسلام ، ورأى لابن عقيل	٥٢٣
رؤيته الأشياء من وراء ظهره	٥١٦	المعدون يندسون بين المسلمين	٥٢٤
ذكر أنه كان يرى في الظلمة كما يرى في الضوء	٥١٦	من أكبر الدلائل على صدق نبينا أن الله لم يخذله .	٥٢٤
إجابة دعائه	٥١٧		

تم بحمد الله وعونه الجزء الأول من كتاب « الوفاء بأحوال المصطفى »
صلى الله عليه وسلم و يليه — إن شاء الله — الجزء الثاني ، وأوله :

أبواب فضله صلى الله عليه وسلم على الأنبياء
ومثل ما بعث به ومثل أمته
ووجوب طاعته وتقديم محبته على النفوس